

مجلة جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

مجلة علمية محكمة



إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق - سورية

مجلّة

جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية



مجلة علمية محكمة دورية

المجلد ١٣ ـ العدد الثالث ـ ١٩٩٧

ملاحظة: الترتيب حسب الأحرف الأبجدي.

شروط النشر في مجلة جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

تقبل المجلة البحوث العلمية المبتكرة في العلوم الإنسانية والتربوية باللغة العربية أو بإحدى اللغات الحية، على أن تحقق الشروط التالية:

١- أن يكون البحث جديداً ولم ينشر مضمونه من قبل.

٢- يوضع اسم الباحث وصفته العلمية وعنوانه باللغتين العربية والانكليزية تحت عنوان البحث مباشرة.

٣- يكتب **على ورقة مستقلة** عنوان البحث واسم صاحبه وصفته العلمية مع ملخصين عن البحث أحدهما باللغة العربية والآخر بإحدى اللغتين الانكليزية أو الفرنسية على ألاّ يتجاوز كل منهما /١٥٠/ كلمة.

٤- ترسل ثلاث نسخ من البحوث مطبوعة على وجه واحد من الورق **210 × 297** مم **(A4)** ومنضدة على الحاسوب (وفق القياس والنموذج المنشور في هذا العدد)، ويرفق مع هذه النسخ **«الديسك»** .

٥ـ يجب ألا يتجاوز عدد صفحات البحث /٣٠/ صفحة بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والصور والمراجع.

٦- توضع قائمة بالمراجع في آخر البحث على ورقة أو أوراق مستقلة وفق الترتيب الألفبائي لأسماء أسر المؤلفين ودون أرقام.

٧- يُتجنب الاختزال مالم يُشر إلى ذلك.

٨- يقدم كل من أشكال البحث مرسوماً بالحبر الأسود على ورقة مستقلة لاتتجاوز أبعادها أبعاد الصفحة النموذجية.

٩- تقدم الصور واضحة على ورق صقيل بأبعاد بطاقة البريد.

١٠- يُضمّن البحث المقابلات الأجنبية للمصطلحات العربية المستخدمة مرة واحدة عند ورودها لأول مرة.

١١- تخضع البحوث المقدمة للتقويم لبيان مدى صلاحيتها للنشر.

١٢- لاتعاد البحوث إلى أصحابها إذا لم تُقبل للنشر.

١٣- يحصل الباحث (الباحثون) على ثلاث نسخ من العدد الذي ينشر فيه البحث.

١٤- تتم جميع المراسلات باسم:

مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

ص.ب: 5735 ـ هاتف: 2215743 ـ فاكس: 2129807

المحتوى

أثر كثافة المضامين ونمطها في اختيار المدرس لأهدافه السلوكية في مقرر الجغرافية الطبيعية للصف الأول الثانوي "دراسة ميدانية في مدارس دمشق الثانوية"

د. علي منير الحصري
قسم المناهج وأصول التدريس ـــ كلية التربية
جامعة دمشق

ملخص

اهتمت وزارة التربية وكلية التربية ودور المعلمين منذ بداية السبعينيات من هذا القرن بتدريب المدرسين على صوغ الأهداف السلوكية لدروسهم، ولكن لم تجر دراسة ميدانية للتعرف على التزام المدرسين بهذا المنحى، والعوامل التي تؤثر في اختيار مضمون الهدف، ومستواه السلوكي في المجال المعرفي.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن اثر كثافة المضامين وأنماطها في اختيار المدرس لأهدافه السلوكية في مقرر الجغرافية الطبيعية للصف الأول الثانوي. جرت الدراسة في مدينة دمشق وشملت عينة الدراسة /٧٢/ مدرساً، و/٤٨٠٠/ هدفاً ووضعت لاثنين وثلاثين درساً، وحللت مضامين الكتاب، والأهداف، ومستوياتها السلوكية في المجال المعرفي وفق معايير تم بناؤها والتأكد من صدقها وثباتها.

كشفت الدراسة عن وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين تكرار المضامين في الدروس، وتكرارها في الأهداف فالمدرسون يختارون من المضامين تلك التي تتمتع بكثافة عالية في الكتاب، كما يختارون البنى والحقائق بالدرجة الأولى.

وبالإضافة إلى ذلك بينت الدراسة انه مهما كان نمط المضمون وكثافته فـإن المدرس حين يختاره مضموناً لهدفه يصوغ ذلك الهدف أساساً فـــي أدنـــى مستوى معرفي، أي في مستوى التذكر، أما المستويات العالية من التفكـــير كالتركيب والتقويم فتغيب نهائياً من الأهداف الموضوعة.

١. مقدمة:

لقد اثبت العديد من الدراسات فاعلية تحديد الأهداف السلوكية في تحصيل المتعلمين،كما يبين السلوكيون أهمية تحديد الأهداف بشكل سلوكي في اختيار محتوى التدريس وفي بناء الاختبارات واختيار الأنشطة والوسائل.

نظراً لأهمية تصميم الدروس وفق منحى الأهداف السلوكية، فقد اعتمدته وزارة التربية في الجمهورية العربية السورية في التعليم الابتدائي منذ الاتفاق الثقافي بين سورية والأردن، في أوائل الستينيات، وأقامت دورات للمعلمين لتدريبهم عليه كان أولها دورة عام ١٩٧٢ـ١٩٧٣ بالتعاون مع منظمة اليونيسف ووضعتها في أدلة التعليم الابتدائي في أواخر الستينيات. وظهرت أولى الأمليات التي تطرقت إلى الأهداف السلوكية ضمن مقرر أصول التدريس في كلية التربية عام ١٩٧٦. وفي عام ١٩٧٨ ظهرت في مقرر طرائق التدريس في دور المعلمين. ومازالت كلية التربية ودور المعلمين يركزون على تدريب المعلمين والمدرسين على تخطيط الدروس وفق هذا المنحى حتى اليوم. وفي العام الدراسي ١٩٨٦ـ١٩٨٧ صدر عن وزارة التربية سلسله من أدلة المدرسين في الجغرافية شملت صفوف المرحلتين الإعدادية والثانوية،تدعو المدرسين إلى اعتماد المنحى السلوكي في التخطيط لتدريس الجغرافية وتشرح الأهداف السلوكية ومستوياتها وكيفية صوغها.

وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي أثبتت فاعلية تحديد الأهداف السلوكية في تحصيل الطلاب إلا انه لم تجر أي دراسة، على حد علم الباحث، للكشف عن أثر كثافة المضامين ونمطها في محتوى الدروس على اختيار المدرس لأهدافه السلوكية ومستوياتها. ويحاول هذا البحث الكشف عن العلاقة بين كثافة المضامين ونمطها في مقرر الجغرافية الطبيعية للصف الأول الثانوي، واختيار المدرس أهدافه السلوكية.

٢. أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

٢ــ١ــ تحليل دروس كتاب الجغرافية الطبيعية المقرر للصف الأول الثانوي، وتبيان نسبة مضامينه وكثافاتها.

٢ــ٢ــ التعرف على مقدار التزام المدرسين بتحديد أهداف سلوكية لدروسهم ونسبة ما تشمله من مضامين الدروس المقررة.

٢ــ٣ــ التعرف إلى دور كثافة المضمون في الدرس ونمطه في اختيار المدرس مضمون هدفه ومستواه المعرفي.

٣. أهمية البحث:

يستمد البحث أهمية من الاعتبارات التالية:

٣ــ١ــ أثبتت جميع الدراسات التي استخدمت المنحى السلوكي في التخطيط للتدريس فعاليتها، ولذلك فإن التعرف إلى واقع اعتماد التخطيط وفق الأهداف السلوكية أمر مهم جداً بالنسبة لتطوير العملية التعليمية ــ التعلمية.

٣ــ٢ــ يوفر تحليل محتوى الكتاب المقرر قائمة بمضامينه التي تعد المادة الأولية لصوغ الأهداف، ويكشف عن أنواع المعارف التي توفرها للطلاب:

٣ــ٣ــ يوفر معطيات وصفية وكمية عن التزام المدرسين في صوغ الأهداف السلوكية لدروسهم وكفايتهم في ذلك.

٣ــ٤ــ يكشف عن المضامين التي لاتحظى باهتمام كاف من المدرسين، مما يساعد على اتخاذ الإجراءات المناسبة لتجنب هذا النقص.

٣ـ٥ـ إن الكشف عن العلاقة بين كثافة المضمون واختياره مادة للأهداف السلوكية يزود مؤلفي الكتب المدرسية بمبدأ مناسب يقود بناءهم لمحتوى المقررات.

٣ـ٦ـ يفيد رصد المستوى المعرفي الشائع في الأهداف التي يصوغها المدرسون في معرفة مستويات التفكير التي ينميها التدريس الحالي للجغرافية الطبيعية، ومن ثم يسمح باتخاذ الإجراءات المناسبة لرفع كفاية المدرسين ومستويات التفكير عند الطلاب.

٤. مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي: "ما أثر كثافة المضامين في كتاب الجغرافية الطبيعية المقرر للصف الأول الثانوي في اختيار المدرس لأهدافه السلوكية؟"

وينبثق عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

٤ـ١ـ ماأنماط المضامين المعرفية وكثافاتها في كتاب الجغرافية الطبيعية المقرر للصف الأول الثانوي؟

٤ـ٢ـ مامقدار التزام المدرسين في صياغة الأهداف السلوكية لدروسهم؟

٤ـ٣ـ مامقدار شمولية الأهداف السلوكية لمضامين المقرر؟

٤ـ٤ـ ماأثر كثافة المضمون في اختيار المدرس لمضامين أهدافه السلوكية؟

٤ـ٥ـ ماأثر نمط المضمون في اختيار المدرس لمضامين أهدافه السلوكية؟

٤ـ٦ـ ماأثر كثافة المضمون في اختيار المستوى المعرفي للهدف؟

٤ـ٧ـ ماأثر نمط المضمون في اختيار المستوى المعرفي للهدف؟

٥. فرضيات البحث:

ينطلق البحث من الفرضية الرئيسة التالية:

تشكل المضامين ذات الكثافة العالية في الدروس، مادة أساسية لمضامين الأهداف السلوكية، وتركز هذه الأهداف أساساً في مستوى التذكر، مهما كان نمط المضمون أو كثافته."

وللتحقق من هذه الفرضية يطرح الباحث الفرضيات الصفرية التالية:

٥ـ١ـ لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط مضامين الدروس، ومتوسط مضامين الأهداف السلوكية التي يصوغها المدرس.

٥ـ٢ـ لاتعد كثافة المضمون عاملاً جوهرياً في اختيار المدرس مضامين أهدافه السلوكية.

٥ـ٣ـ لايعد نمط المضمون عاملاً جوهرياً في اختيار المدرس مضامين أهدافه السلوكية.

٥ـ٤ـ لاتعد كثافة المضمون عاملاً جوهرياً في اختيار المدرس المستوى المعرفي لهدفه.

٥ـ٥ـ لايعد نمط المضمون عاملاً جوهرياً في اختيار المدرس المستوى المعرفي لهدفه.

٦. حدود البحث:

يتحدد هذا البحث بما يلي:

٦ـ١ـ تحليل كامل دروس مقرر الجغرافية الطبيعية للصف الأول الثانوي.

٦ــ٢ــ يقتصر تحليل مضامين الكتاب المقرر في الكشف عن الحقائق والمفاهيم والعلاقات والبنى والطرائق، دون التعرض للمضامين الوجدانية كالاتجاهات والقيم.

٦ــ٣ــ يقتصر المسح الميداني للأهداف السلوكية على الأهداف التي وضعها مدرسو ومدرسات المقرر في المدارس الثانوية الرسمية في مدينة دمشق للدروس جميعاً التي درسوها منذ بداية العام الدراسي ولغاية آذار ١٩٩٥.

٧.منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي فيمايلي:

٧ــ١ــ تحليل مضمون كتاب الجغرافية الطبيعية المقرر للصف الأول الثانوي وتصنيف مضامينه في خمسة أنماط وفقاً لتصنيف (دي بلوك) الذي يميز فيه بين الحقائق والمفاهيم، والعلاقات والبنى والطرائق(DE Block , 1975, 5 –11) وقد تم تحليل مضامين المحتوى وفقاً لمعيار تحليل ثبت صدقه وثباته.

٧ــ٢ــ تحديد كثافة المضامين المحللة من الكتاب وفقاً لمعيار كثافة خاص بكل مضمون اختبر صدقه وثباته.

٧ــ٣ــ تحليل الأهداف السلوكية المصوغة من قبل المدرسين إلى عناصرها الأساسية وفقاً لمعيار تحليل اختبر صدقه وثباته.

٧ــ٤ــ تصنيف الأهداف السلوكية وفق بطاقة فلوريدا للأهداف السلوكية في المجال المعرفي (Brown et al 1968).

٨ ـ تعريفات البحث:

ــ الأهداف السلوكية: وهي الأهداف التي يضعها المدرس لدرس معين، بحيث تصف نواتج التعلم المرغوب بها على شكل سلوك قابل للملاحظة والقياس. وقد يطلق عليها مصطلح "الأغراض السلوكية".

ــ الجغرافية الطبيعية: وهي فرع من فروع الجغرافية، تعنى بدراسة الظاهرات الطبيعية من حيث منشؤها، وتطورها، والعوامل المؤثرة فيها، وتفاعل الإنسان معها.

ــ الصف الأول الثانوي: وهو السنة الأولى في المرحلة الثانوية، ويضم الطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و١٨ سنة، وهو جذع مشترك بين الفرع العلمي والفرع الأدبي.

ــ كتاب الجغرافية الطبيعية: وهو الكتاب المقرر لمادة الجغرافية في الصف الأول الثانوي. طبع أول مرة في العام الدراسي ١٩٧٦ــ ١٩٧٧، وعدل جذرياً في العام الدراسي ١٩٩٢ ــ ١٩٩٣ يضم ٤٥ درساً.

ــ كثافة المضمون: وهو مقدار ما يعطى للمضمون من اهتمام في الدرس، ويترجم ذلك عن طريق مجموعة من الاعتبارات وردت في معايير تحليل كثافات المضامين (انظر البند ١١ــ٢)

ــ المجال المعرفي: وهو مجمل العمليات العقلية الإدراكية التي يستخدمها المتعلم في تفاعله مع العملية التعليمية ــ التعلمية. وهو يضم سبعة مستويات معرفية وفق تصنيف بطاقة فلوريدا.

ــ المستويات المعرفية: وهي نوع العمليات العقلية التي يستخدمها المتعلم وتتدرج في التعقيد بدءاً من مستوى التذكر، فالترجمة، فالتفسير، فالتطبيق، فالتحليل، فالتركيب، فالتقويم، (انظر البند ١١ــ٤).

ـ المضمون: وهو نوع المادة العلمية التي يحتويها الدرس، فأي محتوى تعليمي يمكن أن يحلل إلى مجموعة من المضامين المتمايزة ولذلك تصنف وفق أنماط.

ـ نمط المضمون: وهو نوع المادة العلمية التي يحتويها الدرس. ووفق تصنيف دي بلوك. تميز ستة أنماط: الحقائق، المفاهيم، العلاقات، البنى، الطرائق، الاتجاهات. وقد اقتصرت هذه الدراسة على الأنماط الخمسة الأولى، أي باستثناء الاتجاهات، وذلك لأنها تركز على المجال المعرفي.

٩. الدراسات السابقة:

يمكن تصنيف الدراسات السابقة ذات الصلة بهذه الدراسة في نوعين: واحدة تهتم بالأهداف والأخرى بالمحتوى.

٩ ـ ١ ـ الدراسات التي اهتمت بالكشف عن فاعلية الأهداف السلوكية في التحصيل ومنها:

ـ دراسة جوزيف موتيللو (Motillo, 1973) التي أجراها على طلاب الصف الثالث الثانوي في مادة علم الفيزياء، وهدف من خلالها التعرف إلى أثر تحديد الأهداف السلوكية في تحصيلهم الدراسي، وأظهرت الدراسة تفوق المجموعة التجريبية (التي حددت لها أهداف سلوكية) على المجموعة الضابطة (التي لم تحدد لها أهداف سلوكية) في التحصيل الدراسي.

ـ دراسة جيمس بوث (Booth 1974) حاول فيها التعرف إلى أثر تحديد الأهداف السلوكية في تحصيل طلاب اللغة الإنجليزية بجامعة ميدويسترن الأمريكية، وأظهرت الدراسة تفوق المجموعة التي حددت لها أهداف سلوكية على المجموعة الثانية التي حددت لها أهداف غير سلوكية.

ــ دراسة محمد عبد المقصود (عبد المقصود، ١٩٩٠) وبحث فيها فاعليــة اســتخدام الأهداف السلوكية في تحصيل طلاب الصف الثالث الثانوي في مقــرر الجغرافيــة. أجريت الدراسة في سلطنة عمان وأظهرت تفوق المجموعة التي درســت باســتخدام الأهداف السلوكية على المجموعة التي لم تستخدم في تدريسها الأهداف السلوكية فــي التحصيل الدراسي.

ــ دراسة فوزية إبراهيم دمياطي (دمياطي، ١٩٩٠) حول فاعلية وضــوح الأهــداف السلوكية والأفكار الرئيسية للدرس لدى المتعلم في تحصيلــه الدراســي فــي مقــرر التاريخ. جرت الدراسة على طالبات الصف الثالث المتوسط بالمدينة المنورة وأظهرت الأثر الإيجابي لتحديد الأهداف السلوكية في التحصيل الدراسي.

٩ ــ٢ ــ الدراسات التي اهتمت بتحليل محتوى مقررات الجغرافية، ومنها:

ــ دراسة فارعة سليمان (سليمان، ١٩٧٥) وهدفت إلى التعرف إلى أي مدى يــؤدي تعليم الجغرافية في المرحلة الابتدائية إلى إكساب التلاميذ المفهومات الجغرافية السليمة المتضمنة في المنهاج. وقد تضمنت إجراءات بحثها، تحليلاً لمضامين كتب الجغرافيــة المقررة من الصف الثالث إلى الصف السادس، وذلك لتحديد ما تتضمنه من مفــهومات جغرافية بغية تقويم تحصيل الطلاب لها. وخلصت من هذه الدراســة إلــى انخفــاض مستوى تحصيل التلاميذ على مستوى الفهم، وافتقاد معظم أفراد العينة القــدرة علــى تطبيق هذه المفهومات وانتهت إلى أعداد نظام هرمي للمفهومات الجغرافية.

ــ دراسة فياض سكيكر (سكيكر، ١٩٨٨) وهدفت التعرف إلــى المفــهومات البيئيــة المتضمنة في أهداف وكتب الجغرافية المقررة في المرحلتين الإعدادية والثانوية فــي الجمهورية العربية السورية. وخلص من هذه الدراسة إلــى إن المفــهومات البيئيــة المتضمنة في كتب الجغرافية غير وافيــه، أوصــى بإدخــال المفــهومات المتعلقــة بالمشكلات البيئية وصيانة البيئة في كتب الجغرافية.

ـ دراسة سمير مراد (مراد ١٩٩١) سعت الدراسة إلى تقويم منهاج الجغرافية في المرحلة الإعدادية وتطويره، وركزت الدراسة في تحليلها مضمون كتب الجغرافية على أنواع المفهومات الجغرافية المتضمنة وطريقة عرضها والأنشطة والأشكال والرسومات التوضيحية كما حلل الأهداف السلوكية الواردة في أدلة المدرسين والأسئلة التقويمية المرافقة للدروس، وخلصت الدراسة إلى وجود نقص في المفهومات الجغرافية المتعلقة بالجغرافية السكانية، والمشكلات البيئية، ووجود تقصير في تعريف بعض المفهومات، وإيضاحها.

وجميع الدراسات التي تطرقت إلى تحليل محتوى كتب الجغرافية ركزت على المفهومات ولم تتطرق إلى المضامين الأخرى بشكل واضح كالحقائق، والتعميمات والعلاقات، والبنى، والطرائق وهو ما تميز به البحث الحالي.

هذا ولم يعثر الباحث على دراسة حاولت الكشف عن العلاقة بين كثافة المضامين واختيارها موضوعاً للأهداف السلوكية.

١٠ ـ<u>عينة البحث</u>: يقوم البحث على عينتين

ـ <u>عينة الأهداف</u>: وشملت : ٤٨٠٠/ هدفاً جمعت من دفاتر تحضير مدرسي ومدرسات المادة جميعهم البالغ عددهم ٧٢ مدرساً ومدرسة، موزعين على ثانويات دمشق كافة البالغ عددها ٧٢ ثانوية، وتشمل هذه الأهداف ٣٢ درساً (٧٣,٣% من دروس المقرر) إلا إن عدد المدرسين الذين وجدت لديهم أهداف سلوكية بلغ ٣٠ مدرساً ومدرسة فقط (٤١,٧% من مجموع المدرسين والمدرسات).

ـ <u>عينة المحتوى</u>: وشملت دروس كتاب الجغرافية الطبيعية بكاملها (٤٥درساً) إلا إن الدروس التي تم اعتمادها للتحقق من فرضيات البحث، اقتصرت على الدروس الاثنين

والثلاثين الأولى التي جرى تدريسها فعلاً خلال الفترة من أيلول ١٩٩٤ ولغايـــة آذار ١٩٩٥.

١١ .أدوات البحث: وشملت مايلي:

١١ ــ١ ــ معيار تحليل المحتوى

تم اعتماد الدرس ونمط المضمون ووحدات للتحليل، وصنفت مضامين المحتوى وفــق تصنيف (DE Block 1975 , 5-11) لمستويات المادة. وتضمـــن معيـــار التحليـــل تعريفات واضحة للمستويات الخمسة التي وضعها دي بلوك، وهي: الحقائق، المفاهيم، العلاقات، البنى، الطرائق، وعرض معيار التحليل على أربعـــة مـــن الأســـاتذة ذوي الخبرة في كلية التربية. وقد ثبتت التعريفات التالية:

ــ **الحقائق:** هي الأسماء والمواقع والأقاليم والرموز والحـــوادث التـــي لا تتكـــرر، وصفات الأشياء، ومن أمثلتها: أبعاد الأرض، مناطق انتشار الزلازل، المحيط الـــهادي ...الخ.

ــ **المفاهيم:** وهي تجريدات للخصائص المشـــتركة للحـــالات والأشـــياء والأفكـــار والحوادث. وتعطى أسماء (مصطلحات) وتختلف عن الحقائق من حيث أنـــها تطلـــق على مجموعة من الحالات أو الأشياء أو الأفكار أو الحوادث التي تشترك بخصـــائص محددة. ومن أمثلتها، مصور، وادي، مقطع، اتزان، تنبؤ جوي ... الخ

ــ **العلاقات:** وهي اجتماع وتفاعل مفهومين من مثل تزداد درجة الحرارة كلما تعمقنـــا داخل الأرض باتجاه النواة، كلما تقاربت خطوط التسوية كان ميل التضاريس شديداً.

ــ **البنى:** وهي تقوم على الحقائق والمفـــاهيم والعلاقـــات وتضـــم النمـــاذج وأســـس التصنيفات والنظريات وهي تعنى بالتفاعل بين اكثر من مفهومين، وهو ما يميزها عن

العلاقات التي تعنى بالتفاعل بين مفهومين، ومن أمثلتها: عمل الجليد، عمل المياه الجارية، أسباب المد والجزر، أنواع البحار.

ــ **الطرائق**: وهي أساليب العمل التي نتبعها وخطواتها لمواجهة مسألة معينة مثل:

قياس المسافات بالطريقة الهندسية، حساب مساحة منطقة صغيرة ورسم مخطط لها، قياس شدة الزلازل.

وبعد التأكد من صدق المعيار، سعى الباحث للتأكد من ثباته، فأجرى تحليلين للدرسين الرابع والخامس بفاصل زمني مقداره ٣٠ يوما. ثم حسب معامل الترابط بين نتائج التحليلين فكان ٠,٩٩، ثم طلب من محلل آخر أن يحلل الدرسين باستخدام المعيار نفسه وحسب معامل الترابط بين التحليل الثاني للباحث وتحليل المحلل الآخر فكان ٠,٩٦، وهي معاملات ترابط عالية تؤكد ثبات معيار تحليل المحتوى.

١١ ــ٢ــ معيار تحليل كثافة المضمون:

تم بناء خمسة معايير بواقع معيار لكل نمط من أنماط المضامين (الحقائق، المفاهيم،العلاقات، البنى، الطرائق).

وتضمن كل معيار عشر إشارات تدل على وضع المضمون والإيضاحات والأنشطة المرتبطة به، والدرجة الإجمالية العظمى لكثافة هي عشر درجات.

عرضت المعايير الخمسة على خمسة محكمين فأبدوا بعض الملاحظات التي أخذت بالحسبان، فعدلت المعايير حتى أخذت صورتها النهائية، والجدول (١) يبين معيار كثافة المفهوم كنموذج لمعايير كثافة المضامين.

الدرجة	١	١ـ٣	١ـ٣	١ـ٣
الحالة التي يظهر فيها المفهوم	إشارة عابرة ورود المصطلح الدال على المفهوم	وضع المفهوم ـ تعريفه ـ ترابطه مع مفهومات أخرى ـ شروح مكتوبة	الإيضاحات ـ إعطاء مثال ـ رسم توضيحي أو صورة ـ رسم بياني	الأنشطة والتدريبات ـ يرد في أسئلة الدرس ـ يرد في قراءة خارجية ـ يرد في جدول

جدول (١) معيار كثافة المفهوم

بعد ذلك جرى التأكد من ثبات المعايير الخمسة وذلك لحساب الترابط بين تحليلين أجراهما الباحث لكثافات المضامين الواردة في الدرسين (٤ و٥) من الكتاب المقرر، بفاصل زمني مقداره شهر، وكان معامل الترابط ٠,٩٩ وفق بيرسون، وهذا يدل على ثبات تحليل الكثافات مما يمكننا من الوثوق بالمعيار.

ثم طلب من محلل آخر أن يحلل كثافات المضامين باعتماد المعايير المحكمة نفسها وقيس الترابط بين نتائج تحليل المحلل، ونتائج التحليل الثاني للباحث، فتراوح معامل الترابط ٠,٩٩وفق بيرسون، وهو ترابط عال يؤكد ثبات المعيار.

١١ـ ٣ ـ معيار تحليل مكونات الهدف السلوكي

للحكم على صحة وكمال صياغة الهدف السلوكي قمنا ببناء معيار ذي تسع درجات، وعرض على مجموعة من أساتذة الكلية، وبناء على ملاحظاتهم تم إجراء بعض التعديلات عليه، حتى خرج بصورته النهائية الواردة في الجدول (٢).

الدرجة	١	١ــ٣	١ــ٣	١ــ٣
حالة التي هر فيها هدف	السلوك المطلوب ــ من الطالب ــ قابل للملاحظة ــ قابل للقياس	روط العرض والاختبار يحدد الأدوات يحدد الموقف يحدد الراوية للموصوع	صوح الصياغة يطلب سلوكاً واحداً لايقبل التأويل	عايير الأداء يثبت الحد الأدنى من الأداء لمقبول

جدول (٢) معيار مكونات الهدف السلوكي وأوزان مكوناته

ــ للتأكد من ثبات هذا المعيار تم استخدامه من قبل الباحث ومحلل آخر كل على حده لتحليل مكونات الأهداف السلوكية التي صاغها أحد المدرسين للدرسين الثامن والثاني عشر. ثم حسب معامل الترابط باستخدام قانون بيرسون فكانت قيمة ر= ٠,٩٧ وهو ترابط عال يدل على ثبات التحليل ويعد الهدف سلوكيا إذا حصل على ٩/٤ فما فوق من الدرجات.

١١ــ٤ــ <u>معيار تحليل مستوى الهدف السلوكي في المجال المعرفي</u>

تم اعتماد بطاقة فلوريدا للأهداف السلوكية في المجال المعرفي (الإدراكي) وهي تميز في هذا المجال، سبعة مستويات سلوكية وبناء عليها وضع المعيار التالي:

المستوى	السلوك المطلوب من الطالب
١ــ التذكر	استرجاع الحقائق والمفاهيم والعلاقات والبنى والطرائق التي درسها الطالب وهي مذكـورة في المحتوى بصراحة ووضوح.
٢ــ الترجمة	إعادة صوغ المضامين التي درسها في الكتاب بعبارات من عنده أي ليست تكرارا لما هو مكتوب في نص الكتاب.
٣ــ التفسير	إعادة تنظيم الأفكار بأسلوب جديد والربط بينها، والتعرف إلى العلاقات القائمة بين مكونات الظاهرة شريطة ألا تكون هذه التفسيرات قد وردت في نصوص الدرس بشكل واضح.
٤ــ التطبيق	استخدام الحقائق والمفاهيم والعلاقات والبنى والطرائق التي تعلمها الطالب في مواقف جديدة.
٥ــ التحليل	قراءة ما بين السطور: التمييز بين الرأي والحقيقة، وبين الحقيقة والفرضية، والوصول إلى نتائج من الشروح، والإشارة إلى الوقائع في النص التي تسوغ النتائج وتمييز الانحياز والدعاية في العروض.
٦ــ التركيب	إنتاج بنية جديدة اعتمادا على المضامين التي تعلمها كتابة مقالة، توقع أشياء أو أحداث اقتراح حلول لمشكلة، تصميم أجهزة، ابتكار مخطط تصنيف، صوغ فرضيات.
٧ــ التقويم	إصدار أحكام على المعارف والمعلومات المقدمة إليه: أن يقوم رأيا استنادا إلى تحليل البرهان الذي قدم بصدده، أن يقوم شروحا استنادا إلى معايير محددة.

جدول (٣) معيار تصنيف الأهداف السلوكية وفق مستواها المعرفي

وللتحقق من ثبات هذا المعيار فقد قام الباحث ومحلل آخر بتصنيف الأهداف السـلوكية التي وضعها أحد المدرسين للدرسين الثامن والثاني عشر وكانت النتائج على الشـكل التالي:

الدرس	الدرس الثامن							الدرس الثاني عشر						
رقم الهدف	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
المستوى عند الباحث	١	١	١	١	١	١	٤	١	١	١	٢	٢	٥	٢
المستوى عند المحلل الآخر	١	١	١	١	١	١	٤	١	١	١	٢	٢	٣	٢
* الاتفاق	•	•	•	•	•	•	•	• •	•	•	•	•	_	•

جدول (٤) المستويات المعرفية للأهداف السلوكية المحللة من قبل الباحث ومحلل آخر

(٠) الهدف ليس سلوكيا

(*) اتفاق

(ـ) عدم اتفاق

ونلحظ من الجدول السابق أن الاتفاق كان في ١٤/١٣ هدفا أي بنسبة ٩٢,٨% وهو توافق جيد ومن ثم يمكن اعتبار المعيار ثابتا.

١٢. اجراءات البحث:

١٢ـ١ـ تحليل محتوى كتاب الجغرافية الطبيعية للصف الأول الثانوي.

لتحليل محتوى الكتاب إلى مضامينه الخمسة (حقائق، مفاهيم، علاقات، بنى، طرائق) وكثافاتها اعتمدت المعايير التي تم وضعها لهذا الغرض، وفرغت نتائج التحليل لكل درس على بطاقة خاصة أعدت لهذا الغرض.

١٢ـ٢ـ جمع الأهداف السلوكية:

لجمع الأهداف السلوكية من المدارس سعى الباحث للحصول على موافقة مديرية تربية دمشق والتعاون مع الموجه الاختصاصي لمادة الجغرافية الذي قام مشكورا بتوجيه كتاب إلى المدرسين للتعاون مع الباحث وأسهم عدد من طلاب الدراسات العليا في

كلية التربية بجمع الأهداف من دفاتر المدرسين مباشرة على بطاقة خاصة أعدت لـهذا الغرض.

١٣. نتائج البحث:

١٣ــ١ــ للإجابة عن السؤال الأول من أسئلة البحث "ما نمط المضامين وكثافاتها فـي كتاب الجغرافية الطبيعية؟

فقد تم تحليل الكتاب وفق المعايير المعتمدة. فحسبت تكرارات كل نمــط مــن أنمــاط المضامين ودرجة كثافتها وصنفت الكثافات في ثلاث فئات:

كثافة عالية (٧ ــ ١٠) كثافة متوسطة (٤ــ٦) كثافة ضعيفة (١ــ٣) وكــانت النتــائج على الشكل التالي (جدول ٥).

أنماط المضامين	عدد	٪ (١)	كثافة عالية		كثافة متوسطة		كثافة ضعيفة	
			عدد	٪ (٢)	عدد	٪	عدد	٪
الحقائق	١٢٠	١٧	٨	٦,٧	٣٩	٣٢,٥	٧٣	٦٠,٨
المفاهيم	٣٥٨	٥٠,٨	٤٧	١٣,١	١٧٩	٥٠	١٣٢	٣٦,٩
العلاقات	١٠٢	١٤,٥	٤	٣,٩	٣٤	٣٣,٣	٦٤	٦٢,٧
البنى	١٠٥	١٤,٩	٣٠	٢٨,٥	٦٥	٦١,٩	١٠	٩,٥
الطرائق	٢٠	٢,٨	٩	٤٥	٦	٣٠	٥	٢٥
المجموع	٧٠٥	١٠٠	٩٨	١٣,٩	٣٢٣	٤٥,٨	٢٨٤	٤٠,٣

جدول (٥) أنماط المضامين وأعدادها وكثافتها في الكتاب

(١) النسب المئوية للتكرارات محسوبة وفق مجموع المضامين في الكتاب (٧٠٥).

(٢) النسب المئوية للكثافات محسوبة وفق مجموع تكرارات كل نمـــط مـــن أنمـــاط المضامين (٣) النسب المئوية لمجموع تكرارات درجة الكثافة محسوبة وفق مجمـــوع تكرارات أنماط المضامين(٧٠٥).

يتضح من الجدول إن المفاهيم الجغرافية تحتل المرتبة الأولى من بين أنواع المضامين فقد حصلت على ٥٠,٨% من مجموع المضامين الواردة في الكتاب. إلا أن ٥٠% منها كان متوسط الكثافة أي أنها لم تكن موضحة توضيحا كافيا، تليها المفاهيم ذات الكثافـة الضعيفة ٣٦,٩% وهي تقتصر على تعريف المفهوم وتعليـــق قصـــير عليـــه. أمـــا المفهومات ذات الكثافة العالية فلم تحظ إلا بـــ ١٣,١% من مجموع تكرار المفهومات.

وتأتي الحقائق في المرتبة الثانية بواقع ١٧% من مجموع المضـــامين إلا أن ٦٠,٨% منها ذو كثافة ضعيفة. ولم يغط سوى ٦,٧% من الحقائق بكثافة عالية، مقابل ٣٢,٥% ذات كثافة متوسطة.

وتأتي البنى في المرتبة الثالثة بواقع ١٤,٩% من مجموع المضـــامين فـــي الكتـــاب، ولكنها كانت في ٦١,٩% من الحالات متوسطة الكثافة. وظهرت في ٢٨,٥% منـــــها عالية الكثافة، مقابل ٩,٥ من الحالات كانت فيها البنى ضعيفة الكثافة.

ويظهر هذا التحليل الاهتمام بتوضيح البنى التي تقوم عليها دراسة الجغرافية الطبيعيـة فالبنى تتضمن المفاهيم والعلاقات، ولكنها تظهر فـــي ٥٢% مـــن الحـــالات بشـــكل تصنيفات، كما تظهر في ٢٥% من الحالات بشكل عوامل مؤثـــرة، أمـــا النظريـــات والنماذج والأنظمة الهيدرولوجية والجوية والنظم الإقليمية فظهرت فـــي ٢٣% مـــن الحالات.

وفي المرتبة الرابعة تتوضع العلاقات، بواقع ١٤,٥% من مجموع المضامين إلا أنـــها كانت ضعيفة الكثافة في ٦٢,٧% من الحالات، ومتوسطتها في ٣٣,٣% من الحالات.

وهذا يعني ان العلاقات لم تكن موضحة، ولايوجد اهتمام بالميكانيكيات وأشكال التأثير.

في المرتبة الخامسة تأتي الطرائق بواقع ٢,٨% من مجموع مضامين الكتاب، ولكنها في ٤٥% من الحالات كانت كثافاتها عالية وفي٣٠% من الحالات كانت كثافاتها متوسطة. وهذا يشير إلى اهتمام مقبول في الطرائق ولكنه على المستوى النظري.

١٣-٢- وللإجابة عن السؤال الثاني: "ما مقدار التزام المدرسين في صوغ الأهداف السلوكية لدروسهم ؟"

فقد بين المسح الذي جرى للمدرسين ما يلي:

- ٥٨,٣% من المدرسين لايضعون أهدافا سلوكية لدروسهم. هؤلاء يشكلون مجموعة غير متجانسة تضم بعض المدرسين الذين تجاوزت سنوات خدمتهم ١٢سنة، وهؤلاء يحضرون دروسهم على شكل ملخصات يكتبونها على دفاتر التحضير، على الرغم من انهم خضعوا لدورات تضمنت برامجها التدريب على صياغة الأهداف السلوكية. كما تضم هذه المجموعة المدرسين المكلفين (من خارج الملاك) الذين يحملون إجازة في الآداب/جغرافية/، ولكنهم لم يتدربوا على تخطيط الدروس وفق مدخل الأهداف السلوكية.

أما ٤١,٧% من المدرسين يضعون أهدافا سلوكية لدروسهم. إلا إن الملتزمين فعلا بالتخطيط وفق هذا المدخل وللدروس جميعا التي درسوها لغاية إجراء المسح لم يتجاوز ٢٦,٤% من مجموع المدرسين أي بواقع الربع تقريبا.

ومن هذه النتيجة يتبين أن جهود كلية التربية ووزارة التربية في تدريب المدرسين في استخدام الأهداف السلوكية كانت ضعيفة التأثير (المردود)، وينبغي تكثيف الجهود ليس

في تدريب المدرسين على التخطيط وفق منحى الأهداف السلوكية فقط بل وإقناعهم بفاعليتها في التعليم.

١٣ـ٣ـ وللإجابة عن السؤال الثالث: "ما مدى شمولية الأهداف السلوكية لمضامين الدروس ؟"

فقد تم تحليل مكونات (٤٨٠٠) هدفا وضعها /٣٠/ مدرسا ومدرسة للدروس الاثنين والثلاثين التي تم تدريسها لغاية آذار ١٩٩٥ ويبلغ عدد الأهداف التي أعدت سلوكية (٣٥٨٢) هدفا، وبعد ذلك حسبت المضامين التي احتوتها هذه الأهداف، وقسمت على عدد المدرسين للحصول على متوسط المضامين لكل مدرس. ثم أجريت المقارنة مع المضامين التي كشف عنها تحليل المحتوى فكانت النتائج على الشكل التالي:

المضمون	حقائق	مفاهيم	علاقات	بنى	طرائق	مجموع	ت
التكرار في الكتاب	٧٢	٢٨٢	٤٦	٧٤	١٦	٤٩٠	
متوسط التكرار في أهداف المدرسين	٢٤,٨	٤٧,٣	٣,٦	٢٧,٣	٢,٧	١٠٥,٧	٩,٧
الشمولية	٣٤,٣	١٦,٨	٧,٨	٣٦,٩	١٦,٨	٢١,٦	

جدول (٦) نسبة المضامين التي تشملها الأهداف (٣٢ درسا) (الشمولية)

ويتضح من الجدول أن الأهداف السلوكية لم تغط سوى ٢١,٦% من مجموع المضامين الموجودة في الدروس الاثنين والثلاثين المحللة. وأفضل تغطية كانت للبنى حيث شملت على ٣٦,٩% من البنى الموجودة في الدروس. وهذا يدل على إن المدرسين يركزون على التصنيفات والعوامل المؤثرة. والنظريات التي ترد في الدروس.

وتأتي الحقائق في الدرجة الثانية من حيث الشمولية (٣٤,٣%) وهي تركز على الآثار الناجمة عن الظواهر الطبيعية وأهميتها. أما المفاهيم والطرائق فلم تشملها الأهداف بشكل كاف إذ كانت نسبة شمولها (١٦,٨% ، ١٦,٩%) على التوالي. إن إهمال المفاهيم له منعكسات سلبية أهمها بروز ظاهرة اللفظية في استيعاب المفاهيم. أما إهمال الطرائق على قلتها في الكتاب، فيعمل على حرمان الطلاب من وسائل العمل التي تركز عليها المناهج الحديثة، وقد يعزى ذلك إلى صعوبات تدريب الطلاب على استخدامها. و تعذر تقويم قدرة الطلاب على تطبيقها.

أما العلاقات فلم تشملها الأهداف إلا بنسبة ٧,٨%. وقد يعود السبب في ذلك إلى أن معظم العلاقات متضمنة في البنى.

وللتحقق من الفرضية الأولى التي تنص على أنه "لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط عدد المضامين في الدروس ومتوسط عدد المضامين في الأهداف التي يصوغها المدرس، فقد استخدم اختبار ت ستيودنت وكانت قيمة ت = ٩,٧ ت الجدولية ٢,٦٦٤ عند مستوى دلالة ٠,٠١ وهي دالة إحصائيا مما يمكننا من رفض فرضية العدم، فالفرق ذو دلالة إحصائية ويدل على عدم شمول الأهداف السلوكية لمضامين الدروس شمولا كافيا.

١٣-٤- للإجابة عن السؤال الرابع: "ما أثر كثافة المضمون في اختيار المدرس لمضامين أهدافه السلوكي؟"

فقد تم حساب عدد المضامين الواردة في الدروس الاثنين والثلاثين ثم صنفت وفق كثافاتها في ثلاث فئات. وحسبت النسبة المئوية لكل منها.

بعد ذلك تم حساب تكرارات مضامين الأهداف السلوكية التي وضعها المدرسون لهذه الدروس وصنفت في ثلاث فئات وفق كثافاتها، ثم حسب متوسط كل فئة بقسمته التكرار على عدد المدرسين (٣٠)، فحصلنا على المعطيات الواردة في الجدول (٧).

فئات الكثافة	عالية	متوسطة	ضعيفة	المجموع
عدد المضامين في الدروس	٦٢	٢٠٣	٢٢٥	٤٩٠
% لكل فئة في الدروس	%١٢,٧	%٤١,٤	%٤٥,٩	%١٠٠
متوسط عدد المضامين في الأهداف	٣٤	٥٤,٣	١٧,٤	١٠٥,٧
% من مضامين الدروس الداخلة في الأهداف	%٥٤,٨	%٢٦,٧	%٧.٧	%٢١,٦

جدول (٧) توزع مضامين الأهداف والدروس وفق كثافاتها

ويتضح من الجدول أن ٥٤,٨% من مضامين الكتاب ذات الكثافة العالية وردت في الأهداف وذلك مقابل ٢٦,٧% من المضامين ذات الكثافة المتوسطة و ٧.٧% من المضامين ذات الكثافة الضعيفة.

وللتأكد من صحة الفرضية الثانية التي تنص على أنه لاتعد كثافة المضمون عاملا جوهريا في اختيار المدرس لمضمون هدفه السلوكي، "فقد طبقنا اختبار كاي مربع فبلغت كا^{2} المحسوبة٢٧,٣٩، وهي أكبر من قيمة كا^{2} الجدولية عند درجة حرية(٢)،ومستوى دلالة (٠,٠١)، البالغة ٩,٣١. ولذلك نرفض فرضية العدم ويمكن أن نتوصل إلى المبدأ التالي: إن كثافة المضمون في الكتاب عامل جوهري في اختيار المدرس مضمون هدفه السلوكي وبعبارة أخرى. كلما كانت كثافة المضمون عالية كان احتمال ظهوره في الأهداف أكبر.

١٣ــ٥ــ للإجابة عن السؤال الخامس: "ما أثر نمط المضمون في اختيار المدرس مضامين أهدافه السلوكية.

فقد تم حساب تكرار كل نمط من أنماط المضامين الواردة في الكتاب، وحسبت نسبنها المئوية من مجموع التكرارات. وبعد ذلك حسب متوسط تكرار كل نمط من أنماط المضامين الواردة في الأهداف فكانت النتائج على الشكل التالي:

أنماط المضامين	حقائق	مفاهيم	علاقات	بنى	طرائق	المجموع
التكرار في الدروس	٧٢	٢٨٢	٤٦	٧٤	١٦	٤٩٠
% لكل نمط في الدروس	%١٤,٧	%٥٧,٦	%٩,٤	%١٥	%٣.٣	%١٠٠
متوسط التكرار في الأهداف	٢٤,٨	٤٧,٣	٣,٦	٢٧,٣	٢,٧	١٠٥,٧

جدول (٨) توزع مضامين الأهداف والدروس وفق أنماطها

وللتحقق من الفرضية الثالثة التي تنص على انه "لايعد نمط المضمون عاملا جوهريا في اختيار المدرس مضمون هدفه السلوكي". فقد تم تطبيق اختبار كاي مربع. وكانت النتائج على الشكل التالي:

كا٢ المحسوبة = (٢١,٠٢) وبمقارنتها بكاي مربع الجدولية عند درجة حرية (٢) ومستوى دلالة (٠,٠١) البالغة (٩,٣١) نجد أن كا٢ المحسوبة > كا٢ الجدولية ومن ثم نرفض الفرضية ونقر بأنّ نمط المضمون يعد عاملا جوهريا في اختيار المدرس مضمون هدفه السلوكي. فالمدرسون يركزون على البنى والحقائق في أهدافهم (انظر الفقرة ١٣ــ٣)

١٣ــ٦ــ للإجابة عن السؤال السادس: "ما أثر كثافة المضمون في اختيار المستوى المعرفي للهدف؟"

فقد تم حساب تكرارات المضامين الواردة على كل مستوى من المستويات السلوكية الخمسة، ثم وزعت وفق كثافة المضمون فحصلنا على الجدول (٩) ويبدو جليا غياب مستوى التركيب والتقويم، والتركيز على مستوى التذكر.

مستوى الهدف / كثافة المضمون	التذكر	الترجمة	التفسير	التطبيق	التحليل	التركيب	التقويم	المجموع
عالية	٢٦	٤	١	١	٢	٠	٠	٣٤
متوسطة	٤٥	٤,٢٥	٠,٧٥	٠,٣	٤	٠	٠	٥٤,٣
ضعيفة	١٦,٤	٠,٧٥	٠,٢٥	٠	٠	٠	٠	١٧,٤
المجموع	٨٧,٤	٩	٢	١,٣	٦	٠	٠	١٠٥,٧

جدول (٩) توزع كثافات المضامين الواردة في الأهداف السلوكية على مستويات المجال المعرفي

وللتحقق من صحة الفرضية الرابعة التي تنص على أنه "لاتعد كثافة المضمون عاملا جوهريا في اختيار مستوى الهدف" فقد استخدم الاختبار الإحصائي كاي مربع، وكانت النتائج على الشكل التالي:

كا٢ المحسوبة = (٢,٩٢). وبمقارنتها مع كا٢ الجدولية عند درجة حرية (١٢) ومستوى دلالة (٠,٠١) البالغة (٢٦,٢١٧)، نجد أن كا٢ المحسوبة أصغر من كا٢ الجدولية مما يمكن من قبول الفرضية ونقرر أنه:

لاعلاقة جوهرية بين كثافة المضمون والمستوى المعرفي الذي يتوضع عليه الهدف،فمستوى التذكر هو المهيمن على المستويات الأخرى مهما كانت كثافة المضمون في الكتاب.

١٣ــ٧ــ للإجابة عن السؤال السابع: "ماأثر نمط المضمون في اختيار المستوى المعرفي للهدف" فقد تم تصنيف المضامين الواردة في الأهداف السلوكية، وفق مستوى الهدف كما كشف عنه معيار تحديد المستوى المعرفي، ووفق نمط المضمون الذي يحتويه الهدف، وخلصنا إلى النتائج الواردة في الجدول (١٠)، والذي يظهر فيه بوضوح غياب مستوى التقويم والتركيب، والتركيز على مستوى التذكر.

وللتحقق من الفرضية الخامسة التي تنص على أنه "لايعد نمـــط المضمـــون عـــاملا جوهريا في اختيار المستوى المعرفي للهدف، فقد استخدمنا اختبار كاي مربع، وكـانت النتائج على الشكل التالي.

المستوى / المضمون	تذكر	ترجمة	تفسير	تطبيق	تحليل	تركيب	تقويم	المجموع
حقائق	٢٣	١,٨	٠	٠	٠	٠	٠	٢٤,٨
مفاهيم	٣٧,٦	٤,٢	١,٦	٠,٤	٣,٥	٠	٠	٤٧,٣
علاقات	٢,٧	٠,٥	٠,٤	٠	٠	٠	٠	٣,٦
بنى	٢٢,٨	٢,٥	٠	٠	٢	٠	٠	٢٧,٣
طرائق	١,٣	٠	٠	٠,٩	٠,٥	٠	٠	٢,٧
المجموع	٨٧,٤	٩	٢	١,٣	٦	٠	٠	١,٥٠٧

جدول (١٠) توزيع أنماط المضامين على مستويات المجال المعرفي

بلغت كا٢ المحسوبة (١٨,٩٣١) وبمقارنتها مع كاي مربع الجدولية عند درجة حريـــة مقدارها (٢٤) ومستوى دلالة (٠,٠١) البالغة (٤٢,٩٨٠) نجـــد أن كـــا٢ المحســـوبة اصغر من كا٢ الجدولية. وعليه فإننا نقرر قبول الفرضية ونؤكد أن نمط المضمـــــون لايعد عاملا جوهريا في اختيار المستوى المعرفي للهدف. وبعبارة أخرى فإنه مـــهما كان نوع المضمون فإن الهدف الذي يصوغه المدرس يركز أساســـا علـــى مســـتوى التذكر.

وبتلخيص نتائج اختبار الفرضيات نصل إلى مايلي:

١ـــ يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين عدد المضامين في الـــــدروس وعددهـــا فـــي الأهداف، فالمدرس يجري عملية اختيار بين المضامين.

٢ــ تعد كثافة المضمون عاملا جوهريا في اختيار المدرس مضامين أهدافه السلوكية، فالمضامين ذات الكثافة العالية هي التي تشكل المادة الأساسية لمضامين الأهداف.

٣ــ يعد نمط المضمون عاملا جوهريا في اختيار المدرس مضامين أهدافه السلوكية فالبنى والحقائق على الرغم من قلة تكراراتها مقارنة بتكرار المفاهيم تشكل مادة أساسية لمضامين الأهداف.

٤ــ لاتعد كثافة المضمون عاملا جوهريا في اختيار المدرس المستوى المعرفي الذي يركز عليه الهدف، فمهما كانت كثافة المضمون فان الهدف يصاغ في مستوى التذكر.

٥ــ لايعد نمط المضمون عاملا جوهريا في اختيار المدرس المستوى المعرفي الذي يركز عليه الهدف، فأيا كان المضمون فان الهدف يصاغ أساسا في مستوى التذكر.

وهذه النتائج تؤكد صحة الفرضية الرئيسة التالي نصها:

"تشكل المضامين ذات الكثافة العالية في الدرس، مادة أساسية لمضامين الأهداف السلوكية، ويركز هذه الأهداف أساسا في مستوى التذكر مهما كان نمط المضمون وكثافته."

المقترحات:

من خلال النتائج التي توصل اليها البحث يمكن الخروج بالمقترحات التالية:

١ــ إن ٥٨,٣% من المدرسين لايضعون أهدافا سلوكية لدروسهم فمن المفيد إجــراء دراسة تستقصي الأسباب الحقيقية لهذا الرفض، كما نقترح زيادة الاهتمام في تدريــب المدرسين في أثناء الخدمة على تقنية صوغ الأغراض السلوكية للــدروس واقناعــهم بأهميتها في العملية التعليمية ــ التعلمية.

٢ــ إن المضامين ذات الكثافة العالية هي التي تشكل مضامين الأهداف لذلك ينبغــي على مؤلفي الكتب المدرسية أن يميزوا جيدا بين المضامين الهامة والمركزيــة فــي الموضوعات، فيولوها اهتماما أكبر من حيث الشرح، وتبيــان الترابطــات، ورفدهــا بالوسائل التوضيحة، والخرائط، والأمثلة، إضافة إلى الأنشطة التقويمية واللاصفية.

٣ــ إن التركيز الكبير على مستوى التذكر في الأهداف يجعل التربية تقليديــة تركــز على حفظ المحتوى وعدم الارتقاء إلى مستويات عليا من التفكير، ويقــترح البحــث تدريب المدرسين على صوغ أهداف تعنى بترجمة المضامين وتفسيرها وتطبيقها فــي مواقف جديدة.

٤ــ إجراء دراسة للكشف عن أثر التأهيل التربوي في اســتخدام منحــى الأهــداف السلوكية في التخطيط للدرس، والكشف عن مستويات الأهداف التي يضعها المدرسون المؤهلون تربويا.

٥ــ متابعة إجراء دراسات مماثلة لهذه الدراسة في محافظات أخرى في الجمهوريــة العربية السورية.

٦ــ إجراء دراسة ميدانية مقارنة (وليست تجريبية) للكشــف عــن الفروقــات فــي التحصيل بين طلاب المدرسين الذين يستخدمون المنحى السلوكي في التخطيط وطلاب المدرسين الذين لايستخدمون هذا المنحى.

المراجع العربية

١ــ الحصري، علي منير، طرائق تدريس الجغرافيــة. منشــورات جامعــة دمشــق ١٩٩٥.

٢ــ دمياطي، فوزية ابراهيم يعقوب، فاعلية وضوح الأهــداف الســلوكية والأفكــار الرئيسية للدرس لدى المتعلم على تحصيله الدراسي في مقرر التاريخ. المدينة المنورة ١٩٩١.

٣ــ سكيكر، فياض "دراسة تحليلية لمحتوى كتــب ومنــاهج الجغرافيــة للمرحلتيــن الإعدادية والثانوية في مجال التربية البيئية" رسالة ماجستير غير منشـــورة، جامعــة دمشق، كلية التربية ١٩٨٨.

٤ــ سليمان، فارعة "تقويم الجغرافية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية" رسالة ماجســـتير غير منشورة، جامعة الاسكندرية، كلية التربية ١٩٧٥.

٥ــ عبد المقصود، محمد "فاعلية التدريس باستخدام الأهداف السلوكية على تحصيــل طلاب الصف الثالث الثانوي بسلطنة عمان في مادة الجغرافية" دراسات في المنــاهج وطرق التدريس ٩ ص ص ٧٧ ـــ ٩٠ ـــ عام ١٩٩٠.

٦ــ مراد، سمير، تقويم منهاج الجغرافية في المرحلة الإعدادية في سورية وتصميــم منهاج مقترح للصف الثاني الإعدادي" رســالة دكتــوراه غــير منشــورة، جامعــة دمشق،كلية التربية ١٩٩١.

٧ــ وزارة التربية: الجغرافية الطبيعية، الأول الثانوي، المؤسسة العامة للمطبوعــات والكتب المدرسية ١٩٩٢ــ١٩٩٣.

المراجع الأجنبية

1- Booth, James. L.An investigation of the effect of two types of instructional objectives on student achievement and attitude; Unpublished Doctoral dissertation, Purdue University, West Lafayette, Indiana, 1974.

2- Brown et al, Classes of Florida Taxonomy of Cognitive Behavior (F.T.E.P) URE 803-1968.

3- De Block Taxonomic des objectifies educative Revue Francais de Pedagogie No 105-1975 (P.P5-11)

4- Motillo, Joseph "Comparative analysis of achievement and attitudes of the twelfth Grade Pssc physics students when they receive an opposed to when They don't receive Behavior objectives prior to instruction", unpublished Doctoral Desertion, Wayne State, University, Michigan, 1973.

تاريخ ورود هذا البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٦/٢/٢

فوكوياما والخطاب الليبرالي في سقوط الايديولوجيا

د. عبد الحميد الصالح
قسم الفلسفة والاجتماع ـــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

يمثل العمل "قراءة" للخطاب الليبرالي المعاصر في سقوط الايديولوجيا ممثلاً بـ"فوكوياما" في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" وذلك انطلاقاً من العلاقة بين "القراءة" و"الخطاب".

يؤكد فوكوياما: أن العلم والتكنولوجيا والبحث عن الاعتراف أو المنزلة أدت إلى انهيار الايديولوجيات، وإقامة الدولة الرأسمالية الليبرالية في صيغتها الأمريكية بصفتها تمثل نهاية التاريخ ويتخذ في قراءته للحضارة المعاصرة، من أفكار بعض الفلاسفة: (هيجل، كانط، هوبز وغيرهم) مرجعية فلسفية لتبرير مشروعية طرحه.

يعود البحث إلى فلسفات هؤلاء الفلاسفة ويعيد طرح إشكالية التاريخ معهم مباشرة، ليؤكد أن الإشكالية ليست كما صرح بها فوكوياما في كيفية نهاية التاريخ أو منطق التاريخ في بناء الدولة الليبرالية والتأكيد على أن القول بنهاية الايديولوجية، هو قول ايديولوجي.

في البدايــة، لابد من تعيين الحدود التي تنطلــق منهـــا فرضيــات هــذا البحــث واستنتاجاته، فالموضوع الذي نعالجه، أثار من الجدل الصاخب على النطاق العـــالمي ما لم يثره أي موضوع آخر، والعمل الذي سنتخذه نموذجا[1]، غزير المادة، خطير من حيث المسائل التي يتطرق إليها، والمنهجية التي يتبعها، والاستنتاجات التي يتوصـــل إليها.

ونحن لا نريد تناولها كلها، إلا في الحدود التي تحافظ على وحدة الموضـــوع الــذي ندرسه في نطاق معطيات حالة واحدة منه، هي الأيديولوجيا، وهذا يقتضينـــا تحديــد المعنى الذي نبحث به عن التوجه الايديولوجي في ((نهاية التاريخ)) على أننا لا نرفض كل المعطيات التي جاء بها، بل ما نرفضه، هـــو طريقـــة تـــأويل هـــذه المعطيـــات وتوظيفها، لهذا، سوف ننطلق من محاورته من خلال شروطه ومفاهيمه التي أنتجـــها بالعلاقة معها، أي البحث في الشروط التي أدت به في هذه الفترة بالذات، إلى طـــرح هذا الموضوع واستخلاص نتائج، يعتقد بأنها حقيقية علنا نصبح أقـــرب إلـــى إدراك الحقيقة (النسبية) من تلك التي أنتجها فوكوياما.

فموقف الرفض لكل ما جاء به من وقائع، ليس صحيحا مـــن الناحيـــة المعرفيـــة، أن فوكوياما وأمثاله مهيأون (بحكم موقعهم)[*] للقيام بمثل هذه الدراسات التي تشتمل علـــى الكثير من المعطيات والحقائق الجزئية، التي لا نستطيع تجاوزها بمجرد الإعلان عـــن توجهها الايديولوجي، لأننا حين نكتفي بوصف فكر الآخر بالايديولوجي، لا نكون قـــد غادرنا الايديولوجيا نحو ممارسة نقدها، ومجرد الوعي بالسمة الايديولوجيـــة لفكـــرة ما،لا يخلق في ذاته شروط تجاوزها، فما يقدم الآن، هو استمرار للأبحاث الاجتماعيـــة

(١) نهاية التاريخ وخاتم البشر، فرانسيس فوكوياما، ترجمة حسين أحمد أمين.

(*) عمل فوكوياما نائبا لمدير مجموعة تخطيط السياسة بوزارة الخارجية الأمريكية، وهو مستشار مؤسسة راند كوربوريشن في واشنطن، ياباني الأصل، أمريكي الجنسية.

الفلسفية الغربية التي بدأها ((أوغست كونت)) في (الدروس الوضعية) وتلاه في إبـــراز هذا الاتجاه ((ليفي بريل)) في كتابه (العقلية البدائية).

ثم اتخذت بعد ذلك، صوراً أكثر تقدماً، دفعتها إليها أهداف تبرز سمتها الايديولوجيـــة اليوم، في ارتباطها بالأهداف العملية لمسألة الهيمنة الرأسمالية ــ الأمريكية، المتولـــدة عما يسمى ((النظام العالمي الجديد)).

ومعظم الباحثين من نمط فوكوياما ــ مرتبطون بالسلطة التي يقومون بأبحاثهم لخدمـــة مخططاتها وأهدافها، فالسياسة تمد المعرفة بـــالموضوع، والمعرفـــة تمـــد السياســـة بالمعطيات كما تمدها ــ وهو الأهم ــ بصيغ للتعبير، لتبرير مشروعيتها،التي يدخـــل في إطارها (بعد تفكك المنظومة الاشتراكية، وانهيار الاتحاد السوفييتي) جعلُ ظـــاهرة الهيمنة مقبولة من الطرف الذي يكون موضوعاً لها دون مقاومة، كما تـــبرز الســـمة الايديولوجية للعلوم والفلسفات الغربية، وبخاصة الأمريكية منها، فـــي موقفـــها مـــن إسرائيل بوصفها ظاهرة استعمار استيطاني، فإنّ تلك العلوم لا تضع هـــذه الظـــاهرة، موضع تساؤل إطلاقاً، بل إن اتجاه كل الأبحاث يسير في طريق إيجاد الســـبل التـــي تضمن استمرار الظاهرة، كما ضمن استمرار أمريكا بعد القضـــاء علـــى أصحـــاب الأرض الأصليين.

وإذا فكرنا في الظاهرة من خلال أية صيغة، ولتكن صيغة ((اختــــــلال التـــوازن)) مثلاً، فإن تلك الأبحاث لاترى الاختلال إلا في المظاهر التي تعوق استمرار إســـرائيل /الظاهرة، واستمرار الهيمنة الاستعمارية، لهذا تعجز عن رؤية أنواع الخلل التي كانت سبباً له كما تعجز عن رؤية ما مارسته وتمارســـه مـــن تفكيـــك للبنـــى الاقتصاديـــة والمجتمعية في الوطن العربي وهدم خصوصيته الحضارية والثقافيـــة،لأنـــها تريـــد الحيلولة دون إدراك الظاهرة في صورتها الموضوعية، من حيث العوامل التـــي أدت إلى نشأتها وتطورها، بل وجعل الظاهرة تبدو وكأنها قدر العرب الذي لا مفر منه،ولا

يمكن تجنبها، بصفتها نتاجاً حتمياً للنظام الرأسمالي وتطوره الاقتصادي وتعدد قواه الإنتاجية التي تطرح في السوق إنتاجاً هائل الكم، يقتضي ضرورة إيجاد أسواق لتصريفه، وتجنباً للأزمات الخانقة التي يمكن أن يؤدي إليها فائض الإنتاج تطرح المشاريع ((الشرق أوسطية)) التي تبدو للبعض وسيلة لتحديث المجتمعات التقليدية، بنقل نتائج الحضارة الغربية إليها مع ما يرافقها من مظاهر التقدم التكنولوجي والديمقراطية وحقوق الإنسان، وحماية البيئة واقتصاد السوق والخصخصة . . . . فالمهم أن تستمر الهيمنة، وقد انتدبت مثل هذه الدراسات للبحث في وسائل هذا الاستمرار، ولا بد في النتيجة أن يظل المنحى العام لهذه الدراسات ايديولوجياً، كما لا بد من الاستمرار ـ بالنسبة لواقع الوطن العربي في قمع التوجهات التحررية والوحدوية وكل ما هو مضاد موضوعياً لظاهرة الهيمنة.

في ضوء الاعتبارات السابقة، نحاول قراءة عمل يمثل خير تمثيل، الخطاب الليبرالي المعاصر في سقوط الايديولوجيا، أو ما يمكن وصفه بـ ((التفريغ الايديولوجي))(*)

انطلاقاً من العلاقة الضرورية بين ((القراءة)) و((الخطاب)) من حيث أن الخطاب يعمد إلى إهمال أشياء، ويركز على أشياء، ومن حيث أن القراءة تولد مشكلات وتستخلص نتائج، قد تعارض مقدماته أو نتائجه أو مضمونه، أو كلها معاً، فيغدو الخطاب مُشْكَلاً وهو بصفته لغة، قد لا يقصد المعنى الذي يرد إلى الذهن لأول وهلة،فثمة خاصيات ذاتية تمنحه إمكانية إخفاء الغاية عبر كلام متصل بالصمت،يمثل الوجه الآخر للكلام، أو عبر الدلالة المكثفة لمعانٍ كثيرة يتخفى وراءها الآخر.

(*) كما يدخل في نطاق نظرية ((الداروينية الاجتماعية)) وهي نظرية غربية، تنطلق من الهيمنة الغربية والمركزية الأوروبية والاصطفاء الانتروبولوجي للغرب بحجة تحضير الشعوب المتخلفة وتمثل الحضارة الغربية ـ الأمريكية، التي أنيط بها نشر قيم الحرية والديمقراطية وهيمنة العنصر الغربي على العالم.

وفي ضوء هذا المنهج سنحصر اهتمامنا في تحديد معالم ذلك المسكوت عنه الذي تم استيعابه على صعيد الخطاب بصورة خفية، مستخدمين بعض المفاهيم الإجرائية للتوضيح، إلا أن تقديم قراءة يقتضينا تحديد نوعها، أهي قراءة (استنساخية) تلتزم بالنص، تسكت عما سكت وتنطق بما نطق وتكرر ذات الخطاب . . . . أم هي قراءة (تأويلية) تحاول إعادة إنتاج الخطاب بوعي، فتؤوله وفق غاية مسبقة، وهو ما ينطبق على القراءة التي قام بها فوكوياما لكل من((هيجل)) و((كانط)) وأسلافهما، أم هي قراءة (تشخيصية) تبحث في بنية الخطاب، فتحدد المسكوت عنه الذي ربما فاق المقروء أهمية وخطورة، وهذا النوع من القراءة (وهو الذي نستخدمه)،يقتضي تفاعلا نشطا بين القارئ والمقروء والدخول مع الآخر في علاقة سجالية.

وقراءتنا لا تعنى بمجرد هدم الخطاب وصولا إلى نتيجة معاكسة تقول بـ ((تاريخ بلا نهاية)) لأننا سنقرأ مسألة ((نهاية التاريخ)) على الصعيد الايديولوجي قراءة تمكننا من وضع الخطاب الليبرالي في مجاله الصحيح، وذلك بتفكيكه وإعادة تركيبه للارتقاء به إلى مستوى الخطاب الإشكالي، والإشكال هنا، هو ذلك التضارب الذي يبرز بين تصورات ونتائج الخطاب وبين تصورات ونتائج القراءة، لهذا لابد من تعرف مرجعية الخطاب، لا سيما عند كل من كانط وهيجل في محاولتهما كتابة تاريخ عام للبشرية وقراءة فوكوياما لهاتين المحاولتين.

إن طرح مسألة ((نهاية التاريخ)) على الصعيد الايديولوجي، ليس جديدا ولكن الجدة تكمن في أن النهاية هنا، تعني التمام والاكتمال المقترن بتحقيق الغاية والوصول إلى الهدف، أو المرحلة الأخيرة من تطور البشرية وتلاشي التناقضات حيث يرى فوكوياما: إن المنطق الاقتصادي للعلم والصراع من أجل المنزلة ونيل الاعتراف، قادا إلى انهيار النظم الاستبدادية، اليمينية واليسارية وإلى إقامة الديمقراطية الليبرالية التي تمثل نهاية التاريخ ــ وتخلق مجتمعا مستقرا خاليا من التناقضات، مناسبا لإقامة

خاتم البشر.

إذن علينا العودة إلى أفكار أولئك الفلاسفة الذين يتخذ من قراءتهم مرجعية فلسفية يبرر بها مشروعية طرحه ((كانط وهيجل وهوبز ولوك وغيرهم)) لنعيد معهم طرح إشكالية نهاية التاريخ، أي نتعامل معهم مباشرة، فالإشكالية ليست كما صرح بها صاحبها في كيفية نهاية التاريخ، أو منطق التاريخ في بناء الدولة الليبرالية، أو تاريخية بناء هذه الدولة، بل تاريخية القول بهذا الطرح مما يستتبع التركيز على واقعها الزمني، ولكن قبل كل شيء، ما الايديولوجيا؟ وما الليبرالية؟

الايديولوجيا(*): لاشك أن مفهوم الايديولوجيا، قد أصبح مفهوماً معترفاً به في الفكر المعاصر بعد أن شاع تداوله بشكل ملفت للنظر، ولكنه، مع ذلك، ظل أقل المفاهيم ثباتاً وأكثرها إثارة للجدل، فهو عند بعضهم مفهوم علمي، وعند آخرين مفهوم مبهم مبتذل، حتى أنه يمكن أن يكون سبة أو تحقيراً، مما يؤكد أن المفهوم نفسه قد أضحى موضوعاً لعملية أدلجة مكثفة لكثرة ما كتب فيه من نصوص جدالية وما أثاره من مناقشات صاخبة، لو أُتيح لها أن تنمو إلى حدودها القصوى لأعطت انعكاساً حياً عن الوضع، وهي على كل حال، امتداد للتنازع منذ ولد هذا المصطلح مما أضفى عليه صفة (التاريخية) و(التراكمية) أمّا كيف يتم التوجه في الايديولوجيا فتلك إشكالية جديدة يجري التنافس فيها الآن.

وإذا كانت الايديولوجية اليوم تعني جملة من التصورات والأفكار التي تقترب من مفهوم المذهب السياسي، فقد استهدف الإيديولوجيون منها تأسيس (علم الأفكار) أو منهج علمي عقلاني يُعنى بدراسة الأفكار والمفاهيم المجردة ويبحث شروط مطابقتها للحقيقة وإذا كان الإيديولوجيون يقولون: إنّ على اللاهوت(فلسفة طفولة العالم) أن

(*) لمزيد من المعلومات عن الايديولوجيا ، راجع كتابنا (مبادئ الفلسفة) ص (١٥٨-١٩٤).

يخلي الساحة فالأرجح أنهم لن يوافقوا على أن تخلي الايديولوجيا ذاتها الساحة وبهذه السرعة كما يريد فوكوياما، فقد جرت محاولات عدة من قبل فلاسفة وعلماء اجتماع ومفكرين سياسيين غربيين محدثين، تعبر بصورة أو بأخرى عن ضرورة تفريغ أو تحرير الفلسفة من الايديولوجيا بالاستناد إلى (العقلنة الناجمة عن التقدم العلمي والتقني، كما يعني بالنتيجة(نهاية الايديولوجيا) ورأى بعضهم أن التفريغ الايديولوجي، ليس ضرورياً إلا فيما يختص بالفلسفة وعلم الاجتماع الماركسيين، بحجة أن القراءة الماركسية المعاصرة، للواقع تناقض أسس الماركسية(الأرثوذكسية) فتحولها إلى عقبات تعوق حل المشكلات فيغدو التفريغ حلاً لكل التناقضات بين الرأسمالية والاشتراكية، على أساس أن الايديولوجيا بصفتها وعياً زائفاً ــ حسب ماركس نفسه ــ تعكس المجريات الواقعية بصورة مشوهة تعوق الالتقاء بينهما لذلك لا بد من نبذ الايديولوجيا.

ولكنّ تحليلاً معمقاً لهذه الاتجاهات، يؤكد أن تيارات الفكر الغربي واتجاهاته لا تحتلف ولا يمكن أن تختلف ــ من حيث المبدأ ــ إنما يرجع الجدل بينها إلى نوع من تقسيم العمل يحسّن فعالية نقد أية ايديولوجيا معارضة للنظام الرأسمالي وتأييده،فجميع حجج الإيديولوجيين الغربيين تكون مفروضة من قبل المؤسسات المهيمنة ذات التأثير القمعي على المعارف الفلسفية والسياسية والاقتصادية والسوسيولوجية التي تعكس الواقع الرأسمالي باتجاه دفاعي.

أما الليبرالية: فتعني المذهب الحر أو التحررية، وهي منهج الرأسمالية وأساسها،مذهب يقوم إلى حد كبير على فكرة الحرية النردية سياسياً واقتصادياً وفكرياً ودينياً . . . . ويلخصه شعار سميث (دعه يمر دعه يعمل) وتهدف الليبرالية إلى تنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع على أساس القانون الطبيعي الذي يسمح بتحقيق مصلحة الفرد لتتحقق عن طريقها مصلحة المجتمع، ويتم ذلك بأن تكف الدولة عن التدخل في شؤون الأفراد.

على أساس هذا الفهم سنحاول تكوين الخطاب الليبرالي في سقوط الايديولوجيا من خلال قراءة فوكوياما للحضارة المعاصرة لأنها تمثل القراءة الليبرالية، وإن كانت القراءة تحمل في ظاهرها سمة البناء بناء دولة نهاية التاريخ التي سيعيش فيها خاتم البشر السعيد.

غير أن واقع الأمر يعكس حقيقة أنه ينظر للسقوط وليس للبناء لأن ما حفزه على قراءة الواقع هو سقوط الايديولوجية المقابلة، أي الاشتراكية بوصفها ممارسة سياسية،وعليه، يمكن أن نعد خطابه تنظيرا لسقوط ايديولوجيا، أسهمت بصورة ما في صنع الحضارة الإنسانية المعاصرة، وعلينا أن نجعل الخطاب ينطق صراحة بما كان عليه أن يقوله، كيف؟

يستشهد فوكوياما بما قاله العالم السياسي صامويل هاينتنجون المعادي للشيوعية: ((إن لدى الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتي، أشكالا من نظم الحكم بيد أن الحكومات في كل من هذه الأنظمة الثلاثة، تبسط سيطرتها، ذلك أن كلا من هذه الدول يشكل مجتمعا سياسيا يسوده إجماع طاغ بين الناس على شرعية نظامه السياسي، وفي كل دولة من هذه الدول يتفق المواطنون مع قادتهم حول مفهوم الصالح العام للمجتمع،وحول التقاليد والمبادئ التي هي أساس الجماعة السياسية[٢] ومع كل المشكلات المعترف بها في المجتمعات الشيوعية فإن حكامها قد توصلوا إلى إبرام عقد اجتماعي مع شعوبهم من النوع الذي يسخر من المثل السوفييتي القائل:

((الحكام يتظاهرون بأنهم يدفعون أجورا لنا، ونحن نتظاهر بأننا نعمل)).

هذا الكلام، يبدو بريئا وعاديا إن لم نقل صادقا، من حيث أنه لا يستثني أية دولة من تلك الدول من صفة الشمولية، ولكنه ما يلبث أن يضيف: ((مثل هذا النظام لا يمكن وصفه بالشمولية، ولا هو حتى مجرد صورة أخرى من الاستبداد مثل ديكتاتوريات

---

(١) فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين.

أمريكا اللاتينية، وربما كان خير وصف للاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية في عهد بريجنيف هو وصف((فاكلاف هافيل)) الذي أطلق على هذه الأنظمة اسم ((ما بعد الشمولية، كونها لم تعد أنظمة بوليسية دموية مثل تلك التي عرفتها الثلاثينيات والأربعينيات ولكنها ظلت مع ذلك تستند إلى ايديولوجية واضحة ذات نظرة شاملة لكل نواحي الحياة . . . . لقد كان فوكوياما واقعياً فاختزل مفهوم الايديولوجيا في جانب أساسي من جوانبها، هو الجانب السياسي أي انه ركز على الايديولوجيا بوصفها ممارسة سياسية، لا بوصفها رؤية كونية تشكل الممارسة السياسية أحد أجزائها،والجزء لا يساوي الكل، وعليه فإن خطاب الليبرالية في سقوط الايديولوجيا،على لسان فوكوياما، هو خطاب في سقوط جانب منها في أحسن الأحوال وهذا لا يعني الحكم بنهاية الايديولوجيا، وهو بالتالي خطاب في سقوط الخطاب الليبرالي نفسه.

كذلك عندما يتحدث عن كيفية إسهام التطور العلمي والتكنولوجي في تحقيق غاية التاريخ والوصول إلى الدولة العامة المتجانسة، الخالية من التناقضات، يتبين أن العلم في خطاب فوكوياما لم يسهم في بناء دولة نهاية التاريخ، بل أسهم في إسقاط نموذج دولة كان معارضاً لدولته، نموذج لو سقط لخلت الساحة من المنافسة، وهو ما حصل بالفعل، ولكن لا بد من إصدار بيان يتضمن انتصار نموذجه، فقد انتهت اللعبة وانتصر طرف وخسر طرف، فالطرف المنتصر هو الذي وصل إلى النهاية التي ينشدها، غير أن هذه النهاية، قد تكون بداية للعبة أخرى.

يستشهد فوكوياما في خطابه بحركة البيريسترويكا على أنها شاهد على انتصار الرأسمالية، وبصفتها (البيريسترويكا) تمثل العودة إلى الإيمان بالإله (الرأسمالية) الذي كفر به الاتحاد السوفييتي وسبب هذه العودة هو عدم القدرة على الاستمرار في عملية المنافسة مع الدولة الليبرالية، لضعف اقتصاد الاشتراكية، وحيث اتضح من خطب غورباتشوف وغيره من كبار موظفي الدولة السوفييتية أن من أهم الأسباب التي دعت

إلى التفكير بإصلاح جوهري للاقتصاد السوفييتي إدراكهم أن إغفال ذلك يثير مشكلات خطيرة في وجه قدرته على المنافسة الاقتصادية والعسكرية في القرن الحادي والعشرين، ولكن تحديث الاقتصاد يتطلب تطورا علميا وتكنولوجيا لا يتم إلا في ظل نموذج دولة ليبرالية مثل أمريكا ولأن حققت الاشتراكية هي الأخرى مكاسب في هذا الجانب، إلا أن تطورها، قد توقف عند حد معين، لم تستطع تجاوزه،وقد لاقت الايديولوجية الاشتراكية هزيمتها الكبرى في عالم اقتصاد ما بعد الصناعة، الدينامكي البالغ التعقيد وهي وإن كانت بسياستها الاقتصادية القائمة على التخطيط المركزي، قد حققت نجاحات في فترات سابقة، إلا أنه بعد الدخول في مرحلة التصنيع المتطور،كان عليها أن تخلي الطريق لنموذج أقوى منها يستطيع أن يحقق لها النجاح،وكان من الممكن أن تلقي الايديولوجيا الاشتراكية حتفها منذ فترة طويلة،إلا أن سياسة المهادنة أفسحت لها مجال البقاء لفترة زمنية أخرى لا تستحقها، لأن الاقتصاد المركزي يفشل في اتخاذ قرارات سريعة بسبب البيروقراطية الإدارية، في حين يحتم واقع التصنيع الدقيق أن تكون القرارات سريعة ((لقد فشلت الاقتصاديات المركزية، في اتخاذ قرارات منطقية في مجال الاستثمار وفي الاستخدام الفعال للتقنيات الجديدة في عمليات الإنتاج وإنما يحدث هذا فقط حين يتلقى المديرون معلومات كافية عن آثار قراراتهم في صورة الأسعار التي تحددها مقتضيات السوق))[1]، والمنافسة هي التي تضمن توافر مثل هذه المعلومات بسرعة وفي ضوئها يمكن الحكم على فعالية النظام الاقتصادي أو المشروع الاقتصادي، أما في ظل الاشتراكية فإن هذه المعلومات لا يمكن توافرها بسبب انعدام المنافسة، كما أن فشل الاقتصاد الاشتراكي يعود إلى مسألة الابتكار التقني ((فالبحث العلمي ينطلق على أحسن ما يكون في جو الحرية الذي يسمح فيه للناس بالتفكير والاتصال كما ويسمح أيضا، وهو الأهم، بأن يكافأ الناس على

---

[1] المرجع نفسه ص٩٥ .

إبداعهم)) [١].

كان بوسع الاتحاد السوفييتي أن يدلل علماء الطبيعة النووية، غير انه لم يلق بالاً إلى مصيممي الأجهزة التلفزيونية التي كانت تنفجر بعد فترة.[٢]

ربما كانت وجهة نظر فوكوياما حول سقوط الايديولوجيا فيما سبق، غير واضحة وغير دقيقة ومليئة بكثير من علامات الاستفهام، غير أن الأمر هنا سوف يكون أكثر وضوحاً ولا يستدعي مجهوداً فكرياً كبيراً، بل شيئاً من التنظيم الفكري البسيط.

إن البحث عن التقدير والاعتراف هو الذي يجعل وجهة نظر فوكوياما في سقوط الايديولوجيا واضحة ومتماسكة بعض الشيء، إذ إنه في هذا الجانب يمس جزءاً من الحقيقة، فالجانب السياسي العملي في الايديولوجيا الاشتراكية المطبقة في الاتحاد السوفييتي أثبتت أنه نظام لا معقول، وإن كان في الظاهر يستند إلى مرجعية معقولة ومقبولة منطقياً، وهذا يعني أن الخلل الذي حصل في الاتحاد السوفييتي هو نتيجة سوء التطبيق، يتحمل مسؤوليته القياديون الذين أشرفوا على هذه العملية.

الرغبة في الاعتراف والتقدير بصفتها المحرك الأول لتاريخ البشرية، تبدو غير مفهومة بل ومصطنعة، فالناس في الغالب لا ينظرون إلى الحياة السياسية على أنها صراع من اجل نيل الاعتراف بل بصفتها منافسة أو صراعاً من اجل السلطة أو الثروة أو غيرها مما تتطلبه حياتهم أن البحث عن ((الاعتراف)) كمفهوم، ينسب إلى هيجل، ولكنه مفهوم قديم قدم الفلسفة نفسها وإن كان لم يعرف كظاهرة نفسية تشير إلى رغبة الإنسان في نيل الاعتراف، فقد عرف أول تحليل لظاهرة الرغبة في الاعتراف في جمهورية أفلاطون، في محاورة تدور بين سقراط وكل من غلوكون

---

[١] المرجع نفسه ص٩٥ .

[٢] المرجع نفسه ص٩٣ .

واديمانتوس حول طبيعة المدينة الفاضلة، وحاجتها إلى الحراس الذين رأى سقراط أن ميزتهم الرئيسية هي الثيموس التي تقترب من معنى الشجاعة والغضب أو الاستعداد للمخاطرة بالحياة التي يتصف بها المحارب وهو يقاتل الأعداء دفاعا عن مدينته أو هي أشبه بحس إنساني فطري بالعدالة، حيث يؤمن الإنسان أن لنفسه قيمة وحين يتصرف الآخرون على أساس أن قيمته أقل مما يظن يعتريه الغضب . . . . ويدخل في تحالف مع ما يبدو له أنه العدل، استعداد لخوض المعركة[1] مهما كانت المعاناة. وعليه، فالثيموس عند أفلاطون تقابل المصدر النفسي للرغبة في الاعتراف عند هيجل وهي عند ميكيافيلي، التعطش إلى المجد، وعند هوبز، الكبرياء والغرور، وعند روسوا الأنانية وعند هاملتون، حب الشهرة، وعند ماديسون الطموح، وعند نيتشه الوحش . . وتلك الصفات تشير بمجموعها إلى شعور الإنسان بالحاجة إلى إضفاء قيمة على أشياء من بينها بل وعلى رأسها هو نفسه وذلك الشعور هو المصدر الرئيسي للكبرياء والغضب والخجل ولكنه لا يرجع إلى الرغبة أو إلى العقل.

وتوصف الرغبة في الاعتراف بأنها الجانب السياسي من شخصية الإنسان الذي يدفعه إلى تأكيد ذاته في مواجهة الآخرين، أو هو الجانب الذي يسميه كانط((نزعة الإنسان إلى الاجتماع التي تتسم بطابع غير اجتماعي)) لهذا رأى العديد من فلاسفة السياسة أن المسألة الأساسية في السياسية هي ترويض تلك النزعة بحيث تصبح اجتماعية.

وتختلف الثيموس عن الرغبة في الاعتراف في كون الأولى تشير إلى جانب من الروح يضفي القيمة على الأشياء، في حين أن الثانية نشاط صادر عن الثيموس ومطلبه أن يشاركه وعي الآخر التقويم نفسه للذات، ومن الممكن أن يشعر المرء بالفخر الصادر عن الاعتراف دون أن يطالب به[1]

.

[1] الجمهورية ص٤٤٠ .

[1] المرجع نفسه ص١٥٢ .

فالتقدير حالة خاصة بالوعي لا بد أن يعترف به آخر للتأكد من الإحساس بقيمتنا يعبر عنه خير تعبير، برأي فوكوياما ــ مقال كتبه فاكلاف هافيل، قبل أن يصبح رئيسا لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٨٩ بعنوان((قوة الضعفاء)) يروي فيه قصة بائع خضراوات،يعلق بين البصل والجزر في الفاترينة شعار((يا عمال العالم اتحدوا)) ويتسائل: لماذا يفعل ذلك؟ ما الذي يحاول أن يقوله للعالم؟ وبعد أن يؤكد أن بائع الخضراوات ليس متحمسا لفكرة اتحاد عمال العالم وليس مكترثا بالمضمون الفكري للشعار، وهو لا يضعه رغبته في إطلاع الجمهور على مثله العليا، يقول، ولكن هذا لا يعني أن فعلته خالية تماما من الحافز أو المغزى، فالشعار علامة تتضمن رسالة لا شعورية محددة تماما، يمكن أن يعبر عنها بقوله: أنا بائع الخضراوات فلان، اعرف ما ينبغي واسلك السلوك المنتظر مني ولا عيب في، أنا مطيع، ومن حقي إذا أن أترك في سلام، ويتساءل مرة أخرى: ماذا لو صدرت التعليمات إلى البائع بوضع شعار في الفاترينه يقول: ((أنا خاف ولذا أنا مطيع من دون شك)) عندها سيختلف الاهتمام سيرتبك البائع ويخجل من نفسه لهذا الشعار المعبر عن مذلته، وهذا طبيعي، لأنه إنسان ولديه بالتالي إحساس بالكرامة، ولكي يتغلب على هذه الصعوبة، يجب أن يأخذ التعبير عن ولائه صورة توضح ولو ظاهريا قدرا من الاعتقاد المخلص ويسمح له بالقول: ((ما الضرر في أن يتحد عمال العالم؟ وبذلك يساعد الشعار في أن يخفي عن نفسه الأسس الوضيعة لطاعته ويرى فوكوياما أن الايديولوجيا الشيوعية قد أذلت الناس العاديين بإجبارهم على الوصول إلى حشد من الحلول الوسط الأخلاقية الدنيئة والتضحية بطبيعتهم الأنبل (وضع شعار . . .)، وقد حاولت الأنظمة الفاسدة في مرحلة ما بعد الشمولية في عهد بريجنيف أن ((تجعل الجميع متواطئين معها لا عن طريق الإرهاب، ولكن للغرابة الشديدة عن الطريق التلويح أمامهم بثمار الحضارة الاستهلاكية الحديثة . . . . أشياء صغيرة مثل ثلاجة كهربائية أو شقة أوسع أو إجازة في بلغاريا . . . ولذا فإن الشيوعية تعزز قوة الشهوة في النفس على حساب

الثيموس،اكثر مما تعززها البرجوازية[1] وليس الاتهام موجها للشيوعية لأنها لم تنجز وعدها بتحقيق الوفرة المادية الناجمة عن الكفاءة الصناعية، أو لأنها خيبت آمال الطبقة العاملة في حياة أفضل للفقراء، بل لأنها على العكس من ذلك تعرض هذه الأشياء في مساومة مذلة وتطلب في مقابل ذلك التضحية بالقيمة الأخلاقية، وقد أصبح ضحايا هذا النظام بإبرامهم لهذه الصفقة معضدين لاستمرار النظام، الذي أصبحت له بدوره حياة مستقلة عن رغبة أي شخص في المشاركة فيه[2].

وإذا كان فوكوياما يؤكد وجود عزوف عام، لدى المهتمين بالاستهلاك، عن التضحية ببعض الماديات في سبيل نزاهتهم الروحية والأخلاقية، فتلك ظاهرة لا تخص المجتمعات الاشتراكية وحدها، فإن نزعة الاستهلاك تدفع الناس في الغرب يوميا إلى التنازل عن قيم أخلاقية، وهم يكذبون على أنفسهم لا باسم الاشتراكية وإنما باسم أفكار مثل تحقيق الذات أو نمو الشخصية أو . . . .

ولكنه (فوكوياما) يصر على أن الاشتراكية قد انهزمت أمام الرأسمالية بسبب نجاح هذه الأخيرة في تقديم أفضل نموذج للاعتراف بإنسانية الإنسان وبقدره!!

وهكذا يبدو الخطاب بمجمله دعوة ايديولوجية جلية، فهو من أي موقع ينطلق منه،يعبر عن ايديولوجيا ويتطلع تطلعا ايديولوجيا، أنه ايديولوجيا، تحاول أن تكرس نفسها ومنظومتها، عبر نزع الشرعية عن ايديولوجيا أخرى وتجييرها لنفسها.

وإلى هنا نكون قد وضعنا خطاب فوكوياما في مكانه الصحيح بصفته خطاب سقوط وليس خطاب بناء لأنه لم يكن يحدث عن بناء دولة نهاية التاريخ بل عن نهاية الايديولوجيا وسقوطها، أو كما تبين معنا، سقوط جانب معين من ايديولوجيا معينة أعني سقوط الجانب السياسي من الايديولوجيا الاشتراكية.

---

[1] المرجع نفسه ص١٥٥ .

[2] المرجع نفسه ص١٥٥ .

من الممكن طبعا أن نتوقع زوال بعض الأشكال الايديولوجية الموجودة،وانتقال وظيفتها إلى أشكال مجاورة كما يمكن أن نتوقع نشوء أشكال ايديولوجية جديدة(مثل ايديولوجيا المفهوم العلمي . .) ولكن لا يمكن تصور وجود اجتماعي للإنتاج دون ايديولوجيا مناسبة له، بمعنى أن الايديولوجيا ليست ضلالا أو زيادة طارئة على التاريخ ((إنهاء بناء أساسي للحياة التاريخية للمجتمعات، وفضلا عن ذلك فإن ضروريتها والاعتراف بهذه الضرورة هما اللذان يسمحان بالتأثير في الايديولوجيا،وتحويلها إلى أداة واعية للعقل في التاريخ))[1]، لذلك يبقى القول بنهاية الايديولوجيا قولا ايديولوجيا.

عودة إلى محاولات كتابة تاريخ عالمي:

ربما كان كتاب كوندورسيه ((تقدم العقل البشري)) أول عمل يتضمن تاريخا عالميا مقسما إلى عشر مراحل تتميز مرحلته العاشرة ــ التي لم تبلغها البشرية بعد ــ بالمساواة في الفرص والحرية والديمقراطية والتعليم العام، ولعل المقالة التي كتبها كانط عام ١٧٨٤ بعنوان ((محاولة لكتابة تاريخ عالمي من وجهته نظرا عالمية)) أول محاولة جادة في هذا المجال، فرغم أنها لم تتجاوز ست عشرة صفحة، فقد وضعت الأسس التي قامت عليها فيما بعد، محاولات كتابة تاريخ عالمي حيث اتخذها هيجل على خلفية الروح المطلقة أساسا لمحاولته كتابة تاريخ عام للبشرية.

وكانت آخر محاولة لكتابة تاريخ عالمي هي محاولة فرانسيس فوكوياما في كتابة ((نهاية التاريخ وخاتم البشر)) اعتمادا على تراث كل من الفيلسوفين الألمانيين كانط وهيجل، وإن كان الهدف من قراءة كانط هو الخروج بفكرة ((نهاية التاريخ بصفتها مرجعية فكرية وتراثية راسخة في الحضارة الغربية، تخدم سياق فكرة فوكوياما الذي

---

[1] ميشيل فاديه، الايديولوجيا، وثائق الأصول الفلسفية ص(٢٣٨-٢٣٩)، ترجمة د.أمينة رشيد وسيد البحراوي.

ذهب إلى أن كانط قد قال: ((إن التاريخ ستكون له نهاية، أي هدف نهائي توحي به الإمكانات الراهنة عند الإنسان ويفسر لنا التاريخ أن هذه النقطة هي تحقيق الحرية الإنسانية))[1] وقد حدد كانط، بعبارات عامة، معالم الآلية التي سينتقل الإنسان بمقتضاها إلى المستوى المطلوب . . . هذه الآلية ليست العقل بل هي نقيض العقل: إنه التطاحن الأناني الناجم عن ((نزعة الإنسان للاجتماع التي تتسم بطابع غير اجتماعي)) فغرور الإنسان وروحه التنافسية وحسده ورغبته في السيطرة والحكم، هي بالضبط ينابيع الروح الخلاقة في المجتمع. من هنا كان علينا أن نتجه مباشرة إلى((كانط)) في هذه الفكرة ((نهاية التاريخ)) فربما كان الأمر مجرد قراءة تأويلية جديدة تهدف إلى تفسير النصوصُ وتوظيفها وفقا لمقتضيات الواقع الجديد، فقد كان ((كانط)) يعتقد ان ثمة غاية يتجه إليها التاريخ ويسعى إلى تحقيقها وهي ((حرية الإرادة)) التي تتحدد ـ عنده ـ وفقا لقوانين الطبيعة، شأنها شأن بقية الظواهر الطبيعية ومهمة التاريخ هي ((الكشف عن وجود نظام واطراد في مسلكها، وما قد يبدو للعيان مضطربا في الأفراد، يعد شاذا لا يقوم على قاعدة، يمكن أن ينظر إليه من جهة النوع على أساس انه يسير على هيئة تطور[2] رغم أن ((شعوبا بأسرها لا يكاد يخطر ببالها: أنه بينما يسلك كل منها سبيله وفق مراده وغالبا ضد مراد الآخرين، فهو مع ذلك إنما يحقق في الواقع غرض الطبيعة المجهول لديه ويستهويه في سلوكه من غير شعور منه، فتراه يعمل وفقا لمقتضيات لو تبينها لما احتفل بها إلا قليلا[3]، ذلك لأن من يستعرض تاريخ البشرية لا يجد فيه إلا الدماء والحروب والتدمير، مما يؤدي إلى الاعتقاد بأن التاريخ مجرد عبث لا هدف له، ولذا كان على الفيلسوف (طالما أنه ليس بمقدوره أن يفترض مقدما هدفا عقليا يسعى إليه الناس)، إلا أن يبحث عن بديل يجعله هدفا للطبيعة

---

[1] المرجع نفسه ص٦٧ .

[2] يول ماس وآخرون. النقد اتاريخي. ت. د.عبد الرحمن بدوي، الكويت ط٣ ــ ١٩٩٧ ص٢٨١ .

[3] المرجع نفسه ص ٢٨٢

وغرضا تسعى إليه ((الإرادة)) في مسلكها ولو كان منافيا للعقل،فالتاريخ، تبعا لذلك يسيطر عليه منطق الغائية.

ثمة غاية يتقدم صوبها ويسعى إلى تحقيقها وهي ــ برأي فوكوياما ــ ما اصطلح عليه بالديمقراطية الليبرالية ولكن، وفقا لأية آلية يتمكن الإنسان من الارتفاع إلى مستوى أعلى من العقلانية يكون نقيضا للعقل؟ نتابع مع كانط ((أن الوسيلة التي تتذرع بها الطبيعة من اجل تحقيق النمو في كل استعداداتها هي التعارض فيما بينها داخل الجماعة طالما كان هذه التعارض مؤديا في النهاية إلى نظام قانوني[1] فالوسيلة إذا لا عقلانية، وعلى ذلك يمكننا القول وفقا لمنطق ((كانط)) الغائي (وهو عكس ما يراه ماركيوز) بسيادة الظاهرة العقلانية من خلال اللاعقلانية فلدى الإنسان نزعة لا اجتماعية تنشأ فيه عند انخراطه في المجتمع، تهدد الجماعة بالتفرقة باستمرار،والميول المتنازعة في الإنسان هي التي تدفع إلى التطور والكشف عن كل الإمكانات والمواهب الكامنة في الإرادة. ((فالحمد للطبيعة إذا على الشقاق الاجتماعي والعبث المتسابق المتحاسد والطمع النهم في التملك والسلطان! فلولاها لبقيت كل الاستعدادات الطبيعية في الإنسان راقدة لم تظفر بحظها من النماء))[2]

الإنسان بطبيعته يريد الوفاق والسلام لكن الطبيعة تعرف خيره أكثر منه وتعرف أين يكمن كماله فتدفع به إلى الدخول في حومة العمل والكفاح لكي تخرجه من الركود والتراخي والقناعة المستبطلة، فيكتشف الوسائل . . . لكنه الشقاق مرة أخرى، يؤدي إلى توتر جديد في القوى وزيادة في نمو الاستعدادات الطبيعية، ولعل هذا كله((يكشف عن نظام أبدعه خالق حكيم، وليس إذا من روح خبيثة راحت تفسد عملها الرائع أو حملها الحسد على القضاء عليه))[1] بل هي على النقيض من ذلك روح طيبة تسعى إلى

(1) المكان نفسه ص٢٨٢ .

(2) المكان نفسه ص٢٨٦ .

(1) المكان نفسه ص٢٨٦ .

تحقيق كمال الإنسان وخيره وراحته وإن بطريقة لاعقلانية أو تبدو هكذا.

إن هذه الفكرة سوف تظل مسيطرة على منطق ((فوكوياما)) وسوف نلمس ذلك من خلال العرض، كما يظل الصراع ــ وفق كانط ــ قائما والتقدم مستمرا إلى أن يصل إلى تكوين مجتمع مدني برجوازي يحكمه قانون عام، ولما كان هذا المجتمع هو الذي يحقق أغراض الطبيعة بنمو كل استعداداتها في البشر، فهو في رأي كل من((كانط)) وقارئه ((فوكوياما)) المجتمع الوحيد الذي يتحقق فيه أكبر قدر من الحرية وفيه ترتبط الحرية بقوانين خارجية عليا وتستند إلى قوة لا تقهر (دستور، قانون) إلا أن وضعية الشقاق الاجتماعي هذه، التي يحكمها قانون خارجي هي التي تؤدي إلى أن يصبح ((المجتمع كالغابة التي تتكون من عدد من النباتات والأشجار يسعى كل منها إلى سلب الآخر الهواء والضوء فيحتاج كل منها إلى السعي إلى الآخر، فيؤديان معا عبر هذا الطريق إلى بناء مستقيم جميل وعلى النقيض من هذا، تلك التي تريد أن تستقل بنفسها وحريتها عن الآخرين، فتدفع بأعضائها إلى طلب ما تهواه وتراها تسمو نمو الموج مضطربا عاجزا[2])). ذلك هو المجتمع الذي عده كانط وقارئه فوكوياما المجتمع الأنسب لتطور الإرادة، غير أن كانط لم يكن يعتقد أن المجتمع البرجوازي أكثر من مرحلة من مراحل تطور ((الإرادة)) لأنه ((بعد كثرة من الثورات الإصلاحية سيتحقق ذات يوم ذلك الوضع الذي استهدفته الطبيعة وجعلته أسمى أغراضها، وهو بلوغ وضع دولي عام يكون بمنزلة الرحم الذي ستنمو فيه كل الاستعدادات الأصلية في النوع الإنساني[١]))متى؟ لا نعرف ولكن سيبقى هذا الهدف غاية التاريخ لأنه إذا تم الوصول إلى ذلك الوضع فإن هذا سوف يؤدي إلى الركود والتراخي والقناعة المتبطلة ويؤدي بالتالي إلى عدم نمو الإدارة. ولكنه رغم ذلك هو الوضع الذي وصلنا إليه وفق منطق فوكوياما، والسبب الذي دعا فوكوياما إلى الاتجاه إلى كانط واعتماده

---

(٢) المرجع نفسه ص٢٩٥ .

(١) المرجع نفسه ص٢٨٧ .

في قراءته فضلا عن اتخاذه ممهدا لهيجل هو اشتمال فلسفته علـــى فكــرة مركزيـــة الحضارة الغربية فتاريخ الإنسانية عبارة عن سلسلة يظهر فيها ((أن الأجيال الســـالفة تدير أمورها من أجل الأجيال التالية كما تهيئ لها درجة تستطيع منها أن ترفع البنيـان الذي تهدف إليه الطبيعة، وأن المتأخرين وحدهم، هم الذين ســيكون مــن حظــهم أن يسكنوا ذلك البناء الذي بنته سلسلة طويلة من أسلافهم))[٢] فكل الحضارات السالفة كانت تعمل أساسا من أجل هذه الحضارة وأحيانا دون قصد منها، فتاريخ الإنسانية حســـب قراءة كانط يبدأ من اليونان/ المعجزة، وهو التاريخ الذي يجب أن يقوم على أساســـه كل تاريخ آخر . . وهكذا إلى أيامنا هذه، وأما ما يخص دور الأمـــم الأخـــرى ومـــا أضافته إلى مسيرة ((الإرادة)) فإنه يظهر ــ بطريقة عرضية علـــى هيئـــة أحـــداث متناثرة و ((يكشف مسلكا منظما لإصلاح نظام الدولة في هذا الجزء من عالمنا، الـــذي لعله يشرع لبقية أجزاء العالم يوما ما))[٣] وهذا ما يجب أن تسعى إليه الحضارة الغربية وفق الصيغة الأمريكية.

تلك خلاصة بعض أفكار كانط في هذا الموضوع، التي يسعى فوكوياما إلى توظيفـــها لخدمة هدفه، وهي تطرح تساؤلا لا مفر منه هو: إذا كان تاريخ الإنسانية يبعث علـــى كل ذلك القدر من اليأس والتشاؤم، حيث لا نجد فيه غاية واحدة عاقلة على حد قـــول كانط، أفلا يدفعنا هذا إلى أن ننشد هذه الغاية في عالم آخر هو قطعا غير العالم الـــذي يدعو إليه فوكوياما؟، وهكذا تبدو محاولة كانط. من خـــلال قراءة فوكويامـــا،تمهيدا للمحاولة الجادة التي بذلهـــا مواطنه ((هيجل)) الذي نهض بمهمة إنجـــاز مشـــروع كانط، بعد وفاته، فمهمة هيجل ــ وفق قراءة فوكوياما ــ لهذين الفيلسوفين هي إتمـــام المشروع الكانطي وتصحيحه إذا لزم الأمر، مما يعني أن ثمة قواسم مشـــتركة فـــي القراءتين، فهيجل يتفق مع كانط في وجود نقطة نهائية لمسار التـــاريخ هـــي تحقيـــق

---

[٢] المرجع نفسه ص(٢٨٤ــ٢٨٥)

[٣] المرجع نفسه ص٢٩٦ .

الحرية هنا، وعلى الأرض و((تاريخ العلم ليس إلا تقدم الوعي بالحريـــة))[1] النقطـة الأساسية التي يختلف فيها هيجل مع كانط هي المبدأ الـذي يسير التـاريخ ويحكم أحداثه،فهو عند كانط الشقاق الاجتماعي، بينما هو عند هيجل الجدل الذي يعتمد أساسا على قانون التناقض، ففي الجدل الهيجلي يكون الصراع بين فرضيتين تنتصـر فيـه الفرضية التي تحمل تناقضا أقل، وقد وضعت قراءات كثـيرة فيمـا يخـص الجـدل الهيجيلي ((فالفلسفة الماركسية التي رأت أن الجدل الهيجلي يجعل الإنسان واقفا علـى رأسه)) أعادت الأمور إلى نصابها بأن جعلت البعـد المـادي الاقتصـادي أسـاس الجدل،مما يعني أن الجدل الهيجلي لم يعد يحدث على مسـتوى المناقشـات الفلسـفية وحسب إنما يحدث أيضا بين المجتمعات أو على حد تعبير علماء الاجتماع اليوم، بيـن النظم الاقتصادية الاجتماعية، وبات بوسع المرء أن يصف التاريخ بأنه حـوار بيـن المجتمعات يكون الفشل فيه حليف المجتمعات ذات التناقضات الداخلية الخطيرة،فتتبعها مجتمعات أخرى تنجح في التغلب على تلك التناقضات. فقراءة فوكوياما لهيجل النـي تتكئ على القراءة الماركسية التي أضافت إلى الجدل الهيجلي بعدا ماديا فوصل مـع الليبرالية الرأسمالية إلى فكرة نهاية التاريخ، اعتمادا على الصـراع بيـن الطبقـات الإقطاعية والبرجوازية داخل المجتمع الواحد إلا أن النتيجة التي ينتهي إليـها الجـدل عند فوكوياما لا تتفق مع النتيجة التي توصلت إليها القراءة الماركسية فإذا كان التاريخ عند هيجل ــ هو تقدم الوعي بالحريةـ ((فإن هذه الحرية ــ وفق قراءة فوكوياما ــ تتجسد في الدولة الدستورية الحديثة أو ما سمي بالديمقراطية الليبرالية فليس التـاريخ العالمي للبشرية إلا تفتح الإنسانية تفتحا مطردا على العقلانية الكاملة وعلى إدراك واع بكيفية تعبير هذه العقلانية عن نفسها في صورة الحكم الذاتي الليبرالي))[2]، فـالمجتمع الرأسمالي هو الذي انتهت ليه العقلانية الكاملة وانتهت فيـه التناقضـات ــ حسـب

---

(1) المرجع نفسه ص٦٩ .

(1) المرجع نفسه ص٧٩ .

فوكوياما ــ وليس المجتمع الاشتراكي إذ لم تعد الاشتراكية مرحلة أرقى تعقب الرأسمالية، بل أصبحت مع فوكوياما، جزءا من المرحلة الرأسمالية لأنها جزء من المرحلة التاريخية نفسها، مرحلة الديمقراطية الليبرالية الذي يتحدث عنها والتي سيعم فيها انتشار الحرية والمساواة جميع أنحاء العالم، وذلك رغم اعترافه بأن التأثير الوحيد الباقي للثورتين البلشفية والصينية (هو نشر مبادئ الحرية والمساواة بين الشعوب المقهورة وإجبار دول العالم المتقدم التي تعيش بالفعل وفق تلك المبادئ على تطبيقها تطبيقا اكمل)) [٢] وتلك محاولة مكشوفة لـ ((كتابة تاريخ عالمي)) اعتمادا على أفكار فيلسوف قرئت خصيصا لهذا الغرض وكل ما فعلته هذه القراءة، أنها قلبت المعادلة بحيث أصبحت الشيوعية إحدى المراحل التي يجب أن تمر بها الإنسانية وصولا إلى الرأسمالية وذلك بسبب التناقض الذي تحتويه طبيعتها، ولكن التساؤل الذي يطرح هنا هو: هل طبقت الشيوعية فعلا لكي يتسنى إطلاقا حكم كهذا عليها؟ هذا أولا،وثانيا،أليس من المنطق أن تأت الشيوعية قبل الرأسمالية لكي تستطيع الأخيرة تجاوزها؟، أما وقد حصل العكس وسبقت الرأسمالية الشيوعية فكيف يمكن لها أن تتجاوزها إلى الرأسمالية وفق الجدل الهيجلي الذي اعتمده فوكوياما؟ وفوكوياما معجب بكوجيف أو على الأصح بقراءته لهيجل فكوجيف يرى أن مبادئ الحرية والمساواة التي دعت إليها الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر قد وجدت ((الرحم)) الذي تنمو فيه والذي كان كانط يبحث عنه، وقد تحقق كل تجسيد لهذه المبادئ (في رأي كوجيف)، في بلدان أوروبا الغربية بعد الحرب أي في تلك الديمقراطية التي حققت درجة عالية من الوفرة المادية والاستقرار السياسي ذلك أنها مجتمعات قد خلت من التناقضات الأساسية راضية عن نفسها، قائمة بذاتها ليس أمامها أهداف سياسية كبيرة أخرى تسعى إلى تحقيقها وبوسعها الآن أن تشغل نفسها بالنشاط الاقتصادي وحده [١]

---

(٢) المرجع نفسه ص٧٩ .

(١) المرجع نفسه ص٧٤ .

وتلك نهاية التاريخ التي تعني نهاية الصراعات الايديولوجية الكبيرة ((نهاية الفلسفة)) وحتى يتسنى لنا الحكم على صحة هذه القراءة، لا بد من استعراض أفكار هيجل لنرى، هل تتضمن فعلا فكرة نهاية التاريخ؟ أم أن القراءة لا تعدو أن تكون توظيفا ايديولوجيا يعطي أفكار فوكوياما مرجعية فكرية لها مكانتها، وما القراءة إن لم تكن كذلك؟

إن تاريخ العالم ـ في نظر هيجل ـ ليس إلا تقدم الوعي بالحرية بمعنى أن التاريخ هو عبارة عن مجال تتجلى فيه الروح المطلقة و ((تاريخ العالم بالتالي يتمثل أمامنا بوصفه مسارا عقليا . . . فالعقل من ناحية هو جوهر الكون، اعني ما . . . به وفيه وجود كل واقع حقيقي وبقاؤه هو من ناحية أخرى الطاقة اللامتناهية للكون))[٢] فالفكرة الوحيدة برأيه ـ التي جاءت بها الفلسفة هي فكرة أن العقل هو الذي يدبر الكون وأن حوادث التاريخ قد جرت بطريقة عقلية.

اناكساغورس كان أول من قال بأن ((النوس)) أي العقل أو ملكة الفهم هو الذي يسوس الكون ((ليس العقل الواعي لنفسه ولا الروح بما هو الروح، بل يجب التمييز بوضوح بين هذين الشيئين. أن العقل هو الذي تتألف منه القوانين الثابتة التي تحدث بموجبها حركة النظام الشمسي، ولكن الشمس والكواكب التي تدور حولها بموجب هذه القوانين ليس لها وعي عن حركاتها، إن الإنسان هو الذي يستنتج هذه القوانين من الظواهر الطبيعية وهو وحده الذي يعرفها))[٣] ثم أجرى أفلاطون على لسان سقراط القول التالي: ((لاحظت أنه (اناكساغورس) لم يكن يستعين لتبرير ذلك (تفسير الطبيعة بموجب العقل . . .) إلا بأسباب خارجية كالهواء والأثير والماء الخ . . . بدل أن يعلل ذلك بالعقل))[١] وبتعبير أدق لم تكن الطبيعة تفهم على أنها نمو لهذا المبدأ وتنظيم

---

[٢] سالم يفرت، الزمان التاريخي ـ بيروت ط١ ١٩٩١ ص٢٧ .

[٣] اندريه كريسون واميل بربيه ـ هيجل ـ ترجمة د.أحمد كوى ص١١٦ ـ بيروت ١٩٥٥ .

[١] نفس المصدر ونفس الصفحة.

ناتج عنه، ولا أن العقل هو سببها. فالعقل المطلق أو ((الروح المطلقة)) التي تعادل في فلسفة هيجل ((فكرة الله))، هي التي تحكم التاريخ وتمده بالطاقة اللامتناهية، حتى تصل تلك الروح إلى مرحلة الوعي بذاتها)) فما تكافح الروح من أجله بالفعل هو تحقيق وجودها المثالي، لكنها إذ تفعل ذلك يختفي ذلك الهدف عن رؤيتها الخاصة وتفخر وترضى عن نفسها كل الرضا في هذا الاغتراب عن ذاتها[٢] فالروح تسعى إلى الكشف عن وجودها المثالي الخالي من التناقضات، فهي تتقدم دائما نحو شيء أفضل وأكمل وهي تنهج في ذلك نهجا مخالفا للطبيعة، فالتغيرات التي تحدث في الطبيعة تكرر نفسها، الجديد لا يظهر في تلك التغيرات التي تحدث في المجال الروحي، هذه الخاصية التي يتميز بها عالم الروح تشير في حال الإنسان إلى مصير مختلف أتم الاختلاف عن مصير الأشياء التي هي طبيعة فحسب والتي نجد فيها باستمرار طابعا واحدا ثابتا لا يتغير، يعود إليه كل تغير أما المصير الإنساني المختلف فهو القابلية الحقيقية للتغير وهو تغير إلى الأفضل والأحسن والنزوع إلى تحقيق المزيد من الكمال[٣] ولكن ما الآلية التي بموجبها تستطيع الروح المطلقة الوصول إلى مرتبة الوعي الذاتي والكمال؟

تستطيع الروح ــ وفق منطق هيجل ــ الوصول إلى وضعية الكمال بالاعتماد على الجدل أي الصراع بين المتناقضات حيث تنتصر الفرضية التي تحمل تناقضا أقل،وإذا عممنا ذلك على المجتمعات فإنها ستظل في حالة تقدم وتطور بهدف الوصول إلى الوضع النهائي المطلق الخالي من التناقضات وهو الوضع الذي تم الوصول إليه فعلا وفق قراءة فوكوياما لهيجل، أي المجتمع الرأسمالي، وذلك غير صحيح لأن الميزة الأساسية للجدل هي الحيوية المستمرة التي اكتسبتها نتيجة قانون التناقض فالتناقض

---

[٢] هيجل ــ محاضرات في فلسفة التاريخ ت. د.إمام عبد الفتاح إمام دار الثقافة القاهرة (من دون ط بدون تاريخ ص١٦٥).

[٣] المصدر السابق ص٦٣ .

جوهر القضية لأنها أساسا تتضمن نقيضها وتحوي بـــذور نفيـها، وهكـذا يسـتمر التقدم،مما يعني أن التوقف يساوي الموت.

ويمكن إجمال الأسباب الأساسية التي ألجات فوكوياما إلى قراءة هيجل والاعتماد عليها في سببين:

ـ يتمثل الأول في موقف هيجل من الحضارات والأمم والشـعوب الأخـرى وقولـه بمركزية الحضارة الأوروبيـة من خلال فكرة التقدم في التـاريخ التي تحكمها((فلسفة غائية للتاريخ تتساق وراء اكتشاف نشاطه التركيبي استنادا إلى وجهة نظر عن مساره ككل تربط الأحداث برباط واحد وتحيط اللثام عن خيط خفي يثوي خلف كل العصـور والأحداث))[١] فالمجتمعات العامرة وفق هذا التصور قامت خلال ذلك بنشاط تركيبـي عبر التاريخ نتيجة الصراع الذي يسودها.

يرى هيجل أن أنسب مكان لنمو الحضارة وتطورها هو المكان الذي يتميز بظـروف طبيعية مناسبة لذلك علينا أن نأخذ في اعتبارنا أولا تلك الطبيعة التي ينبغي أن تستبعد مرة واحدة إلى الأبد من دراما التاريخ ففي المنطقة المتجمدة والمنطقة الحارة لا يوجد الموقع المثالي لظهور شوب التاريخ العالمي[٢] وذلك لأن الوعي بالحرية يظهر فـي المناطق التي تتميز بالظروف والمؤثرات الطبيعية المحيطة،الملائمة، لأن كل تقدم هو عبارة عن انعكاس الروح على نفسها مقابل هذه الظروف، وعلى ذلك يكون مسـرح التاريخ الحقيقي هو المنطقة المعتدلة أو بالأحرى النصف الشمالي . . . وفي ضـوء هذه الشروط التي وضعها هيجل لنمو الحضارة وتطورها، يبدو ما قام به الأمريكيـون من استعباد للزنوج مبررا بل وطبيعيا، حيث كان الضعف البدني للسـكان الأصليين (الهنود) سببا رئيسيا في جلب الزنوج إلى أمريكا واستعبادهم من أجل الأعمال التـي

---

[١] سالم يغوت مصدر سابق ص٢٧ .

[٢] هيجل مرجع سابق ص٢٠١ .

ينبغي أن تتم في العالم الجديد ذلك لأن الزنوج كانوا أكثر تقبلا للمدينة الأوروبية من الهنود[١]، وإذا الأمر لا يعدو أن يكون محاولة لتبرير ما قام به الأوروبيون الذين استوطنوا الأرض الجديدة التي تعد أحد الأماكن المهيأة لاكتساب الروح فيها وعيها بذاتها وأصبحت فيما بعد المكان الذي انتهت فيه الصراعات والتناقضات وهو ذات المبرر الذي تعتمده بعض الدول الغربية في تقويمها للاستعمار.

فأمريكا إذا هي أرض المستقبل فهنا سوف يكتشف في العصور القادمة عنصر هام من عناصر تاريخ العالم وربما كان ذلك على شكل نزاع بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية . . . بلاد الأحلام لكل أولئك الذين ملوا أو ضجروا، مخزن الأسلحة التاريخي في أوروبا القديمة[٢] فالولايات المتحدة هي الأرض الموعودة لقيام الحضارة العالمبة فيها التي ستصبح غاية كل الحضارات السابقة واللاحقة عليها، لذلك كان على الأوروبيين أن يهاجروا إليها بعد أن تم القضاء على الأمة الأصلية(الهنود) والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا وبعد اعتماد قراءة هيجل للتاريخ، متى ستقضي أوروبا وأمريكا على الأمم الأخرى التي تقطن الأماكن المهيأة لقيام الحضارة؟ أليس هذا ما يجري في فلسطين وفي أماكن أخرى من العالم؟

السبب الثاني أو النقطة الثانية: هي موقف هجل من مسألة الرق، بعد أن اكتسب الاسترقاق أشكالا أخرى في الوضع الراهن، فالأوربيون استعبدوا الزنوج وباعوهم في أرض الميعاد الجديدة وإن كان ذلك أمرا سيئا فإن مصيرهم في بلادهم ذاتها أشد سوءا حيث توجد عبودية مطلقة بالمقدار نفسه، ذلك لان المبدأ الجوهري للرق أو العبودية هو أن يكون الإنسان قد وصل إلى مرحلة الوعي بحريته[١] فوقوع الزنوج تحت سلطان السيادة الغربية هو عبارة عن مرحلة يجب أن يمروا بها لكي يصلوا إلى

---

[١] هيجل مرجع سابق ص٢٠٦ .

[٢] هيجل مرجع سابق ص٢١٣ .

[١] المرجع نفسه ص٢٣١ .

مرحلة الوعي بالحرية. نظرا لاختفاء روابط الاحترام الأخلاقي لديهم التي يعتز بـــها الأوروبيون بعضهم تجاه بعض، كما يقول، وعملية مقاومة الزنوج لحملات الرق التي كان يقوم بها الأوروبيون ليست إلا نتيجة افتقارهم لاحترام الحياة التي كانت ســتمنحهم الوعي الحقيقي بالحرية في مكان آخر غير موطنهم الأصلي!!

ومن مميزات الشخصية الزنجية عند هيجل الافتقار لضبط النفس وعندهـا لا تستطيع أن تتطور لذلك فإن الرابطة الوحيدة التي كان يجب أن تقوم وأن تظـل بيـن الأوروبيون والزنوج هي الرق ولا يرى الزنوج في هذه الرابطة شيئا مشينا لا يليــق بهم بل إن الزنوج عاملوا الإنجليز أنفسهم على أنهم أعداء لأنهم بذلوا جهدا كبيرا فــي إلغاء الرق وتجارة الرقيق في بلادهم، ويمكن إذا ما نظرنا إلى الأمر في ضوء هــذه الوقائع أن ننتهي إلى القول: إن الرق كان فرصة ذهبية لزيادة الشعور الإنساني بيــن الزنوج. لهذا كان على الزنوج أن يحاربوا الإنجليز لأنهم كانوا سيقضون علــى هــذا الشعور بقضائهم على تجارة الرقيق التي تؤدي إلى تطور العبد عن طريق اعترافــه بسيده وإذا كان الأمر كما بينه هيجل، فما مصير بقية الزنوج الذين لم يتسـن لـهم ــ ربما لسوء الحظ ــ الوقوع في براثن العبودية؟ هل يجب عليـــهم أن يتجـهوا إلــى الأوروبيين بالرجاء لكي يستعبدوهم وينالوا الاعتراف بآدميتهم ويصلوا إلــى مرحلــة الوعي بالحرية؟.

ولكن ما علاقة موقف هيجل من الرق، بالموضوع الذي نعالجه الآن؟ يبدو وللوهلـــة الأولى أن هذا السؤال ليس في موضعه الصحيح غير أننا تعمدنا طرح السؤال في هذا الموضع بعد عرضنا السريع لموقف هيجل، فموضوعنا يحاول ان يرســم الخطــوط النظرية الأولى لمعادلة التعامل بين الدول المتقدمة التي وصلت إلى مرحلــة الوعــي التام بالحرية، وبين الدول المتخلفة التي لم تصل إلى هذه الوضعيـــة بعــد، ذلــك أن صاحب طرح "نهاية التاريخ" يحاول إسقاط موقف هيجل من علاقة السيد بالعبد علــى العلاقة القائمة اليوم بين الدول.

فهيجل يعتقد أن أوروبا تمثل مركز العالم القديم وأن حضارات الشعوب الأخرى هي مجرد حلقات يتحقق عن طريقها ((الروح الكلي)) ومراحل يصل بها إلى التحقق الكامل، لذا فإن الشعوب متمايزة تمايزا طبيعيا بفعل مرتبتها في مسيرة هذا التحقق،لكل شعب مبدؤه الذي إليه يتجه وكذا غايته ومهمة التاريخ الفلسفي أن يبين تسلسل صيرورة ذلك التحقق[١]، فتلك الأمم ستقوم بدور حلقة الوصل حتى يصل التاريخ إلى "نهايته" فالشمس تبزغ من الشرق وتغرب في الغرب وكذلك الأمر بالنسبة إلى الحضارة ((إن تاريخ العالم يتجه من الشرق إلى الغرب)) لأن أوروبا هي نهاية التاريخ على نحو مطلق . . . وعلى الرغم من أن الأرض تشكل كرة فإن ما أنجزه التاريخ لا يشكل دائرة حولها لكن على العكس شرق محدد هو آسيا، فها هنا تشرق الشمس الطبيعية الخارجية وفي الغرب تغرب وهنا بالمثل تشرق شمس الوعي الذاتي الذي ينبثق منها بريق أسمى[٢] فالشرق حسب قراءة هيجل لم يعرف إلا شخصا واحدا حرا، أما العالم اليوناني والروماني فقد عرف أن بعضهم أحرار في حين أن العالم الجرماني عرف أن الكل أحرار، ومن ثم فإن الشكل السياسي الأول الذي نلاحظه في التاريخ هو نظام الحكم الاستبدادي والثاني هو نظام الحكم الديمقراطي والثالث هو نظام الحكم الملكي[٣] وهنا يأتي دور فوكوياما في تأويل هذا النص وتوظيفه توظيفا جديدا حيث يقول: ((وعرفنا نحن أن الجميع أحرارا وأن الإنسان حر بوصفه إنسانا وتتجسد الحرية الإنسانية عند هيجل في الدولة الدستورية الحديثة أو الديمقراطية الليبرالية، وليس التاريخ العالمي إلا تفتح الإنسان تفتحا مطردا على العقلانية الكاملة وعلى إدراك واع بكيفية تعبير هذه العقلانية عن نفسها في صورة الحكم الذاتي

---

[١] د.سالم يغوت المرجع السابق ص٢٩ .

[٢] هيجل مصدر سابق ص(٢٤٢-٢٤٣).

[٣] المصدر نفسه ص٢٤٣ .

الليبرالي[١]، إذا فهي محاولة قراءة تاريخ البشرية من جديد عبر قراءة قديمة قام بـــها هيجل مع تغيير في نهاية القراءة ــ التوظيف، أي التوظيف الايديولوجي الجديد، ومن الواضح إن هذه القراءة تنطلق من مركزية الحضارة الغربية التي بدأت من الشـــرق وانتهت عند الغرب وحتى الأمم التي أسهمت في تطور هذه الحضارة فـــإن دورهـــا سطحي عرضي وهامشي ((يقول هيجل)) علينا أن نترك أفريقيا عند هذه النقطـــة ولا نعود إلى ذكرها مرة أخرى لأنها ليست جزءا من تـــاريخ العـــالم ولا تكشـــف عـــن حركة[٢].

البحث عن التقدير والاعتراف ــ هيجل:

يرى هيجل: ((أن أهم ميزة تميز الإنسان عن الحيوان، هي رغبته في أن يعترف بـــه إنسانا ذلك أن ما يشكل هويته، هو قدرته على المخاطرة بحياته لذا فإن لقاء الإنســـان الأول بغيره من البشر يؤدي إلى صراع عنيف، يسعى كل متنافس فيه إلـــى إجبـــار الآخرين على الاعتراف به من خلال المخاطرة بحياته))[١].

غير أن فوكوياما يمدد الفكرة فيذهب إلى أن هذه الطبيعة لا تقتصر على إنسان هيجـلي بل هي أيضا طبيعة الإنسان المعاصر، فأحداث التاريخ تثبت أن((الصراع من أجـــل نيل الاعتراف والتقدير واضح في كل مكان حولنا وهو أساس الحركات المعاصرة من اجل الحقوق الليبرالية، سواء في الاتحاد السوفييتي أو أوروبـــا الشـــرقية أو جنـــوب أفريقيا أو آسيا أو أمريكا اللاتينية أو حتى الولايات المتحدة نفسها.[٢]

ويرى فوكوياما أن الاختلاف الجوهري بين هيجل وماركس يتجلـــى فـــي اختـــلاف

---

(١) المصدر نفسه ص٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ص١٣٨

(١) المرجع نفسه ص١٣٨ .

(٢) المرجع نفسه ص١٣٧ .

موقفهما من المجتمع الأول أو الإنسان الأول، حيث رأى ماركس أن هـذا المجتمع ينقسم إلى طبقات على أساس العامل الاقتصادي، فهناك المالك وهناك المزارع . . . إلا أن هيجل يقسم المجتمع الأول على أساس الموقف من الموت والمخاطرة بالحياة لأجل نيل الاعتراف، قسم المجتمع إلى سادة، على استعداد للمخاطرة بحياتهم،وعبيد،على العكس، ليس لديهم استعداد لهذه المخاطرة. يقول: إن الفرد الذي لم يخاطر بحياته يمكن ((إن يعترف به كشخص ولكنه لن يدرك حقيقة هذا الاعتراف بوصفه اعترافا بوعي مستقل للذات))[٣].

يبدأ التاريخ عندما يعي الإنسان ذاته فعندما يكون الإنسان متحدا مع الطبيعة فإنه لا يعي ذاته، إذ لابد أن ينفصل الإنسان عن الطبيعة بحيث يصبح واعيا لنفسه حتى لو ظل هذا الوعي معتما للغاية لفترات طويلة من التاريخ، وهذه العملية ليست موجودة في النوع فقط وإنما في الفرد أيضا، فالطفل يولد عندما لا يعود متحدا مع أمه ويصبح ذاتا بيولوجية منفصلة[١]، وما إن يصل الإنسان إلى مرحلة الوعي بذاته حتى يدخل معركة مع الآخرين لكي يعترفوا به بوصفه ذاتا إنسانية وتكون نتيجة هذه المعركة إحدى ثلاث: قد يموت المتصارعان فتنتهي بموتهما الحياة نفسها بشرية كانت أم طبيعية وقد يموت أحد المتنافسين فيظل المنتصر غير راض عن الوضع إذ لم يعد ثمة وعي بشري آخر ليعترف به، وقد تنتهي المعركة بعلاقة بين سيد وعبد[٢] وبما أن المتصارعين لم يموتا لأن الحياة ما زالت مستمرة وكذلك لم يؤد الصراع إلى موت أحدهما فإن النتيجة النهائية كانت إذعان أحد المتنافسين للآخر ((أي)) الإذعان لوضع العبودية مفضلا إياه على خطر الموت وحينئذ يشعر السيد بالرضا إذ خاطر بحياته

---

[٣] هيجل فينومينولوجيا الروح ص٩٢٩ ترجمة د.خليل أحمد ضمن كتاب ايديولوجيا الإنسان ص٦١ .

[١] هيجل محاضرات في فلسفة التاريخ ت. د.إمام عبد الفتاح إمام دار الثقافة القاهرة ص٥٣ .

ونال الاعتراف والتقدير بسبب هذه المخاطرة من كائن بشري آخر[٣]ولعـــل النقطـــة الوحيدة التي كان فيها هيجل على صواب: إن الحقيقة الموضوعية لشخص ما لا تكمن ـ في ذاتها بل في شيء آخر سواها ولا شك أن هيجل قد انخدع بالقول: إن الاعـــتراف يتم من خلال صراع السيد والعبد إذ ليس الصراع هو الذي يكشف وعي الذات،فالأمر أكثر من ذلك لأن الاعتراف يتم بالمبادلة، والعقد هو الذي يضع شـــخصين (حريـــن) وجها لوجه ــ فلا سيد ولا عبد ــ وهما بهذه الصفة قادران على التعاقد مع ملاحظـــة أن هذا الوضع الذي تسوده الحرب وعدم الاستقرار يشبه الوضعية التي حددها كل من هوبز ولوك.

ولكن هل يرضي السيد أن يعترف به شخص أقل منه مرتبة في الوعـــي؟ ثـــم هـــل سيرضى العبد نفسه بهذه الوضعية؟ أم أنه سوف يسعى إلى نيل الاعتراف به إنســـانا؟ بمعنى آخر. من الذي سيحرك التاريخ؟ السيد الذي نال الاعتراف به أم العبـــد الـــذي خسر المعركة؟.

من الواضح أن العبد هو الذي سيحرك التاريخ لأن السيد لم يعد بحاجة إلـــى دخـــول الحرب من جديد فهو قد نال الاعتراف وانتهى الأمر وإن كان اعترافـــا ناقصـــا،لأن مصدره إنسان ناقص مقهور، من هنا تحتم على العبد أن يحرك التاريخ كي يخرج من الوضعية التي هو فيها، أما كيف؟ فـ ((بالعمل والسيطرة على الطبيعة يدلل العبد على أنه ما زال إنسانا رغم عبوديته للسيد، وكما يذكر كوجيف في كتابه: مقدمـــة لقـــراءة هيجل: إن الإنسان الكامل هو العبد الذي انتصر، فإن كانت السيادة الخاملـــة طريقـــا مسدودا فإن العبودية النشيطة هي مصدر كل تقدم إنساني واجتماعي وتـــاريخي ومـــا التاريخ إلا تاريخ العبد النشيط ولكن هذا لا يعني أن العبد قد أدرك ذاتـــه كمـــا أدرك السيد ذاته بمعنى أن العبد لن يسعى لنيل الاعتراف على أنه إنسان إلا إذا وعي ذاتـــه

---

[٣] فوكوياما ص ١٣٨

هو الآخر ومن المفترض ـــ عند هيجل ـــ أن العبد لا يعرف نفسه على أنه في ماهيته إنسان وهو تنقصه هذه المعرفة عن نفسه[١]، فالعبد لم يجرب الحرية ولم يعرفها ولكي يدرك ماهيته، عليه أن يرتفع إلى مستوى الفكر النظري، والمخرج الوحيد من هذا المأزق الفلسفي ـــ برأي هيجل ـــ هو اللجوء إلى مبدأ الملكية فالملكية تعني: أن للمرء الحق في توجيه إرادته نحو أي موضوع بوصفه غايته الحقيقية الإيجابية وعلى هذا النحو يصبح الموضوع ملكا له[٢]، وبالنسبة للسيد كان الاعتراف بذاته هو غايته الأساسية وموضوع هذه الغاية كان ذلك الآخر الذي دخل معه في معركة ولما لم تكن لهذا الموضوع في ذاته غاية فإنه يستمد معناه وروحه من إرادة هذا الإنسان فالإنسان له حق مطلق في أن يستحوذ على كل ما هو شيء[١] ومع أن العبد شيء لأنه لم يع ذاته إلا أنه هو الآخر يدخل في حرب أخرى مع الطبيعة فهو يحاول السيطرة عليها وتملكها وبذلك تتموضع ذاته في شيء خارجي، خارجة فيعي ذاته وينال بالتالي الاعتراف به على أنه إنسان؛ وبهذه الفعالية وحدها، بالملكية تتحقق تلك الفكرة مثلما تتحقق الخصائص المجردة بصفة عامة وتنتقل إلى حيز الفعل، لأنها بذاتها، لا قوة لها والقوة الدافعة التي تجعلها تعمل وتعطيها الوجود المتعين المحدد هي الحاجة والغريزة والميل وعواطف الإنسان[٢]، فالعبد يرغب في الانتقال إلى وضعية الوجود الفعّال لتأكيد شخصيته والشعور بالرضاء، لهذا فهو يجهد نفسه لأجلها وكان عليه،بالمقابل،أن يتخذ إشباعا خاصا به قد وجد هذا الإشباع في نهاية المطاف في السيد الذي كان هو الآخر على استعداد لأن يعترف به إنسانا، بعد تملكه للطبيعة وإدراك وعيه لذاته لأن السيد ـــ كما عرفنا ـــ ليس راضيا عن الوضعية التي هو فيها، لأنه قد نال الاعتراف

---

[١] هيجل أصول فلسفة الحق ـــ مصدر سابق ص١٣١ .

[٢] نفس المصدر ص١٦٠ .

[١] نفس المصدر ص١٦٠ .

[٢] هيجل ـــ محاضرات في فلسفة التاريخ ص١١٨ .

به من قبل شخص أقل منه ــ في الوعي ــ فالعبد موجود لأجل شخص آخر ومن هنا فإن السيد يترك العمل للعبد، وعليه، فسرعان ما يجد أن وعيه الذاتي واستقلاله ووجوده يعتمد على العبد وهكذا يلغي استقلاله ويتحول إلى الاعتماد على الآخر[٣].

وكما أن العبد يصل إلى الوعي الذاتي والاستقلال عن طريق العمل والسيطرة على الطبيعة.. وهكذا يعترف كل منهما بالآخر ويقبله على أنه وعي ذاتي،وهذا القبول المتبادل بين الذوات من الوعي الذاتي الكلي يظهر في نهاية التاريخ، وعندما يصل كلاهما إلى هذه المرحلة يكون التاريخ قد تجاوز، هو الآخر مرحلة الجدل، وصولا إلى الفكرة الكلية أو الروح المطلقة المتمثلة في الملكية الدستورية أو البرلمانية (هيجل)، أو الدولة الليبرالية الرأسمالية (فوكوياما). وهكذا نكون قد تعرفنا على طبيعة الإنسان الأول عند هيجل كما قرأها فوكوياما.

هوبز ولوك:

- إن الإنسان الأول كان يتحرك ويدخل في حرب من أجل المنزلة والتقدير ونيل الاعتراف، وبقي علينا ان نعرف القواسم المشتركة بين الإنسان الأول عند هيجل وعند كل من هوبز ولوك، طالما أن فوكوياما يرى أن كلا من هيجل وهوبز ولوك يسيرون في خط واحد وان كان لهيجل فضل إكمال طريق أولئك الذين وضعوا الأسس الأولية لمسألة التقدير والاعتراف.

تولدت فكرة هوبز الخاصة بالدولة ((اللوفياثان)) من خلال تصوره لخصائص الإنسان في حالته الطبيعية، التي تتميز بسيطرة الانفعالات التي كانت ومازالت مسيطرة حتى على الإنسان المعاصر لأنها كامنة فيه . . . وهنا رأى فوكوياما القواسم المشتركة بين إنسان هوبز وإنسان هيجل ((فهما يتميزان معا بالعنف الشديد، فالواقع الاجتماعي

---

(٣) إمام عبد الفتاح إمام دراسات هيجيلية ص٥٤ .

البدائي لا تسوده المحبة أو الوئام بل حرب كل إنسان ضد كل إنسان))[١].

وهكذا يدخل الإنسان في حرب ضد الكل أو كما يقول هوبز: ((هو في حالة حرب اعتراضيه ولو من الناحية النظرية)) وذلك بسبب عدم وجود قوة قهرية توقف الكل عند حدهم وتلهمهم الشعور بخوف مفيد[٢]، وإذا تساءلنا عن أسباب دخول إنسان هوبز هذه الحرب وجدناها ثلاثة كامنة في طبيعة الإنسان هي: التنافس وفقدان الثقة والمجد، وقد تدفع الرغبة في المجد، الناس إلى الغزو بسبب تفاهات أو من أجل السعادة. ومن اجل تحقيق المجد والسعادة يخاطر الإنسان بحياته، وهنا نصل إلى نقطة الالتقاء بين كل من هيجل وهوبز، فالإنسان الأول عند هيجل يخشى الحرب وبذلك يميل إلى قبول وضعية العبودية، خشية أن يفقد حياته، وفي المقابل، يعرف إنسان هوبز أن استمرار الحرب ــ حرب الكل ضد الكل ــ سوف يؤدي إلى وضع يستحيل فيه قيام صناعة وزراعة وفن وأدب وبالتالي استحالة قيام مجتمع، فضلا عن وجود حالة ((الخوف والخطر الدائم بحدوث موت عنيف، ولهذا فإن حياة الإنسان تتميز بالعزلة والكد والتعب وتكون شبه حيوانية وقصيرة، وهنا يصل هوبز قبل((هيجل)) إلى فكرة قيام علاقة بين السيد والعبد، لأن أحد المتحاربين كان خائفا من الموت، من أن يخسر حياته لذلك قبل تلك الوضعية.

وإذا كانت هذه نقطة الاتفاق، فإن ثمة اختلافات جوهرية بينهما في الموقف من العقلانية التي تنبثق عن ذلك الصراع من أجل الاعتراف والمجد، فـ ((هيجل)) يقر أ علاقة السيد بالعبد على أنها علاقة غير مقبولة، لأنها علاقة قهرية، وإن كان على يقين ــ مع ذلك ــ إنها ((مرحلة ضرورية من مراحل التاريخ البشري)) فهو يرى في كبرياء السيد وفي استعداده للمخاطرة شيئا حميدا، كما يرى في المقابل، في سعي العبد

---

[١] المرجع نفسه ص١٤٤.

[٢] شوفالية: تاريخ الفكر السياسي ــ ترجمة د.محمد عرب صاصيلا ــ بيروت ١٩٨٥ ص٢٢٦ .

للحفاظ على حياته شيئا مستهجنا ومع ذلك يقر بأن هذه العلاقة هي التي تحرك التاريخ، ونجد من جانب آخر، عند ((هوبز)) أن حفاظ العبد على حياته هي الحقيقة الأخلاقية الأساسية، وأن السعي إليها هو أساس المفاهيم كلها من عدل وحق وغيره... والخوف من الموت (عند هوبز) هو الذي يؤدي إلى قيام الدولة (اللوفياتان) حيث يلجأ البشر، دفاعا عن النفس والحماية إلى إيجاد ((هذا الإنسان الاصطناعي، ذي القوام والقوة الأعلى للغاية، من قوتهم هذا اللوفياتان(*) الكبير الذي هو الدولة أو الجمهورية أو الكمنولث))(2)، ومن أجل الدخول في هذه الدولة والوصول إلى الوضعية المرغوبة،كان على الناس أن يتخلوا عن جزء من إرادتهم لهذا الكائن الجديد الذي سوف يسعى إلى توفير الأمن والطمأنينة والاستقرار للمجتمع، وذلك لأن قوته تسمح له بذلك، فكأن كل واحد منهم قد قال للآخر: ((إني أجيز لهذا الشخص أن يحكمني وأتنازل له عن حقي بذلك، شريطة أن تتنازل له أنت عن حقك، وأن تجيز أعماله كلها بالطريقة نفسها))(1) وتلك نقطة أساسية في الاختلاف بين هوبز وهيجل فالأول يطالب الناس بالكف عن صراعهم من اجل نيل الاعتراف والتقدير، فالدولة عند هوبز تقوم بدور مناقض، لذلك الذي تقوم به أو من المفترض أن تقوم به عند هيجل، ودورها هو المحافظة على الوضعية القائمة التي تساوي وضعية الحيوان، ومع ذلك فإن فوكوياما يرى أن المسافة الفاصلة بين هوبز وروح العصر الديمقراطية الليبرالية الحديثة ــ قصيرة جدا، فهو رغم إيمانه بالسيادة المطلقة للملك، إلا أنه يرى أن هذه السيادة تستمد شرعيتها من المجتمع نفسه، لهذا((كان من السهل على جون لوك أن يعدل من نظرية هوبز بشأن سيادة الملك لتصبح نظرية في السيادة البرلمانية والتشريعية قائمة على

(*) اسم وحش بحري ورد الحديث عنه في التوراة.

(2) شوفالية ص٣٢٦ .

(1) المرجع نفسه ص٣٢٨ .

الأغلبية))[٢].

ولكن إلى أي مدى ينطبق هذا الكلام على فلسفة هوبز؟ الملك لديه سلطة مطلقة لا يحدها شيء، وهو الذي يقرر ما هو الخير وما هو الشر والعدل والظلم وهو الذي يمارس أيضا ما يسمى بالسلطة الروحية (الدين)، فهل هذه هي الروح الليبرالية الحديثة يا ترى؟

وفي الاتجاه نفسه الذي سار فيه هوبز نجد جون لوك يسير أيضا، فالإنسان الأول ــ عنده ــ ترك تلك الوضعية لأنه يرغب في الاعتراف به فيغامر بحياته في سبيل الحصول على التقدير، وعليه فإننا نرى اختلافا كبيرا وجوهريا بين إنسان الطبيعة عند كل من هوبز ولوك، فالوضعية عن الأخير ليست حالة حرب الكل ضد الكل كما هي عند الأول، بل أنها بالعكس ((حالة حرية ومساواة وليست حالة حرب محتملة للكل ضد الكل إنها ليست حالة إباحية))[٣]، وإذا كان الأمر كما قال جون لوك،فلم يترك الإنسان الأول هذه الوضعية ــ وضعية الملك ــ ويضحي بحريته؟ والجواب هو: ((أن الإنسان بالرغم من أن لديه مثل هذه الحق في حالة الفطرة، إلا أن استمتاعه به ليس مؤكدا إلى حد كبير وأنه معرض بصفة دائمة لإغارة الآخرين))[١] فالكل في تلك الوضعية متساوون كلهم ملوك أنداد، ولكن ما أثر ذلك على وضعية الإنسان الأول عند لوك؟ أو على الأصح ما مدى فعالية تلك الندية؟ ألا توفر له الاستقرار والاعتراف المتكافئ الذي افتقر إليه كل من إنسان هيجل وإنسان هويز؟ ثم إن للمسألة عند لوك أبعادا مختلفة عن تلك التي أقرها هيجل فــ ((العبد والسيد اسمان قديمان قدم التاريخ نفسه، فكلاهما يطلقان عل طرفين مختلفين من الرجال، فالرجل الحر قد يصبح خادما لرجل آخر إذا باعه بعض الخدمات مرة في الزمن أو تعهد بتأديتها لقاء الأجر الذي

---

[٢] فوكوياما ص١٤٦ .

[٣] شوفاليه ص٣٨٠ .

[١] عزمي اسلام جون لوك ــ دار الثقافة ــ القاهرة ص٢٣٩، السنة لا توجد.

يتقاضاه[2])) فالصراع في هذه الوضعية ليس هو الصراع عند إنسان هيجل، ذلـــك أن إنسان لوك يقاتل من أجل أشياء مادية في حين يعزف الإنسان الأول عند هيجل عـــن الرغبة في الممتلكات المادية لأنه يريد اعتراف الآخرين بحريته وإنسانيته، وهو فـــي سعيه من أجل نيل الاعتراف لا يأبه بالأمور الدنيوية لهذا لـــم يغـــادر إنســـان لـــوك الوضعية الطبيعية الأولى أو يتجاوزها إلى وضعية المجتمع المدني لأنـــه ببســـاطة لا يستطيع الاستمتاع بملكيته الخاصة في ظل تلك الوضعية حيث يصبح الوضـــع غـــير مأمون الجانب إلى درجة مرضية ((وهذا ما جعله راغبا في ترك هذه الحالـــة التـــي مهما كان فيها حرا، فإنها مملوءة بالمخاوف والأخطار الدائمة[3]))، أو لأن له أنـــدادا يستطيعون الاستحواذ على ملكيته والسيطرة عليها، فهو يفضل مغادرة هذه الوضعيـــة إلى وضعية المجتمع المدني الذي تتوافر فيه إمكانات حماية الملكية وذلك هـــو ســـبب لجوء الناس إلى الدخول في عقد اجتمـــاعي بـــهدف حمايـــة ملكياتـــهم الشـــخصية فـــ((الطريقة الوحيدة التي يمكن لأي فرد أن يتنازل بها عن حريته الطبيعية ويتحمـــل التزامات المجتمع المدني، تكمن في عقد اتفاق مع بشر آخرين والاتحاد فـــي جماعـــة بحيث يعيشون مع بعض في الرفاهية والأمن والسلام ويتمتعون بأموالـــهم ويحمـــون أنفسهم بشكل أفضل من أولئك الذين ليسوا منهم))[1] ففي هذه الحالة يتنازل الفرد عـــن الدور الذي كان يقوم به سابقا في الدفاع عن ملكيته إلى المجتمع الذي يؤدي عنه هـــذا الدور في حين يقوم هو بهذا الدور مع غيره من أفراد مجتمعه إزاء ملكيات الآخريـــن. وهنا على ما يبدو يكمن الاعتراف المتبادل، فهم يعترفون بملكياتهم التي تتموضع فيها ذواتهم وإراداتهم!.

والسؤال هنا: ألا يكون المجتمع في هذه الحالة بحاجة إلى نظام سلطوي معين للقيـــام

---

(٢) حسين صعب ــ علم السياسة ــ دار العلم للملايين ١٩٨٥/٨ ص٨٢٧ .

(٣) عزمي اسلام ــ مرجع سابق ص١٤٧ .

(٢) شوفاليه ــ مرجع سابق ص١٤٢ .

بهذا الدور على الوجه الأكمل؟ يقول جون لوك: متى وجد الناس أن أملاكهم لم تعد في أمن في ظل الحكومة كما كانت قبلا وبينما لم توجد الدولة إلا من اجل المحافظة على الملكية الفردية فعلموا إذ ذاك أنه لن يستقر بهم حال أو يهدأ لهم بال أو يصح لهم اعتبار أنفسهم في مجتمع مدني أصيل ما لم يعهد بالسلطة التشريعية لهيئة اجتماعية من الهيئات سواء دعوناها مجلس شيوخ أم برلمانا أو ما شابه))[٢].

وإلى جانب هذه السلطة التشريعية التي يدعو إليها لوك وهي قريبة الشبه بما يحدث حاليا في النظم السياسية الليبرالية، توجد السلطة القضائية والسلطة التنفيذية ويرى لوك أن الإنسان يدخل هذا المجتمع المدني ليس من أجل الحفاظ على الملكية الخاصة فقط وإنما لغرض الاستزادة من هذه الملكية لأن القانون والوضع الجديد يخوله ذلك ويقدم له الحماية اللازمة للقيام بهذه العملية، ولكن أين يجد فوكوياما، تأثير فلسفة لوك في المجتمع المعاصر؟ إن بدهيات توماس جيفرسون الخاصة بحق الناس في الحياة والحرية لا تختلف عن الحقوق الطبيعية في الحياة والملكية كما وضعها لوك، وقد ذهب المؤسسون الأمريكيون إلى أن الأمريكيين يتمتعون بهذه الحقوق قبل فرض أية سلطة سياسية عليها وهذا فعلا ما كان قد ذهب إليه لوك، وعلى ذلك يمكن القول: إن كلا من هيجل وهوبز ولوك قد أسهموا في وضع سلسلة تكاد تكون متصلة الحلقات تقود إلى غاية واحدة.

غير أن هذه السلسلة لم تكن في الحقيقة متماسكة الأجزاء والحلقات بالقوة نفسها فهيجل يطرح العلاقة بين السيد والعبد من أجل الاعتراف والمكانة، بينما تطرح هذه العلاقة عند كل من هوبز ولوك طرحا أخلاقيا من أجل الحفاظ على الحياة، وإذا كنا قد لاحظنا مظاهر البحث عن الاعتراف في علاقة السيد بالعبد أو في علاقة الأفراد الطبيعيين مع بعضهم في حالة الصراع والحرب أو في حالة المساواة، فأين يمكن أن

---

[٢] حسين صعب ــ مرجع سابق ص٦٣٣ .

نجد مظاهر البحث عن الاعتراف في المجتمع المعاصر يا ترى؟ مــــع ملاحظـــة أن فوكوياما، يأخذ على كل من هويز ولوك أن فلسفتهما في هذا الجانب كانت تحتم علـــى الإنسان التوقف عن البحث وعن التقديروالاعتراف لأن النظام الذي توصلا إليه كـــان أساسا لحل إشكال هو غيرالإشكال الذي كان يعانيه الإنسان الأول،بينما يختلف الأمـــر عند هيجل، وهنا أيضا يبرز سؤال: مع أي من هؤلاء المفكرين سيذهب في طرحـــــه السياسي، ما هو السند المرجعي لخطابه الفكري في هذه النقطة؟. إن المسألة هنا تبدو واضحة لا تحتاج إلى بذل جهد فكري كبير، لأن فوكوياما سيلجأ حتما إلى من يتفـــق معه في فكرته الأساسية (نهاية التاريخ) وبما أن أيا من الفيلسوفين: لوك وهوبز، لـــم يطرح هذه الفكرة، فلا بد أن تكون فلسفة هيجل، بداية (نهاية التاريخ) وخاتم البشر ولا يهم بعد ذلك، إذا انقلب الوضع وأضحى لزاما على الواقع أن يطابق الفكر.

العقل والتاريخ

لعله من السهل على الإنسان أن يجيب عن السؤال الفلسفي، ولكن من الصعب عليه أن يطرحه إذ يفترض في السؤال إن يحمل إشكالية عصره وأن يكون المرآة التي ينعكس فيها العقل الإنساني فمهمة الفيلسوف لا تتمثل في الإجابة عن هذا السؤال بقدر ماتتمثل في طريقة طرحه، مما يعني أن السؤال قد يتكرر من عصر إلى آخر،فقد كان السؤال الفلسفي القديم سؤالا في إشكالية الوجود بصفة عامة، بينما أخـــذ الســـؤال الفلســـفي المعاصر، طابع عصره وإشكاليته أي البحث في الوجود الإنساني ومعاناتـــــه، فظـــل مجال السؤالين واحدا، هو الوجود، إلا أن السؤال الأول كان عاما أما السؤال الثـــاني فأصبح خاصا بالإنسان بصفته جزءا من الوجود.

إن إشكالية نهاية التاريخ هي محاولة للإجابة عن سؤال قديم ربما كان الفكر الديني هو السبّاق في طرحه لكنه اليوم، جاء بطريقة أخرى،والنهاية هنا لا يقصد بـــها الإنتـــهاء المادي أو الفناء كما ورد في الفكر الديني بل يقصد بها النهاية الفكرية أو العقلية، التي

تمثلها نهاية الفكر الإيديولوجي نتيجة سيادة الفكر الرأسمالي في هذا المجال.

غير أن فكرة نهاية التاريخ، تناقض الفكر التي سبق أن طرحها "هيجل"، حين ربط بين "العقل والتاريخ"، فالعقل (بصفته التراكمية) لا يجد مجاله أو مسرحه إلا في التاريخ وخروج العقل من التاريخ "، يعني موت العقل، كما أن نهاية التاريخ هي الأخرى تمثل نهاية العقل وموته ذلك أن العقل يسعى دائما إلى الكمال، والتاريخ هو الطريق الذي يقود إلى الفكرة المطلقة التي تتجلى عبره بواسطة الصراع الجدلي بين الأفكار،الذي يستمر إلى أن يصل التاريخ بالعقل إلى الفكرة المطلقة، ولكن السؤال الذي يظهر هنا، هل تحتمل هذه الآلية مثل هذه النهاية.؟

إن المنهج الجدلي يتمتع بحيوية أكبر من أن تقف به عند هذا الحد، فالفكرة المطلقة،وفقا لحدها،غير محدده المعالم، وكلما وصل العقل إلى مرحلة اعتقد إنها هي الفكرة النهائية، فوجئ بأنها ليست هي الغايةً وذلك بسبب تناقص بعض جوانب هذه الفكرة.

أن القول بنهاية التاريخ يعني أحداث قطيعة بينه وبين العقل، فالتاريخ المقصود هنا هو التاريخ الإيديولوجي الذي يتميز بالتاريخية والتراكمية، وهو يكتسب هاتين الصفتين جراء اتصاله بالعقل، الذي يسعى دائما إلى تحقيق الفكرة المطلقة عن طريق إنشاء الأنماط الإيديولوجية التي ترصف له الطريق إلى تلك الفكرة، وهذا بالذات ما يعطي التاريخ طابعه التراكمي.

لقد سبق لـ"غاستون باشلار" أن أخرج العقل من مجال العلم، بإدخاله مفهوم القطيعة في مجال النظرية العلمية، حين أحدث العلم قطيعته الإبستمولوجية مع الفكر الما قبل علمي الذي كان يسوده الفكر الإيديولوجي، فحرمت هذه القطيعة العلم من التراكمية،وحيث يعتقد باشلار أن النظرية العلمية ذات طابع قطعي (وليس تراكميا) فلا مجال للفكر الإيديولوجي في العلم، غير أنه بإخراجه صفة التراكمية من مجال

العلم (وهي إحدى نتاجات العقل على كل حال) وإدخاله صفة القطيعة، عليه يكون قد اعترف بتراكمية النظرية العلمية وتاريخيتها، فمجرد نفي النظرية لسابقتها هو في ذاته اعتراف بتلك الصفة التي نفاها عن العلم. وهذا ينطبق أيضا على موقف "التوسر" الذي لجأ هو الأخر، في قراءته للماركسية إلى مثل هذه القطيعة، مع الإرث الهيجلي الذي عده فكرا أيديولوجيا يجب إقصاؤه عن الفكر الماركسي لأنه يمثل عوائق ابستمولوجية تعيق النظرية الماركسية، وذلك بغية نقل الصراع من مجال إلى آخر.

لقد أراد "التوسر" أن يرقى بالطرح الماركسي إلى مستوى النظرية العلمية، فدعا إلى تخليص الجدل الماركسي ذي الصبغة العلمية من الجدل الهيجلي الذي تغلب عليه الصفة الإيديولوجية أي أنه أراد أن يتخلص من وهم إيديولوجيا الفلسفة من أجل إقامة فلسفة ماركسية صحيحة ،لذلك حصر مهمة الفلسفة في نقد الوهم الإيديولوجي الهيجلي، فمهمة الفلسفة إذن هي مهمة نقدية والتاريخ ليس مجالها لأنه مجرد سرد للأوهام التي تم التخلص منها ،والتاريخ الوحيد الجدير بالاهتمام والدراسة هو تاريخ الواقع.

لقد حاول "التوسر" قراءة ماركس قراءة عصرية ، تحت ضغط الابستمية العلمية ، ولم يكتف بإقامة قطيعة مع القراءة الماركسية لماركس، بل مددها على النص الماركسي ذاته ففصل، (كما فعل باشلار) بين نوعين من النصوص .نص يمثل المرحلة الفيورباخية الإنسانية أو لنقل: الماركسية القبل علمية الإيديولوجية ذات النزعة الإنسانية المستندة إلى الإرث الهجلي، وأخر يمثل المرحلة الأبستيمية العلمية، أو لنقل: الماركسية العلمية البنيوية.

ولكن إذا كانت قراءة التوسر للماركسية، قد تمكنت من رفع محتوى الصراع الطبقي إلى المستوى النظري، فإنها فصلت الممارسة التاريخية عن الواقع وأصبحت تشتمل على جملة من المفاهيم بعد أن كانت مرآة تعكس الواقع، أي أنها فصلت بين الممارسة

النظرية والممارسة الاجتماعية ففي قراءته لرأس المال، اهتم التوسر بالبحث عن الكلام المنطوق نظريا وليس الكلام المنطوق اجتماعيا فقرأ علاقات إنتاج ولم يقرأ أفراد متعينين (يمثلون الإرث الهيجلي) فقدم بذلك العلاقة على الكينونة، فالفرد. كما يقول ماركس. "هو جملة علاقاته الاجتماعية" والبحث يتركز على علاقات الإنتاج لأنها تمثل الفاعل الحقيقي ،وعن طريق هذا الحد الفاصل بين العلمي والإيديولوجي يمكن الارتفاع بالماركسية فوق مستوى التوظيف الإيديولوجي. ولكن إلى متى ستظل الماركسية أو الممارسة العلمية بمنأى عن الممارسة الإيديولوجية؟ فهذه الممارسة،هي الأخرى ــ كما يقول التوسر ــ ستظل مهددة بالإيديولوجيا التي تتسرب إلى وعي العلماء تحت ما نسميه الفلسفة العفوية.

إن التوسر الذي أقام قطيعة مع الفكر الإيديولوجي، ظل ــ مع ذلك ــ يعترف بأهمية هذا الفكر، فهو الذي يهب المجتمعات القدرة على التنفس ومواصلة حياتها وتحديد وعيها بمكانتها في العالم وفي التاريخ، ومساعدة الإنسان بالتعبير عن الطريقة التي يعيش وفقا لها والتعبير عن علاقته بالظروف المعيشة، وعندما تحاول الإيديولوجيا إقناع الناس العبيد أن يعيشوا عبوديتهم كأحرار، فإنها بذلك تمثل وعيا زائفا. وأما قبول الماركسية بصفتها ممارسة عملية والوقوع في وهم العلموية، وهو ذات المأزق الذي وقع فيه باشلار.

بعد أن تتم إخراج العقل من مجال الممارسة العلمية عند باشلار ومن مجال الممارسة الايديولوجية عند التوسر، جاء دور فوكوياما لاخراج العقل من مجال الفلسفة باحداث القطيعة بين العقل والتاريخ وهذا يعني قتل العقل للمرة الثالثة وموت الفلسفة التي تعد التاريخ معقلها الأخير الذي تقدم عروضها على مسرحه، وبما أن التاريخ هو آخر معقل يمكن للعلم أن يدخله، فقد جاءت المحاولة هذه المرة من داخل الفلسفة بالقول: إن الرأسمالية هي أخر وأقصى نموذج ايديولوجي يمكن أن تصل إليه الإنسانية، وإن كان القول لا يمنع أن يتراجع العقل إلى وضعية سبق له أن تجاوزها، ولكن خط سيره

سيتجه مباشرة إلى الرأسمالية ــ النموذج ، الذي يمثل في الوقت ذاته آخـــر محطــة يمكن أن يبلغها.

غير أن المآخذ على مثل هذه النهاية كثيرة، منها: أنها ســوف تكــون حكــرا علـــى أشخاص دون غيرهم، فإذا كان أبطال مسرح الرومان من العبيد، لان الســادة كــانوا يجلسون على المدرجات فإن ابطال مسرح نهايـــة التـــاريخ ســوف يكونـــون مـــن السادة،وسيجلس العبيد على المدرجات، فالمدرج في التاريخ يعني السكون والساكن في التاريخ لا وجود له.

لقد اعتمدت فكرة نهاية التاريخ عند فوكوياما، في جانبها المنهجي، النـــهج الانتقـــائي والتأويلي، فهو ينتقي من التاريخ العام للبشرية مايوافق طرحه ويؤول كل ما يتعارض مع هذا الطرح، وخاصة عند تعامله مع الفكر الماركسي الذي قـــرأه بطريقـــة تخـــدم غرضه الإيديولوجي.

حاول فوكوياما تقديم خطاب منطقي مقنـــع حـــول نهايـــة التـــاريخ علـــى الصعيـــد الإيديولوجي، إلا أنه وقع في نفس المأزق الذي وقع فيه غاستون باشلار عندما حـــاول إدخال مفهوم القطيعة في مجال النظرية العلمية بإقامة قطيعة بين الفكر الإيديولوجـــي والفكر العلمي، من حيث أن الأول يمثل الفكر القبل علمي، إلا أنه في الوقـــت ذاتـــه اعترف بتراكمية هذا الفكر وتلك العلاقة من خلال ما عده عوائق إيديولوجية، وهذا ما وقع فيه فوكوياما الذي نسي هو الأخر، أن فكرة نهاية التـــاريخ هـــي مجـــرد فكـــرة إيديولوجية تضفي على العقل والتاريخ الصفة التراكمية.فهل يمكن أن ينتهي التـــاريخ فعلا على الصعيد الإيديولوجي؟

أن هذا السؤال يبدو غير منطقي، لاننا هنا مع مشروع ايديولوجي يعيد الصلـــة بيـــن العقل والتاريخ ويؤكدها، وكان من المفترض في السؤال أن يحمل مشروع فصم تلـــك العلاقة، مما يعني أن قراءة فوكوياما لعلاقة العقل بالتاريخ قد أعادت الصلـــة بينـــهما

وأكدتها أكثر مما حاولت الفصل بينهما، ونحن لم نأت بهذا الاستنتاج من عندنا ولم نحمل خطاب فوكوياما ما لايحمله، فالقراءة ذاتها تبرر كل ماقلناه.

إذا كنا قد استطعنا إعادة الصلة مرة أخرى بين العقل والتاريخ فذلك يعني أن العقل أو الفكر الايديولوجي سيبقى موجودا ومستمرا، لأن الإيديولوجيا هي عبارة عن فكرة أو مجموعة أفكار ... تدخل في علاقة صراع جدلي مع أفكار أخرى لها نفس الصفات، يكون البقاء أو الانتصار حليف الأقوى منها، والقوة هنا تعتمد على انعدام التناقض فيها الذي يتم اكتشافه عن طريق التناظر بين الأفكار الأيديولوجية، وسيظل الفكر الأيديولوجي المرآة التي تكتشف فيها الإنسانية والعقل مكامن النقص والعيب كما يكتشف الإنسان في المرآة كل صباح عيوب شكله ومظهره عند خروجه من بيته إن العقل يرفض التخلي أو التنازل عن آخر مسرح له يمكن أن يقدم عليه عروضه بتلك البساطة التي توهمها فوكوياما . فالثمن الذي يدفعه هذا الأخير ليس بالثمن المناسب،فالرأسمالية كثمن لا تكفي ولا تسوغ تخلي العقل عن قلعته الأخيرة، والسبب هو ما تحويه الرأسمالية من تناقض بنيوي وخلل جوهري في نمطها وفي نموذجها الإنتاجي الذي تتبناه وتدعو إليه. ولن يتوقف العقل عن إنتاج نماذج أيديولوجية أخرى ما دام التناقض موجودا.

بعض المصادر والمراجع والدوريات المعتمدة في البحث:

المصادر:

- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، الأهرام للترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٩٣.
- ميخائيل غورباتشوف، البيريسترويكا ـ ترجمة: حمدي عبد الجواد ـ دار الشرق الأوسط ـ القاهرة ط٤ ١٩٩٠.
- هيجل ـ محاضرات في فلسفة التاريخ ـ ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام دار الثقافة ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.
- هيجل ـ أصول فلسفة الحق ـ ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.
- ميشيل فاديه ـ الايديولوجية ـ ترجمة: أمينة رشيد وسيد البحراوي.

المراجع:

- اشبنجلر ـ تدهور الحضارة الغربية ـ ترجمة: أحمد الشيباني ـ بيروت بدون تاريخ.
- إمام عبد الفتاح إمام ـ دراسات هيجيلية ـ دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٨٤.
- الفلسفة الماركسية في القرن التاسع عشر ـ مجموعة ـ ترجمة: دار الفكر ـ بيروت١٩٩٠.
- جان جاك شوفاليه ـ تاريخ الفكر السياسي ـ ترجمة محمد عرب صاصيلا ـ بيروت ١٩٨٥.
- حسن صعب ـ علم السياسة ـ بيروت ١٩٨٥.

- حسين معلوم ـ الليبرالية في الفكر العربي ـ الرباط ١٩٩٢.
- ريمون رويه ـ الممارسة الايديولوجية. ترجمة: عادل العوا ـ بيروت ١٩٨٩.
- سالم يفوت ـ فلسفة العلم والعقلانية المعاصرة ـ بيروت ١٩٨٩.
- عبد الله العروي ـ مفهوم الايديولوجيا ـ بيروت ١٩٨٩.
- عزمي إسلام ـ جون لوك ـ القاهرة ـ من دون تاريخ.
- فولقبين ـ فلسفة الأنوار ـ ترجمة: هنرييت عبودي ـ بيروت ١٩٨١.
- محمد سبيلا ـ الإيديولوجيا ـ بيروت ١٩٩٢.
- هنري ايكسن ـ عصر الايديولوجيا ـ ترجمة: محي الدين صبحي ـ بيروت ١٩٨٢.
- هاربارت ماركيوز ـ العقل والثورة ـ ترجمة: فؤاد زكريا ـ بيروت ١٩٧٩.
- ولترستيس ـ فلسفة هيجل ـ ترجمة إمام عبد الفتاح إمام دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ الفجالة ـ مصر ـ بدون تاريخ.

<u>الموسوعات:</u>

- الموسوعة الفلسفية ـ مجموعة ـ ترجمة: سمير كرم ـ دار الطليعة ـ بيروت ١٩٨١.
- الموسوعة الفلسفية المختصرة ـ ترجمة فؤاد كامل وآخرين ـ دار العلم بيروت ـ بدون تاريخ.

- موسوعة الفلسفة ـ عبد الرحمن بدوي ـ العربيـــة للدراســات ـ بــيروت ١٩٨٤.
- المعجم الفلسفي ـ جميل صليبا ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٨٢.

الدوريات:

- الوحدة ـ العدد ٨٩ ـ ١٩٨٩.
- الوحدة ـ العدد ٩٨ ـ ١٩٩٢.

تاريخ ورود هذا البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٦/٦/٦

الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني في المرحلة الثانوية في الأردن من وجهة نظر معلمي المدارس المهنية ومديريها

د. محمد مقبل عليمات
قسم التربية ــ كلية التربية والفنون
جامعة اليرموك

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني في المرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمين والمديرين في مجال التعليم المهني. ولجمع البيانات اللازمة لتحقيق هدف الدراسة أعد الباحث استبانة تقدير الكفايات الضرورية لمعلم التعليم المهني في المرحلة الثانوية. ولقد اطلع الباحث على قوائم الكفايات التي أعدت لدراسات مختلفة، من خلال مراجعته للأدب السابق في هذا المجال. ولقد أعد الباحث الاستبانة التي تتناسب مع واقع التعليم المهني في الأردن والبيئة الأردنية بشكل أساسي وتكونت الاستبانة من "٨٥" كفاية تصف كل واحدة نشاطاً ومهمة من مهام معلم التعليم المهني، حيث وزعت على سبعة مجالات هي: التخطيط،والتنفيذ، والتقويم، والارشاد، والتوصية، والإدارة والعلاقات العامة والدور المهني.

وزعت الاستبانة على جميع أفراد مجتمع الدراسة والذي تكون من معلمي التعليم المهني ومديريه في محافظتي إربد والمفرق حيث كان العدد ١٨٠ معلماً ومعلمة يدرسون برامج التعليم المهني (صناعي،تجاري،تمريضي،حرفي) في المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية المهنية في المحافظتين كما وزعت على ٣٨ مديراً ومديرة

ورئيس قسم*ممن يعملون في المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية المهنية في المحافظتين.

وبعد جمع الاستبانة جرى تحليل الاستجابات بواسطة التحليل الإحصائي البسيط والمتعلق بالمتوسطات الحسابية والرتب لاستجابات عينة الدراسة من أجل تحديد الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني.

لقد أظهرت نتائج الدراسة أن كفايات التخطيط جميعها كانت مهمة من وجهة نظر المعلمين بحيث أن خمس كفايات من أصل ١٣ كفاية كان متوسطها أكثر من أربعة، أما كفايات مجال التخطيط فكانت مهمة من وجهة نظر المعلمين، أما مجال الإرشاد و التوجيه والإدارة غالبية الكفايات مهمة. كما أظهر المعلمون الحاجة إلى كفايات الإدارة، ولكن كفايات الدور المهني كانت الأكثر أهمية لهم. ويتفق المديرون بأن كفايات التخطيط والتنفيذ والتقويم مهمة جدا لعمل المعلمين. أما كفايات الإرشاد والتوجيه فقد أظهر المديرون أهميتها للمعلمين، كما اتفق الطرفان على أهمية الإدارة حيث كانت الآراء متقاربة. كذلك كان الاتفاق بين الطرفين تاما فيما يتعلق بكفايات العلاقات العامة والدور المهني.

أما إذا نظرنا إلى المتوسط العام لكفايات كل مجال كما هو في جدول رقم (٤). فقد أظهرت نتائج المقارنة بين المتوسطات العامة لكفايات كل مجال حسب استجابات المعلمين والمديرين؛ أن هناك تطابقا تاما فيما يتعلق بالمجال المهني والتخطيط، حيث كان المجال المهني في المرتبة الأولى والتخطيط في المرتبة الثانية لكلا الطرفين. أما المرتبة الثالثة لاستجابات المديرين فكانت لمجال التنفيذ والرابعة لمجال العلاقات العامة، أما حسب استجابات المعلمين فكانت المرتبة الثالثة للعلاقات العامة والمرتبة الرابعة للتنفيذ وتتفق وجهة نظر الطرفين بالنسبة إلى مجال الإرشاد والتوجيه ومجال الإدارة حيث كانت مرتبتهما السادسة والسابعة على التوالي. ويصنف المعلمون التقويم في المرتبة الخامسة في حين يصنف المديرون التنفيذ في المرتبة الخامسة.

---

* ملاحظة: أعتبر رؤساء الأقسام مع المديرين لأنهم يعملون عمل المدير تقريبا في المدرسة المهنية.

وفي نهاية الدراسة خرج الباحث بجملة من التوصيات بناء على نتائج هذه الدراسة،حيث يعتبر هذه التوصيات مهمة لغايات تحسين برامج إعداد معلمي التعليم المهني.

المقدمة

يشهد العالم في هذا العصر ثورة علمية وتكنولوجية لـــها أثـــر بـــالغ علـــى الأفـــراد والمجتمعات وفي تعامل الأفراد مع المحيط الاجتمـــاعي والثقـــافي الـــذي يعيشـــون فيه،وكان من أبرز الآثار العناية بالتنمية الاجتماعية على كافة مستوياتها، وما تتطلبـــه هذه التنمية من إعداد قوى بشرية فنية في مختلف مجالات الحياة المعاصرة.

وأصبحت التربية تتحمل مسؤوليات واسعة وخطيرة يأتي في مقدمتها تنميـــة الطاقـــة البشرية التي لاغنى عنها في تحقيق التنمية الشاملة، والمدرسة وســـيلة التربيـــة فـــي تحقيق أهدافها ومهماتها، ومنها تنمية الثروة البشرية فهي مصنع تكوين القوى البشرية المدربة والمؤهلة التي يحتاجها المجتمع.

ويعد المعلم الكفء محور العملية التربوية في المدرسة وعصبها الرئيس الذي يتوقـــف عليه نجاح التربية في تحقيق أهدافها وغاياتها. فلابد من الإعداد الفنـــي مـــن خـــلال المؤسسات العلمية التربوية التي تتبنى المحتوى الحديث والأسلوب الفعال في عمليـــة الإعداد والتدريب. ولابد أن تكون برامج الإعداد متنوعة وهادفـــة تبلـــور الســـمات والمهارات التي تتطلبها أهداف التدريب والإعداد وغاياتهما وتكـــون منســـجمة مـــع متطلبات عصر العلم والتكنولوجيا.

إن الحاجة ماسة إلى تدريب وتأهيل خاصين للمعلم بشكل عام ولمعلم التربية المهنيـــة بشكل أساسي، يتميزان بالشمول والتكامل ويتسمان بـــالعمق والوظيفـــة، ويتجـــاوزان عملية نقل المعارف إلى تمثل المعرفة العلمية والتكنولوجية.

إن دراسة دور المعلم لها أهميتها التي تنطلق من تقدير مل ينبغي أن يلم به ويتـــدرب عليه في فترة الإعداد، ومن اشتقاق المعايير التي يسترشد بها في تقويم عمل المعلـــم

وتحديد جوانب القوة وجوانب الضعف، كما تبرز أهمية دراسة هذا الدور في إعداد البرامج التي تساعد على بلوغ الهدف برفع مستوى الأداء المهني للمعلم.

ولقد ظهرت برامج إعداد وتأهيل للمعلمين متعددة ومتنوعة، منها ما يعتمد على الإعداد الأكاديمي المعرفي، ومنها ماأضاف إلى الإعداد الأكاديمي الإعداد النفسي والتربوي، إلا أن عملية التقويم المستمر لهذه البرامج لاتساعد على سد الفجوة بين النظرية والتطبيق كورنر (KOERNER, 1964).

ولقد ظهرت حديثا حركة جديدة في إعداد المعلم عرفت باسم إعداد المعلم القائم على الكفايات.

وفكرة هذه الحركة تتلخص في أن أداء المعلم وفق معيار محدد هي الأساس الذي ترتكز عليه عملية إعداد المعلم وتدريبه قبل وفي أثناء الخدمة، وترتكز هذه الحركة على افتراض مؤداه أن عملية التعليم الفعال يمكن تحليلها إلى مجموعة من الكفايات،إذا أتقنها الفرد زاد احتمال أن يصبح معلما ناجحا. وتعرف الكفاية بأنها مهارات حركية أو معارف أو أنماط سلوكية يمكن أن تظهر في سلوك المتعلم، وتشتق من تصور محدد لنواتج التعلم المرغوب (Hall & Jonesz, 1976).

مشكلة الدراسة:

يذكر (الربضي،١٩٨٥) أن مور وبلانكنشب (Moore and Blankenship,1978) استعرضا عددا من الدراسات المتعلقة ببرامج إعداد المعلمين وتأهيلهم وتدريبهم، وأوضحا أن هذه الدراسة أكدت فشل برامج التأهيل والتدريب في تلبية حاجات المعلمين من جهة ومراعاة الفروق الفردية بينهم عند تصميم البرامج من جهة أخرى.

ويفتقر الأردن، كغيره من الدول العربية إلى الأبحاث والدراسات التي تهتم بحاجات معلمي التعليم المهني، حيث لم يعثر الباحث على أي دراسة تتعلق بمعلمي التعليم المهني. ومن هنا تأتي هذه الدراسة لسد فجوة في المعرفة المتعلقة بهذا الجانب من التعليم الهام.

هدف الدراسة وأهميتها:

كان الغرض من هذه الدراسة تحديد الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني في المرحلة الثانوية، لأن معرفة مثل هذه الكفايات عنصر هام في العملية التربوية. فأهمية هذه الدراسة يمكن تلخيصها بما يلي:

١ـ توفير أداة تقدير الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني، حيث أن مثل هذه الأداة عير موجودة محليا.

٢ـ تساعد معرفة الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني في تخطيط برامج لتدريب المعلمين وتأهيلهم.

٣ـ تساعد عملية تحديد الكفايات الضرورية (أداة تقدير الكفايات) المعلم في عمله من حيث التخطيط والتنفيذ والتطوير والتقويم.

محددات الدراسة

لابد من الإشارة إلى أن هذه الدراسة اقتصرت على معلمي التعليم المهني العاملين في المدارس الحكومية الثانوية فقط، هذا بالإضافة إلى اقتصارها على تحديد الكفايات اللازمة لمعلمي المرحلة الثانوية المهنية بشكل عام بغض النظر عن التخصص، كما أن الأداة المستخدمة في هذه الدراسة، (وهي قائمة الكفايات اللازمة لمعلمي التعليم

المهني، لجمع المعلومات المتعلقة بالدراسة) أداة غير مقننة وعليه فإن نتائج الدراسة تتوقف جزئيا على درجة صدق الأداة وثباتها.

الدراسات السابقة

لاتجد برامج إعداد معلمي التعليم المهني الاهتمام الكافي بالرغم من أهميتها، ولابد من تغيرات أساسية إذا أريد لهذا النوع المهم من التعليم أن يواكب المشكلات الاجتماعية المعاصرة، ويقدم الحلول المناسبة لها وأن يتواءم مع حاجات الأفراد المنخرطين في هذا النوع من التعليم (Simpson & Ellis, 1971) ولقد ذكر كاباكجيم (Kabakjiam, 1971) في مقالته في أخبار العلوم التربوية، أن برامج إعداد معلمي الميادين الصناعية والمهنية والفنية يجب أن تكون ملائمة لحاجات برامج التعليم الثانوي الوطني، وهذا يتم من خلال إفراز نوعية مؤهلة كفاية من المعلمين الذين يستطيعون التعامل مع التحدي الكبير الذي يواجه إعداد الشباب للعمل في مجال الصناعات المتنوعة.

من جهة أخرى ذكر بارلو (Barlow, 1971) أن برامج إعداد المعلمين تحتاج إلى تفحص من أوجه متعددة. وقال: إنه يجب دمج نشاطات معاهد إعداد المعلمين وتوسيعها لتصبح أكثر ملاءمة لمعلمي التعليم المهني. وأضاف أنه هناك حاجة ملحة لتغيير برامج إعداد معلمي التعليم المهني إذا أردنا أن نواكب التغير والتطور المستمرين في مجال العلوم والتكنولوجيا ولنتمكن من مواجهة المستقبل (ص٢٨ــ٣١).

أما بروس (Bruce,1972) فقد أكد أن التغير السريع في مجالات الحياة جميعها الناتج عن التقدم العلمي والتكنولوجي قد أحاط بالمعلمين الذين وجدوا أن برامج إعدادهم لم تعدهم للتكيف مع الموقف الجديد.وأضاف أن قدرة التكيف مع هذا الموقف

الذي ظهر، هي الكفايات الشخصية الأساسية الضرورية لمعلمي اليوم ووضح بأن هذه الكفايات تعززت بواسطة البرامج القائمة على الكفايات (ص٣٤ـ٥٥).

وطبق كوترل وآخرون (Cotrell, 1971) برامج التعاون للولايات الجنوبية،في أمريكا الشمالية، في الإدارة التربوية تضمنت بشكل رئيسي أساليب متنوعة لنماذج الكفايات اللازمة لتحسين برامج الإعداد في مجال الإدارة التربوية وعملت على تطويرها. وذكروا بأن ولش، قام في عام ١٩٦٠ بتحديد (١٠٧) كفاية تعليمية لمعلمي التجارة والصناعة من خلال دراسة تضمنت التحليل الوظيفي. وذكر كوترل وزملاؤه بأن كروفورد حدد عام ١٩٦٧ الكفايات التي يحتاجها معلمو التربية بشكل عام والتي تصلح بشكل فعال للمرحلة الثانوية.

وفي مساهمة لتحديد سياق تربوي للمعلم أكثر كفاءة ومنطقية، صمم كوترل وزملاؤه (Cotrell, 1971) مشروعا (دراسة العناصر الشائعة والمتخصصة للتعليم المهني الفني) لتحليل نقدي للمهارات والمعارف التي يحتاجها معلمو التعليم المهني الفني. واستخدموا في منهجيتهم البحثية التحليل الوظيفي لوظائف فن تدريس المعلمين وتقويم قوة الكفاية ومراجعة العناصر لأداء فن التدريس وتوضيح العناصر الأدائية المحددة من خلال التحليل الوظيفي وتطويره أداء على أساس أهداف عامة للمناهج.

وتضمنت نتائج دراستهم ٢٣٧ عنصرا أدائيا من خلال التحليل الوظيفي، وتحديد العناصر الادائية الشائعة والمتخصصة عن طريق قوة الكفاية التي تمثل سبع خدمات مهنية، وتحديد أكثر من ٣٠ عنصرا ادائيا، وتوضيح ١٤٧ عنصرا أدائيا من خلال دراسة عرضية ناقدة، وتطوير ٢٢٦ هدفا من الأهداف العامة القائمة على الأداء. وضحت نتائج الدراسة أن معظم متطلبات أداء التدريس الفعال للمعلمين كانت شائعة (عامة) لكل الخدمات المهنية.والاهداف ذات القيمة المعنوية لايمكن تطويرها دون اعتبار خاص لبيئة المؤسسة التربوية.

وأجرى هالفن وكورتني (Halfin & Courtney 1971) دراسة عام ١٩٧٠ من أجل تحديد الحاجات التدريبية العامة والمتطلبات لمعلمي التعليم المهني. وبشكل اعتباطي حددا عشرة ولايات من الولايات المتحدة الأمريكية واختارا (١٥) معلما من كل ولاية يمثلون التخصصات التالية: الاقتصاد المنزلي، المهن الزراعية، المهن التجارية والصناعية وإدارة الأعمال للمشاركة في الدراسة. وقام المعلمون بالحكم على قائمة مكونة من (١٣٠) كفاية ترتبط بمهارات ومعرفة العمل. وكانت القائمة موضوعة بشكل يسمح للمعلمين بوضع تقدير على مقياس ليكرت. كما عملا دراسة على أربع ولايات في عام ١٩٦٩ وكانت النتائج متماثلة. كانت النتائج الأولية للدراسة توضح أن هناك تجمعا للكفايات في مجالات عامة، وأن هذه المجالات وجدت بين كل المجموعات المهنية المدروسة، وقد وضحت فكرة وجود عدة عناصر داخل البرامج التدريبية المتنوعة يمكن أن تقدم منطقيا في عمل تدريبي عام.

وقام بوب (Pope, 1971) بدراسة في تكساس كان هدفها تحديد مجالات عامة للكفايات عبر مجالات مهنية فنية متعددة. وقد شملت الدراسة ١٣٧١ معلما من معلمي التعليم المهني الثانوي، من أجل تحديد العناصر الأدائية التي تعتبر مهمة لنجاحهم كمعلمين في هذا المجال. ووضع مجموع من المهارات والمعارف التي تحكم عليها بأنها مهمة لعدة برامج.

وقدر بأن ١٩٩ عنصرا من أصل ٢٨٧ عنصرا مهما، وكانت نتائج الأحكام على العناصر بأن ١٩٩ من أصل ٢٨٧ عبر المجالات. وهناك ٢٢٨ عنصرا قدرت بأنها مهمة لأكثر من أربع برامج تأهيلية.

وذكر ويلسون وكورتس (Wilsona & Curitis 1973) أنهما طبقا دراسة مسحية عملت في ربيع عام ١٩٧٣ وشملت كل الولايات المتحدة الأمريكية، وأن ١١ ولاية أدخلت برامج الإعداد القائمة على أساس الكفايات لإعداد المعلمين والمدراء. وأن

بعض التعديلات وضعت موضع التنفيذ. هذا بالإضافة إلى أن التعديلات أثرت على البرامج قبل الخدمة وفي أثنائها. وأضافا أن عددا من الولايات الأخرى يعتزم تعديل برامج إعداد المعلمين. وتحاول هذه الولايات تشجيع البرامج القائمة على الكفايات في المستقبل. وأن بعض المعاهد التعليمية وضعت خطة خمسية لتطوير برامج إعداد للمعلمين والمديرين (ص٧٦).

وقام (جبيلي، ١٩٨٧) بدراسة من أجل تحديد حاجات معلمي العلوم الناطقين بالإنجليزية، واهتماماتهم في المرحلة الثانوية في خمس مناطق جغرافية في لبنان،واستخدم اختبار مور التقويمي (Moore Assessment Profile) لتحديد حاجات معلمي العلوم في المرحلة الثانوية، وشملت الدراسة كل معلمي العلوم الناطقين بالإنجليزية في المدارس الثانوية العامة في لبنان وعددهم ٦٥ معلما.

وتبين من نتائج الدراسة أن لمعلمي الفيزياء في المناطق المعينة ست حاجات مشتركة ذات أولوية قصوى في أثناء الخدمة، أما معلمو الكيمياء فبلغ عددها تسع حاجات،واشترك معلمو الأحياء في ثلاث مناطق في إحدى وعشرين حاجة ذات أولوية قصوى.

كما تبين أن معلمي المواد الثلاث في كل المناطق المعينة لهم اهتمامات ذات أولوية متوسطة (اهتمامات تتعلق بمهامهم، وبالإدارة والنجاعة، والتنظيم، والجدولة والمتطلبات الزمنية. وملاءمة البرامج، وتوفر المواد التعليمية، والتجهيزات المخبرية) واهتمامات عالية، وهي اهتمامات تتعلق بتأثير التدريس على أداء الطلبة وقدراتهم والتغيرات اللازمة لرفع تحصيلهم.

وقام الموسى (AL-Mussa, 1987) بدراسة هدفت إلى تقويم حاجات معلمي العلوم في المدارس المتوسطة في السعودية، من أجل وضع قاعدة لبرامج الإعداد قبل الخدمة وفي أثنائها. واستخدم الباحث أداة (STIN Rorm B) التي وضعها ربا (Rubba)

عام ١٩٨٢، وبعد أن ترجمها الباحث وتأكد من صدقها وثباتها ، وزعها على ١٩٢ معلما للعلوم و٤٠ مديرا و٤٣ مشرفا في المدارس المتوسطة السعودية، وتوصل إلى ٢٥ حاجة مهنية ذات أولوية قصوى لمعلمي العلوم.

وأجرى (مقابة، ١٩٨٩) دراسة استطلاعية في فعالية الكفايات التعليمية ومصادرها عند معلمي المرحلة الثانوية في الأردن. وهدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر عدد من المتغيرات في فعالية ممارسة معلمي المرحلة الثانوية للكفايات التعليمية. وتألفت عينة الدراسة من ١٦٧ معلما من المعلمين الذين يدرسون في المرحلة الثانوية، واستخدم الباحث استبانة تتكون من سبع مجالات وكل مجال يتكون من مجموعة من الكفايات. وتوصل الباحث إلى أن الكفايات التالية تتأثر بمجموعة من المتغيرات (الجنس والخبرة وتقدير المدير) وهذه الكفايات هي: معرفة الموضوع الدراسي، واستخدام الوسائل والأنشطة التعليمية، والتخطيط، وتحديد الأهداف وتحليلها للعملية التعليمية.

وفي دراسة أجراها المحمود (Almahmoud, 1984) هدفت إلى تحديد وتحليل التقدير الذاتي لكفاية مجموعة من المعلمين الذين يعملون في المرحلة الثانوية. فأشارت بعض نتائج الدراسة أن للخبرة التعليمية أثرا ذا دلالة إحصائية في فعالية المعلمين في مجال إدارة الصف وحفظ النظام.

وأظهرت دراسة جارجيلو (Gargiulo, 1978) أن المعلمين ذوي الخبرة القصيرة كان لديهم الرغبة في زيادة مدة تأهيلهم في أثناء التدريب على معرفة الطرق والأساليب لكفايات تفريد التعليم، وإدارة الصف وحفظ النظام، أكثر من ذوي الخبرة الطويلة. وأكدت نتائج الدراسة أن المعلمين بحاجة إلى الكفايات المتعلقة بإدارة الصف وحفظ النطام واستثارة الدافعية عند الطلاب في أثناء التعليم.

وفي دراسة (مرعي، ١٩٨٢) التي هدفت إلى تحديد مستوى معرفة ممارسة المعلمين المعدين مهنيا ودرجتها قبل الخدمة وفي أثناءها في معاهد إعداد المعلمين لمفاهيم

الاستعداد والتدريب والدافع، تبين أنه لا أثر لسنوات الخبرة في اكتساب معرفة أفضل للمفاهيم، وأن ممارسة المعلمين المعدين في أثناء الخدمة لمفاهيم الاستعداد والتدريب والدافع أفضل من ممارسات المعلمين المعدين قبل الخدمة.

وقامت (الجمل ١٩٨٣) بدراسة هدفت إلى التعرف على أثر الدراسة بكلية التربية بالجامعة الأردنية في اتجاهات طلابها نحو مهنة التعليم. وطبقت الباحثة مقياس مينسوتا لاتجاهات المعلمين على عينة من طلبة السنة الأولى والسنة الرابعة بالكلية. وتشير نتائج الدراسة إلى أنه لاتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الفئتين. وعللت ذلك بأن فترة الإعداد التي يقضيها الطلبة في الكلية. وهي أربع سنوات غير كافية لإحداث تغيير في اتجاهاتهم في حين أن من مهام الكلية تنمية مثل هذه الاتجاهات نحو المهنة لما لذلك من أثر في كفاءتهم في التدريب.

وأجرى (الديب، وبدران، ١٩٨٠) دراسة ميدانية من أجل التعرف على مدى فائدة برنامج الإعداد، ومدى تحقيقه للأهداف العامة لقسم التربية بجامعة الكويت. وقد شملت عينة الدراسة خريجي القسم والمدراء والمشرفين التربويين في وزارة التربية. ومن أبرز نتائج هذه الدراسة ما يتعلق بعدم كفاءة الإعداد التربوي بصورة مرضية. وتشير النتائج إلى أهمية الجوانب العملية الميدانية خاصة، حيث تبين أنها المادة الوحيدة التي أفادت الطلبة في مجالات التدريب والمجالات الاجتماعية.

وأجرى (مرعي، ١٩٨٣) دراسة تتعلق بالكفايات التعليمية. وهدفت الدراسة إلى تحديد الكفايات التعليمية الأدائية الأساسية التي يجب أن يمتلكها معلم المدرسة؛ ليتمكن من القيام بأدواره المختلفة. وما واقع معرفة وممارسة المعلمين لهذه الكفايات، وضرورة الكفايات للمعلمين حيث قام بتحديد قائمة من الكفايات اشتملت على ستة مجالات (التخطيط للتعليم، مراعاة بنية المادة الدراسية، اختيار الأنشطة وتنظيمها، إجراء التقويم، تحقيق الذات، تحقيق أهداف التربية لدى المعلمين). وتكونت قائمة الكفايات

من (٨٥) كفاية موزعة حسب المجالات. وكانت من نتائج هذه الدراسة أن هناك كفايات ضرورية جدا للمعلمين، ويحتاجون مزيدا من التدريب عليها.

وقد أجرى الباحثان (الشيخ، وزاهر، ١٩٨١) دراسة تتعلق بالكفايات اللازمة للمعلم في قطر. وهدفت الدراسة إلى استطلاع رأي المشتغلين بالتربية في دولة قطر، (سواء كانوا من القائمين على إعداد المعلم، أو من المعلمين الممارسين، أو من المعلمين تحت الإعداد) فيما يتعلق بالكفايات اللازمة للمعلم وأولوياتها. وقد استخدم الباحثان استبانة طوراها من خلال اطلاعهما على مجموعة من قوائم الكفايات العالمية، واشتملت الاستبانة على ٤٨ كفاية، صنفت في مجالات رئيسية هي: الفلسفة التربوية، الكفاية العلمية والنمو المهني، تخطيط الدرس، تنفيذ الدرس والنظام والعلاقات الإنسانية،والتقويم. وتكونت عينة الدراسة من (٢٠٦) من المهتمين بعملية التدريس،يتوزعون كما يلي: ٣٠ طالبا، ٣٠ طالبة،من طلاب البكالوريوس في كلية التربية بجامعة قطر، ٤٤ معلما، ٥٣معلمةيمارسون التعليم، ١٧ مشرفا تربويا، ٣٢ عضو هيئة تدريس من الجامعة.

وخلصت إلى نتائج تفيد بأن هناك تقديرا للكفايات المتعلقة بتنفيذ الدرس، والتقويم،والنمو المهني، وتخطيط الدروس. كما أشارت نتائج الدراسة إلى اتفاق بين وجهة نظر المعلمين والأساتذة فيما يتعلق بترتيب مجالات الكفايات من حيث أهميتها،وكذلك بالنسبة لترتيب الكفايات الفرعية.

وقام الباحثون في هذا المجال باتباع أساليب وطرق متنوعة في تحديد الكفايات اللازمة للتدريس. ومن الذين اعتمدوا بشكل أساسي على تحليل العمل في استخلاص الكفايات كل من هوستين (Houston, 1971) واهرنبرج (Ehernberg, 1974) ولقد توصلا من تحليلاتهم إلى إعداد قوائم طويلة للكفايات التدريسية يمكن أن يستفيد منها مصممو برامج إعداد المعلمين. وقد أوضح انجرسول (Ingeroll, et al, 1975) أن هناك

اختلافات واضحة بين مصممي البرامج التدريبية وبين المعلمين في تقدير الكفايات التي يحتاجها المعلمون للتدريب عليها.

وقام عفاش (Affash, 1989) بإجراء دراسة لتقصي حاجات المعلمين كمتعلمين، كما يراها المعلمون والمشرفون التربويون في برامج التأهيل في أثناء الخدمة في الأردن. واستخدم البحث استبانة اشتملت على ٢٥ كفاية، وزعها على عينة عشوائية مؤلفة من ٢٤٠ معلما ومعلمة وعشرين مشرفا تربويا. وأشارت نتائج الدراسة إلى أنه يوجد فجوة بين حاجات الناس وبين الواقع الممارس في برامج التأهيل في أثناء الخدمة، كما أكد المعلمون والمشرفون على أهمية تطبيق تلك الكفايات وممارستها وضرورتها لبرامج التدريب.

وأجرى (الربضي، ١٩٨٥) دراسة تتعلق بتحديد الحاجات المهنية لمعلمي العلوم في المرحلتين الابتدائية العليا والإعدادية. واستخدم الباحث استبانة اشتملت على (٧٣) كفاية، وزعها على مجتمع الدراسة بأكمله والمكون من (٤٦٢) معلما ومعلمة. وكان من نتائج هذه الدراسة أن هناك حاجات ملحة معينة للمعلمين في كل مرحلة وحاجات مشتركة بين جميع فئات معلمي العلم.

الطريقة والإجراءات:

تكون مجتمع الدراسة من معلمي التعليم المهني، ومديري المدارس المهنية ورؤساء الشعب* العاملين في المدارس الحكومية في محافظتي إربد والمفرق للعام الدراسي ١٩٨٩/١٩٩٠ وكانوا موزعين على (١٧) مدرسة. والجدول التالي يبين أسماء المدارس التي شملتها الدراسة.

---

* رؤساء الأقسام أو رؤساء الشعب يعملون عمل المديرين نفسه لذلك اعتبروا في هذه الدراسة مع المديرين.

جدول يبين أسماء المدارس المهنية في محافظتي إربد والمفرق

	اسم المدرسة	المحافظة
١	وصفي التل الثانوية الصناعية	إربد.
٢	علي خلقي الشرايري الثانوية	إربد.
٣	إربد التجارية للبنات الثانوية	إربد.
٤	فاطمة الزهراء الشاملة	إربد.
٥	عين جالوت الثانوية للبنات	إربد.
٦	الحصن المهنية الثانوية	إربد.
٧	الزرنوجي الشاملة	كفر يوبا.
٨	المير عبد الله المهنية	عجلون.
٩	الأميرة عائشة المهنية	عجلون.
١٠	المفرق الثانوية الصناعية	المفرق.
١١	الأميرة إيمان المهنية	المفرق.
١٢	جرش المهنية ذكور	جرش.
١٣	لبابة بنت الحارث إناث	جرش.
١٤	القابس/الكتة	جرش.
١٥	هيا الثانوية	الرمثا.
١٦	مركز التدريب المهني حكما	إربد.
١٧	مركز التدريب المهني دير علا	إربد.

عينة الدراسة:

تشكلت عينة الدراسة من (١٨٠) معلما ومعلمة، و(٣٨) مديرا ورئيس قسم.وتمثل عينة المعلمين كل المعلمين الذين يعلمون تعليما مهنيا(صناعيا، تجاريا، تمريضيا،حرفا متنوعة) في المدارس التي شملت الدراسة.

أداة البحث:

الأداة التي استخدمت في هذا البحث هي (استبانة الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني الفني) وقد اعتمد الباحث في تحديد الكفايات الأساسية التي ضمنت في الإستبانة على:

١-دراسة الأدب المتعلق بتحديد كفايات المعلمين التي يجب على معلمي المرحلة الثانوية تمثلها. وعليه فقد تمت الاستفادة من مقاييس أعدها وطورها باحثون آخرون مرعي، ١٩٨٣، Almahmod, 1984, Gargluo &Pigge, 1978

٢- نتائج البحوث السابقة في هذا الميدان والتي عرضت سابقا.

٣- قوائم الكفايات المنشورة مثل قائمة اهرنبرج (Ehernberg 1974).

وقائمة كوترل (Cotrell, 1971).

وقد استخلص الباحث مجموعة من الكفايات الأساسية بلغ عددها ١٢٥ كفاية تتلائم مع البيئة الأردنية، وقد صنفت هذه الكفايات في مجالات رئيسية هي:

مجال التخطيط، مجال التنفيذ، مجال التقويم، مجال الإرشاد والتوجيه، مجال الإدارة،مجال العلاقات العامة، المجال المهني.

تم بعد ذلك توزيع القائمة على عشرة أعضاء هيئة تدريس في كلية التربية في جامعة اليرموك، وعلى عشرة مدراء مدارس مهنية وعلى عشرة مشرفين تربويين من أجل التحكيم، وطلب إليهم إبداء الرأي فيما يتعلق بمناسبة الكفايات لكل مجال ووضوحها،وذلك إما بالحذف أو التحويل لكفايات معينة من مجال لآخر أو إضافة كفايات جديدة.

وفي ضوء اقتراحات المحكمين وآرائهم تم اختيار(٨٥) كفاية تعليمية، وذلك بعد استبعاد(٤٠) كفاية كانت غير مناسبة للمجالات أو غير واضحة أو غير مألوفة حسب رأي المحكمين. وبعد ذلك وضعت الاستبانة بشكلها النهائي مشتملة على سبعة مجالات وكل مجال يحتوي على مجموعة من الكفايات، وتشكل كفايات المجالات السبعة(٨٥) كفاية.

وبعد عملية المراجعة والتنقيح للاستبانة ووضعها بصورتها النهائية وضع تدرج لاستجابات العينة وذلك حسب المقياس التالي:

١ـ مهم للغاية. ٢ـ مهم جدا. ٣ـ مهم.

٤ـ قليل الأهمية. ٣ـ غير مهم.

وكان المحك الذي استخدمه الباحث في عملية تصنيف الكفايات ضمن كل مجال من المجالات، يعتمد على نسبة الاتفاق بين المحكمين حول مدى ملائمة كل كفاية من الكفايات مع أي من المجالات السبعة، فإذا حصلت الكفاية على نسبة ٧٥% فما فوق من الاتفاق بين المحكمين أنها ملائمة لمجال معين، فإنها كانت تصنف ضمن ذلك المجال.

صدق الأداة وثباتها

اعتمد الباحث الصدق الظاهري، وصدق المحتوى في تقدير صدق الأداة، لذا قام الباحث بمراجعة الأدب السابق المتعلق بالكفايات التعليمية، والاطلاع على قوائم الكفايات التعليمية في مراحل تعليمية مختلفة، وهذا بالإضافة إلى أن القائمة عرضت قبل وضعها بصورتها النهائية على عينة مؤلفة من ٤٠ معلما ومعلمة من مختلف التخصصات المهنية لتقدير مدى صلاحية المقياس في قياس ما وضع لقياسه ومدى شموليته للكفايات. وطلب الباحث من المعلمين دراسة الأداة دراسة فاحصة لبيان شمولية المقياس والتأكد من سلامة الكفايات ووضوحها وتقدير أهميتها حسب المقياس التالي:

١ـ مهم للغاية. ٢ـ مهم جدا. ٣ـ مهم.

٤ـ قليل الأهمية. ٥ـ غير مهم.

ولتحديد ثبات أداة البحث لتقدير حاجات معلمي التعليم المهني فقد أعيد تطبيق المقياس بعد أسبوعين على عينة مكونة من عشرين معلما ومعلمة، وباستخدام معامل ارتباط بيرسون بين درجات أفراد العينة في المرة الأولى والثانية وجد أن معامل الثبات للمقياس يساوي (٠,٩) أي أن المقياس يحظى بدرجة ثبات جيدة، ومقبول لغايات هذه الدراسة.

جمع المعلومات:

بلغ مجموع المعلمين الذين شاركوا في الدراسة (١٨٠) معلما ومعلمة من المدارس المهنية الشاملة، و(٣٨) مديرا أو رئيس قسم. خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٩٩٠/٨٩ وقد قام الباحث مع مجموعة من المساعدين بتوزيع أداة البحث على أفراد العينة. وقد أرفق مع الاستبانة تعليمات توضح الهدف من الدراسة وأهميتها. وأن على المعلم قراءة كل كفاية في الاستبانة بعناية، وأن يضع الجواب في

المكان المناسب والمحدد له. وبعد ذلك قام الباحث بالتعاون مع مجموعة من المساعدين بجمع الاستبانات من معلمي التعليم المهني وقد فرزت الاستجابات الواردة في أداة البحث المجموعة.

والمعيار المستخدم في تصنيف الكفايات حسب الأهمية اعتمد على معيار متوسط التقدير لكل كفاية، فإذا حصلت الكفاية على متوسط (٣,٥) فما فوق اعتبرت مهمة جدا، وإذا حصلت الكفاية على متوسط (٢,٥) إلى (٣,٤٩) كانت تعتبر مهمة، وإذا كان تقدير الكفاية أقل (٢,٥) كانت تعتبر قليلة الأهمية أو غير مهمة.

واشتملت الاستبانة على(٨٥) كفاية. وأعطيت القيم الرقمية التالية للمقياس:

مهم للغاية = ٥ مهم جدا = ٤ مهم = ٣

قليل الأهمية = ٢ غير مهم = ١

وبعد ذلك أدخلت المعلومات في ذاكرة الحاسوب من أجل تحليل البيانات.

المعالجة الإحصائية:

لتحديد الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني جرى حساب المتوسطات الحسابية لتقدير أفراد العينة والرتبة حسب الأهمية.

النتائج

نلاحظ من الجدول رقم (١) أن جميع الكفايات في مجال التخطيط كانت مهمة جدا بالنسبة للمعلمين، وأن خمس كفايات من أصل ١٣ كفاية حصلت على متوسط أعلى من (٤) مما يؤكد أهمية هذه الكفايات.

أما مجال التنفيذ فكان عدد الكفايات التي كانت مهمة جدا للمعلمين (١٣) كفاية من أصل (١٦) كفاية، وأن ثلاث كفايات كانت مهمة، وأن (٧) كفايات حصلت على متوسط أعلى من (٤).

وفي مجال التقويم كانت جميع الكفايات مهمة جدا للمعلمين، وأن كفايتين فقط حصلت على متوسط أعلى من (٤).

وفي مجال الإرشاد والتوجيه كان عدد الكفايات المهمة جدا (١١) كفاية من أصل (١٤) كفاية، وأن ثلاث كفايات كانت مهمة، وأن كفاية واحدة حصلت على متوسط أعلى من (٤).

أما مجال الإدارة فكان عدد الكفايات المهمة جدا (٥)، وأن (٤) كفايات كانت مهمة،هذا ولم يتجاوز المتوسط (٤) إلا كفاية واحدة.

وفي مجال العلاقات العامة كانت كل الكفايات مهمة جدا، وأن كفايتين فقط تجاوزتا المتوسط (٤).

أما مجال الدور المهني فكانت كل الكفايات مهمة جدا، وكان متوسط جميع الكفايات مرتفعا، حيث تجاوز المتوسط (٤) سبع كفايات من أصل (١١) كفاية.

جدول رقم(١)

استجابات المعلمين

.	يقوم معلم التعليم المهني ــ الفني بعمل: ــ	المتوسط	الرتبة حسب المجال
	أ.مجال التخطيط:		
١	تكوين لجنة استشارية من أجل تخطيط المادة التعليمية.	٣,٩٥	٧
٢	الاستفادة من اللجنة الاستشارية في مواكبة التطورات الجديدة في التعلم المهني ــ الفني ــ .	٣,٩٣	٨
٣	تحديد المهارات والمعلومات التي سيعلمها من خلال تحليل المهن.	٣,٩١	٩
٤	تحديد المهارات الضرورية للطلاب لكي تساعدهم في تعلم المهن.	٤,٠٩	٤
٥	تحديد الأهداف والحاجات التربوية للطلاب.	٣,٨٩	١٠
٦	وضع أهداف محددة للبرنامج المهني ــ الفني.	٣,٩٦	٦
٧	تطوير محتوى المادة التعليمية للدروس النظرية والعملية.	٤,١٥	٢
٨	تحديد طرق وأساليب متنوعة للتدريس والتدريب.	٤,٠٥	٥
٩	تنظيم تسلسل المهارات والواجبات التعليمية.	٣,٧٥	١٢
١٠	تحديد الأجهزة والمعدات الضرورية للتعليم.	٤,١٢	٣
١١	تحديد الوسائل والمعينات التعليمية.	٣,٧٩	١١
١٢	تطوير أساليب وطرق للعمل مع الطلاب المعاقين.	٣,٧١	١٣
١٣	تحديد قواعد وشروط السلامة العامة.	٤,٤٣	١

	ب.مجـــال التنفيذ:		
١٤	إدارة المناقشات الصفية الجماعية.	٤,١١	٥
١٥	رئاسة المناقشات العامة وتوجيهها.	٣,٨٥	٩
١٦	استخدام وسائل الإيضاح في عملية التعليم.	٤,١٧	٤
١٧	القيام بالرحلات العلمية لمواقع المهن.	٤,١١	٥
١٨	توجيه وتنظيم التدريب في مواقع العمل.	٤,١٨	٣
١٩	تطبيق تجارب عملية.	٤,١٩	٢
٢٠	القيام بالزيارات المنزلية (زيارات منازل الطلاب).	٢,٥٣	١٦
٢١	إلقاء محاضرات علمية مهنية.	٣,٣٣	١٥
٢٢	الاستفادة من ذوي الاختصاص في المجتمـــع مـــن أجـــل تقديـــم معلومات علمية مهنية.	٣,٨٤	١٠
٢٣	استخدام الأدوات السمعية والبصرية.	٣,٥٢	١٣
٢٤	إجراء تجارب مخبرية وعروض توضيحية.	٣,٤٨	١٤
٢٥	تطبيق أنظمة وقواعد السلامة العامة والمحافظة عليها.	٤,٢٦	١
٢٦	التعرف على سلوك الطلاب وأعمالهم وتفسيرها وتوجيهها.	٣,٩٦	٨
٢٧	تعزيز التعليم من خلال أساليب التعزيز الإيجابية.	٣,٦١	١٢
٢٨	إنتاج مواد تعليمية من خلال أجهزة إنتاج متنوعة.	٣,٦٦	١١
٢٩	المحافظة على الأجهزة والتسهيلات التعليمية بشكل مناسب.	٤,٠٨	٧

	جـ . مجال التقويم:		
٣٠	تقويم الكتب والمراجع من أجل التعرف على مدى تحقيق أهـــداف المادة التعليمية.	٤,٠٧	١
٣١	وضع معايير تقويم للدروس.	٣,٨٦	٥
٣٢	تحديد معايير تقويم واقعية.	٣,٧٢	٧
٣٣	اختيار المقياس المناسب للمعايير.	٣,٦١	١١
٣٤	وضع المعايير والطرق المناسبة لتقويم الأداء الصفي والمخبري.	٣,٦٢	١٠
٣٥	وضع معايير لتقويم الطلاب الذاتي.	٣,٦٤	٩
٣٦	توجيه تقويم الطلاب الذاتي.	٣,٦٨	٨
٣٧	تفسير نتائج التقويم للآباء والطلاب.	٣,٧٥	٦
٣٨	تقويم طرق التدريس وأساليبه.	٤,٠٤	٢
٣٩	تقويم تقدم الطلاب العلمي في الصف وفي المختبر.	٣,٨٧	٤
٤٠	وضع أساليب اختبارات متنوعة.	٣,٩٤	٣
٤١	تقويم الأجهزة والتسهيلات في غرفة الصف.	٣,٥٤	١٢

	د. مجال الإرشاد والتوجيه:		
٤٢	مقابلة الطلاب والآباء وتزويدهم بالمعلومات الضرورية.	٣,٩٩	٢
٤٣	جمع البيانات المتعلقة بالطلاب لأغراض محددة.	٣,٤٨	١٢
٤٤	تصنيف الطلاب حسب البرامج المهنية المناسبة لهم.	٣,٩٨	٣
٤٥	جمع المعلومات المهنية وعرضها.	٣,٧١	٨
٤٦	تقديم المعلومات المتعلقة بالتعليم المهني-الفني للمتعلمين.	٣,٩٠	٦
٤٧	تحويل الطلاب إلى مرشدين تربويين أو أفراد مؤهلين للحصول على معلومات مهنية.	٣,٣٤	١٤
٤٨	تعريف الطلاب بما يدور في سوق العمل والمهن المختلفة ومتطلباتها.	٣,٩٨	٣
٤٩	مساعدة الطلاب في مواجهة مشكلاتهم الخاصة والاجتماعية.	٣,٥٠	١١
٥٠	مساعدة الطلاب في مواجهة مشكلاتهم الأكاديمية.	٣,٦٠	٩
٥١	وضع سياسة إرشادية مفتوحة الأبواب.	٣,٤٢	١٣
٥٢	جمع ونشر المعلومات التي تتبع تقدم الطلاب.	٣,٥٢	١٠
٥٣	تزويد الطلاب بالمعلومات المتعلقة بفرص العمل.	٣,٨٣	٧
٥٤	مساعدة الطلاب في حل مشكلاتهم المهنية.	٣,٩٤	٥
٥٥	تتبع تحديث وتطوير وتنقيح المنهاج.	٤,٠٧	١

	هـ . مجال الإدارة:		
٥٦	تحديد قواعد ومسؤوليات المعلم والمتعلم.	٤,٢٩	١
٥٧	تحديد الحاجات القريبة والبعيدة من الأجهزة والتسهيلات.	٣,٨٣	٢
٥٨	استشارة اللجنة الاستشارية في تخطيط الأجهزة والتسهيلات.	٣,٦٩	٥
٥٩	الاحتفاظ بقائمة توضح التجهيزات والمعدات الضرورية.	٣,٨١	٣
٦٠	وضع سياسة تنفيذية تتعلق باستعمال التجهيزات والمعدات.	٣,٧٩	٤
٦١	الاحتفاظ بالملفات المتعلقة بمتابعة الخريجين.	٣,٢٨	٧
٦٢	تسجيل بيان التقدم التراكمي للطلاب وحفظها بسجلات.	٣,٣٨	٧
٦٣	تصنيف الطلاب حسب الفروق الفردية.	٣,٤٢	٦
٦٤	إدارة نشاطات طلابية من أجل تحقيق الأهداف والحاجات التربوية.	٣,٣٦	٨
٦٥	ق. مجال العلاقات العامة: تشجيع التعليم المهني ــ الفني في المدرسة والمجتمع.	٤,٢١	١
٦٦	تطوير علاقات عمل جيدة بين الطلاب والعاملين في المؤسسة التعليمية والمجتمع المحلي.	٣,٩٤	٣
٦٧	تزويد المدرسة والمجتمع بأحدث المعلومات المتعلقة بالتعليم المهني ــ الفني.	٤,١٥	٢
٦٨	تطوير علاقات جيدة مع أفراد المجتمع والمؤسسات الاجتماعية والمهنية والدينية.	٣,٧٢	٦
٦٩	خدمة مؤسسات المجتمع وتنظيماته كمصدر للمعلومات.	٣,٥٤	٩
٧٠	إنشاء علاقات مع مؤسسات الاستخدام والعمل.	٣,٧٠	٧
٧١	استشارة اللجنة الاستشارية بشكل دوري للوقوف على توقعاتهم المتعلقة ببرامج التعليم المهني ــ الفني.	٣,٦٩	٨
٧٢	إنشاء علاقات مع قطاعي الصناعة والتجارة.	٣,٥٤	٩
٧٣	تحسين صورة برامج التعليم المهني– الفني في مؤسسات المجتمع.	٣,٨٩	٤
٧٤	إنشاء علاقات وطيدة مع الآباء.	٣,٧٥	٥
		٣,٨٥١	

	يقوم معلم التعليم المهني – الفني بعمل:	المتوسط	الرتبة حسب المجال
	ز.مجـــــال الدور المهني:		
٧٥	تخطيط برامج مهنية-فنية مستمرة.	٤,٠٧	٥
٧٦	اكتساب مهارات مهنية ومعرفة جديدة لكي يواكب التقدم العلمي والتكنولوجي.	٤,٢٨	٢
٧٧	الاحتفاظ بالوثائق العلمية المهنية من خلال العضوية والمشاركة الفعالة.	٤,١٢	٣
٧٨	دعم المؤسسات المهنية من خلال العضوية والمشاركة الفعالة.	٣,٦٥	١١
٧٩	العمل على تحسين صورة التعليم المهني- الفني من خلال العضوية النشطة في المؤسسات النشطة.	٣,٦٨	٩
٨٠	ممارسة المهن مع الأيدي العاملة في المدرسة وخارجها.	٤,٠٣	٦
٨١	المشاركة في وضع وتخطيط برامج تدريبية في أثناء الخدمة للمعلمين.	٤,١٠	٤
٨٢	الإشراف على تدريب الطلاب العلمي.	٤,٤٨	١
٨٣	عقد ندوات تتعلق بالتعليم المهني – الفني.	٣,٩١	٨
٨٤	تشجيع التعاون بين المؤسسات المهنية الخاصة والرسمية.	٣,٨٥	١٠
٨٥	الاهتمام بمصادر المعلومات المتعلقة بالتعليم المهني – الفني.	٤,٠٢	٧
		٤,٠٣٣	

أما الجدول رقم(٢) فبين استجابات المديرين، ويتبين منه أن في المجال الأول والمتعلق بالتخطيط كانت جميع الكفايات مهمة جدا، وهذا يتطابق مع رأي المعلمين في هذا المجال.

ومما يدل على أهمية كفايات هذا المجال أن (٩) كفايات حصلت على متوسط أعلى من (٤)، وهذا يؤكد الحاجة إلى هذه الكفايات من وجهة نظر كل من المعلمين والمديرين.

أما المجال الثاني والمتعلق بالتنفيذ فكان عدد الكفايات المهمة جدا (١٥) كفاية من أصل(١٦) كفاية، وأن (٦) كفايات حصلت على متوسط أعلى من (٤)، وهذا يؤكد أهمية كفايات هذا المجال للمعلمين كما يراها المديرون.

وفي مجال التقويم كانت جميع الكفايات مهمة جدا، كما كانت أيضا مهمة جدا من وجهة نظر المعلمين لكفايات التقويم.

أما المجال الذي يتعلق بالإرشاد والتوجيه فقد كانت الكفايات الهامة جدا (١٣) كفاية من أصل (١٤) وهذا يعزز حاجة المعلمين لدور الإرشاد والتوجيه من أجل تفعيل عملية التعليم والتعلم، والتفاعل مع قضايا الطلبة بمهارة ودراية.

أما مجال الإدارة فكان عدد الكفايات المهمة جدا (٥) من أصل (٩) وهذا ينسجم مع رأي المعلمين تماما، حيث كانت المتوسطات للكفايات في استجابات المعلمين والمديرين متقاربة.

وفي مجال العلاقات العامة كانت جميع الكفايات العشر مهمة جدا وهذا أيضا ينسجم مع استجابة المعلمين، ويعزز أهمية الاتصال بسوق العمل والمجتمع لما فيه من فائدة في تحسين عملية التعلم والتعليم وتطويرها.

وفي مجال الدور المهني كانت جميع الكفايات مهمة جدا في استجابات كل من المعلمين والمديرين، وهذا يعزز أهمية النمو المهني والاطلاع على ما يستجد من معرفة في حقل التخصص.

جدول رقم (٢)

استجابات المديرين

	يقوم معلم التعليم المهني – الفني بعمل: –	المتوسط	الرتبة حسب المجال
	أ.مجال التخطيط:		
١	تكوين لجنة استشارية من أجل تخطيط المادة التعليمية.	٤,١٣	٤
٢	الاستفادة من اللجنة الاستشارية في مواكبة التطورات الجديدة في التعليم المهني – الفني – .	٤,٠٥	٨
٣	تحديد المهارات والمعلومات التي سيعلمها من خلال تحليل المهن.	٣,٩٥	١٠
٤	تحديد المهارات الضرورية للطلاب لكي تساعدهم في تعلم المهن.	٤,١٦	٣
٥	تحديد الأهداف والحاجات التربوية للطلاب.	٤,٠٥	٨
٦	وضع أهداف محددة للبرنامج المهني – الفني.	٤,٠٨	٦
٧	تطوير محتوى المادة التعليمية للدروس النظرية والعملية.	٤,٢٦	١
٨	تحديد طرق وأساليب متنوعة للتدريس والتدريب.	٤,٢٤	٢
٩	تنظيم تسلسل المهارات والواجبات التعليمية.	٣,٨٩	١٢
١٠	تحديد الأجهزة والمعدات الضرورية للتعليم.	٤,٠٨	٦
١١	تحديد الوسائل والمعينات التعليمية.	٣,٧٩	١٣
١٢	تطوير أساليب وطرق للعمل مع الطلاب المعاقين.	٣,٩٢	١١
١٣	تحديد قواعد وشروط السلامة العامة.	٤,١٣	٤
	المتوسط العام لجميع كفايات المجال	٤,٠٥٧	

	ب.مجـــال التنفيذ:		
١٤	إدارة المناقشات الصفية الجماعية.	٤,١٨	٢
١٥	رئاسة المناقشات العامة وتوجيهها.	٤,١٦	٣
١٦	استخدام وسائل الإيضاح في عملية التعليم.	٤,١٣	٥
١٧	القيام بالرحلات العلمية لمواقع المهن.	٣,٩٦	٧
١٨	توجيه وتنظيم التدريب في مواقع العمل.	٤,١٦	٣
١٩	تطبيق تجارب عملية.	٤,٣٢	١
٢٠	القيام بالزيارات المنزلية (زيارات منازل الطلاب).	٣,١٨	١٦
٢١	إلقاء محاضرات علمية مهنية.	٣,٥٠	١٤
٢٢	الاستفادة من ذوي الاختصاص في المجتمـــع مــن أجــل تقديــم معلومات علمية مهنية.	٣,٧٩	٨
٢٣	استخدام الأدوات السمعية والبصرية.	٣,٦٦	١٠
٢٤	إجراء تجارب مخبرية وعروض توضيحية.	٣,٦١	١١
٢٥	تطبيق أنظمة وقواعد السلامة العامة والمحافظة عليها.	٤,٠٥	٦
٢٦	التعرف على سلوك الطلاب وأعمالهم وتفسيرها وتوجيهها.	٣,٧٤	٩
٢٧	تعزيز التعلم من خلال أساليب التعزيز الإيجابية.	٣,٥	١٤
٢٨	إنتاج مواد تعليمية من خلال أجهزة إنتاج متنوعة.	٣,٦١	١١
٢٩	المحافظة على الأجهزة والتسهيلات التعليمية بشكل مناسب.	٣,٥٨	١٣
المتوسط العام لجميع كفايات المجال		٣,٨٢١	

	جـ . مجال التقويم:		
٣٠	تقويم الكتب والمراجع من أجل التعرف على مدى تحقيق أهـــداف المادة التعليمية.	٤,٢٤	١
٣١	وضع معايير تقويم للدروس.	٤,٠٨	٣
٣٢	تحديد معايير تقويم واقعية.	٣,٠٧٤	١٠
٣٣	اختيار المقياس المناسب للمعايير.	٣,٥٥	١٢
٣٤	وضع المعايير والطرق المناسبة لتقويم الأداء الصفي والمخبري.	٣,٨٧	١٧
٣٥	وضع معايير لتقويم الطلاب الذاتي.	٣,٨٤	٩
٣٦	توجيه تقويم الطلاب الذاتي.	٣,٨٧	٧
٣٧	تفسير نتائج التقويم للآباء والطلاب.	٣,٩٧	٥
٣٨	تقويم طرق وأساليب التدريس.	٤,٢٤	١
٣٩	تقويم تقدم الطلاب العلمي في الصف وفي المختبر.	٤,٠٨	٣
٤٠	وضع أساليب اختبارات متنوعة.	٣,٩٥	٦
٤١	تقويم الأجهزة والتسهيلات في غرفة الصف.	٣,٦١	١١
المتوسط العام لجميع كفايات المجال		٣,٩١٩	

	د. مجال الإرشاد والتوجيه:		
٤٢	مقابلة الطلاب والآباء وتزويدهم بالمعلومات الضرورية.	٤,٠	٤
٤٣	جمع البيانات المتعلقة بالطلاب لأغراض محددة.	٣,٤٧	١٣
٤٤	تصنيف الطلاب حسب البرامج المهنية المناسبة لهم.	٣,٩٧	٥
٤٥	جمع المعلومات المهنية وعرضها.	٣,٧٦	٨
٤٦	تقديم المعلومات المتعلقة بالتعليم المهني ــ الفني للمتعلمين.	٣,٧٩	٧
٤٧	تحويل الطلاب إلى مرشدين تربويين أو أفراد مؤهلين للحصول على معلومات مهنية.	٣,٤٧	١٣
٤٨	تعريف الطلاب بما يدور في سوق العمل والمهن المختلفة ومتطلباتها.	٣,٩٥	٦
٤٩	مساعدة الطلاب في مواجهة مشكلاتهم الخاصة والاجتماعية.	٣,٥٨	١٠
٥٠	مساعدة الطلاب في مواجهة مشكلاتهم الأكاديمية.	٣,٦٦	٥٢٩
٥١	وضع سياسة إرشادية مفتوحة الأبواب.	٣,٥٨	١٠
٥٢	جمع المعلومات التي تتبع تقدم الطلاب ونشرها.	٣,٥٨	١٠
٥٣	تزويد الطلاب بالمعلومات المتعلقة بفرص العمل.	٤,٠٣	٣
٥٤	مساعدة الطلاب في حل مشكلاتهم المهنية.	٤,٠٨	٢
٥٥	تتبع تحديث وتطوير وتنقيح المنهاج.	٤,٤٧	١
المتوسط العام لجميع كفايات المجال		٣,٨١٤	

	هـ . مجال الإدارة:		
٥٦	تحديد قواعد ومسؤوليات المعلم والمتعلم.	٤,٣٤	١
٥٧	تحديد الحاجة القريبة والبعيدة من الأجهزة والتسهيلات.	٣,٨٤	٢
٥٨	استشارة اللجنة الاستشارية في تخطيط الأجهزة والتسهيلات.	٣,٨٢	٣
٥٩	الاحتفاظ بقائمة توضح التجهيزات والمعدات الضرورية.	٣,٧٦	٤
٦٠	وضع سياسة تنفيذية تتعلق باستعمال التجهيزات والمعدات.	٣,٥٣	٩
٦١	الاحتفاظ بالملفات المتعلقة بمتابعة الخريجين.	٣,٥٣	٨
٦٢	تسجيل بيانات التقدم التراكمي للطلاب وحفظها بسجلات.	٣,٦٣	٦
٦٣	تصنيف الطلاب حسب الفروق الفردية.	٣,٦٦	٥
٦٤	إدارة نشاطات طلابية من أجل تحقيق الأهداف والحاجات التربوية.	٣,٥٥	٧
	المتوسط العام لجميع كفايات المجال	٣,٧٤	

٦٥	ق. مجـــال العلاقات العامة: تشجيع التعليم المهني ــ الفني في المدرسة والمجتمع.	٤,٠٥	١
٦٦	تطوير علاقات عمل جيدة بين الطلاب والعاملين في المؤسسة التعليمية والمجتمع المحلي.	٣.٨٩	١
٦٧	تزويد المدرسة والمجتمع بأحدث المعلومات المتعلقة بالتعليم المهني-الفني.	٤,٠٣	٢
٦٨	تطوير علاقات جيدة مع أفراد المجتمع والمؤسسات الاجتماعية والمهنية والدينية.	٣,٨٤	٧
٦٩	خدمة مؤسسات المجتمع وتنظيماته كمصدر للمعلومات.	٣,٧١	٩
٧٠	إنشاء علاقات مع مؤسسات الاستخدام والعمل.	٣,٧٩	٨
٧١	استشارة اللجنة الاستشارية بشكل دوري للوقوف على توقعاتهم المتعلقة ببرامج التعليم المهني ــ الفني.	٣,٩٢	٥
٧٢	إنشاء علاقات مع قطاعي الصناعة والتجارة.	٣,٧١	٩
٧٣	تحسين صورة برامج التعليم المهني ــ الفني في مؤسسات المجتمع.	٣,٩٥	٣
٧٤	إنشاء علاقات وطيدة مع الآباء.	٣,٩٥	٣
	المتوسط العام لجميع كفايات المجال	٣,٨٨٤	

	المتوسط العام لجميع كفايات المجال	٣,٨٨٤	
	يقوم معلم التعليم المهني ـ الفني بعمل:	المتوسط	الرتبة حسب المجال
	ز.مجـــال الدور المهني:		
٧٥	تخطيط برامج مهنية ـ فنية مستمرة.	٤,١٦	٤
٧٦	اكتساب مهارات مهنية ومعرفة جديدة لكي يواكب التقدم العلمي والتكنولوجي.	٤,٣٢	٢
٧٧	الاحتفاظ بالوثائق العلمية المهنية الفنية الحديثة.	٤,١٦	٤
٧٨	دعم المؤسسات المهنية من خلال العضوية والمشاركة الفعالة.	٣,٨٧	١١
٧٩	العمل على تحسين صورة التعليم المهني ـ الفني من خلال العضوية النشطة في المؤسسات النشطة.	٤,٠٥	٧
٨٠	ممارسة المهن مع الأيدي العاملة في المدرسة وخارجها.	٣,٩٦	١٠
٨١	المشاركة في وضع وتخطيط برامج تدريبية في أثناء الخدمة للمعلمين.	٤,١٨	٣
٨٢	الإشراف على تدريب الطلاب العملي.	٤,٥٨	١
٨٣	عقد ندوات تتعلق بالتعليم المهني ـ الفني.	٤,١١	٦
٨٤	تشجيع التعاون بين المؤسسات المهنية الخاصة والرسمية.	٤,٠	٩
٨٥	الاهتمام بمصادر المعلومات المتعلقة بالتعليم المهني ـ الفني.	٤,٠٥	٧
	المتوسط العام لجميع كفايات المجال	٤,١٣٢	

وإذا نظرنا في الجدول رقم (٤) نلاحظ أن الدور المهني يحتل المرتبة الأولى. وهذا الدور يركز على أهمية النمو العلمي والمهني للمعلم وإتقان مهارات العمل، ومواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي والاهتمام بالجانب التطبيقي العملي.

أما المجال الذي يحتل المرتبة الثانية فهو التخطيط. والتخطيط يرتبط بإتقان العمل والمهارات التطبيقية والمعرفة التامة بالمعلومات العلمية والتطبيقية وبالمعارف المعاصرة.

لذا فإن الباحث يرى أن الاستجابات تدل على الحاجة الفعلية للكفايات المذكورة من جهة ومن جهة أخرى يرى أن الترتيب كان منطقيا حيث أن التخطيط يعتمد على المعلومات وعلى قدرة التعامل مع هذه المعلومات.

تأتي العلاقات العامة في المرتبة الثالثة وهذه تتصل بمهارة الاتصال بعالم العمل والصناعات والمهن المختلفة وتكوين علاقة وثيقة مع هذه التجمعات المهنية، وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بالتعليم المهني، ولابد من العلاقات العامة بهذا المفهوم إذا أريد للتخطيط أن يكون ناجحا.

ويأتي التنفيذ في المرتبة الرابعة وذلك حسب استجابات المجموع. وهذا المجال يرتبط بإدارة المتعلمين وتوصيل المعلومات لهم بأيسر وأسهل السبل. وكفايات هذا المجال ضرورية للمعلم لأنها تتعامل مع الموقف التعليمي الفعلي وتجعله وجها لوجه مع الطلاب.

وجاء التقويم في المرتبة الخامسة حسب الاستجابات. فالمعلم بحاجة ماسة لمعرفة أساليب التقويم المتنوعة وخاصة تلك التي تتلاءم مع التعليم المهني وذلك لخصوصية التعليم المهني التطبيقي.

وفي المرتبة السادسة كان الإرشاد والتوجيه. وهذا يأتي بعد عملية التقويم التي تكشف جوانب الضعف والقوة، سواء كان ذلك الضعف والقوة في التخطيط أو التنفيذ أو في قدرات المتعلمين. وتفيد عملية الإرشاد والتوجيه في تعريف الطلاب بالمهن الملائمة لقدراتهم وتوجيههم نحوها. كذلك تفيد في معالجة مشكلات الطلاب كافة.

ويأتي مجال الإدارة في المرتبة السابعة والأخيرة.

إن التوافق في استجابات المعلمين والمديرين حول أهمية قائمة الكفايات، يظهر الانسجام في الأفكار حول أهمية هذه الكفايات في إعداد المعلمين وتدريبهم سواء كان ذلك قبل الخدمة أو في أثناء الخدمة. ولقد حكم المعلمون والمديرون أن معظم الكفايات الواردة في الاستبانة مهمة لمعلمي التعليم المهني، ولقد كانت المتوسطات مرتفعة بشكل عام. ويعزو الباحث ذلك إلى ضعف برامج الإعداد والتدريب لمعلمي التعليم المهني سواء كان ذلك قبل الخدمة أو في أثناء الخدمة، وذلك لضعف إمكانات الأردن المادية حيث أن هذا التعليم مكلف من جميع الجوانب.

أما الجدول رقم (٣) فيشير إلى أن الكفايات التي رتبت مهمة جدا في كل مجال مقارنة بعدد الكفايات حيث تشير المعلومات الواردة في الجدول أن المعلمين والمديرين يتفقون على أن معظم كفايات المجالات مهمة جدا. إلا أن هناك خلافا في وجهات النظر فيما يتعلق في مجال الإدارة حيث أظهر المعلمون أن خمس كفايات مهمة جدا في حين قال المديرون جميع الكفايات مهمة جدا ويعزو الباحث السبب في ذلك أن طبيعة عمل المديرين تجعلهم يركزون على المجال في حين يركز المعلمون على الجانب التعليمي (الفني): وهذا ما تعززه نتائج الجدول رقم (١) حيث أن كفايات مجال الإدارة العالية الأهمية بالنسبة للمعلمين تتعلق بالجانب التعليمي.

جدول رقم (٣)

عدد الكفايات في كل مجال مقارنة بعدد الكفايات التي رتبت مهمة جدا (٣,٥ فما فوق) من قبل المعلمين والمديرين معا والمديرين والمعلمين كل على حده.

المجال	عدد الكفايات في كل مجال	عدد الكفايات التي رتبت مهمة جدا (٣,٥ فما فوق)		
		من قبل المعلمين	من قبل المديرين	المعلمين والمديرن معا
أ ـ التخطيط	١٣	١٣	١٣	١٣
ب ـ التنفيذ	١٦	١٣	١٥	١٤
جـ التقويم	١٢	١٢	١٢	١٢
د ـ الإرشاد والتوجيه	١٤	١١	١٣	١١
هـ الإدارة	٩	٥	٩	٥
وـ العلاقات العامة	١٠	١٠	١٠	١٠
زـ الدور المهني	١١	١١	١١	١١
المجموع	٨٥	٧٥	٨٣	٧٦
النسبة %	%١٠٠	%٨٢٣	%٩٧٦	%٨١٩

جدول رقم (٤)

متوسطات المجالات السبعة ورتبتها حسب استجابات المعلمين والمديرين

المجال	متوسط الاستجابات					
	من قبل المعلمين	الرتبة	من قبل المديرين	الرتبة	مديرين ومعلمين	الرتبة
أ ـ التخطيط	٣,٩٨	٢	٤,٠٥٧	٢	٣,٩٨٨	٢
ب ـ التنفيذ	٣,٨٠٤	٤	٣,٨٢١	٥	٣,٨٠٢	٤
جـ التقويم	٣,٧٧٨	٥	٣,٩١٩	٣	٣,٧٩٦	٥
ـ الإرشاد والتوجيه	٣,٧٣٢	٦	٣,٨١٤	٦	٣,٧٤	٦
هـ الإدارة	٣,٦٤٩	٧	٣,٧٤	٧	٣,٦٥٩	٧
و العلاقات العامة	٣,٨١٥	٣	٣,٨٨٤	٤	٣,٨٢	٣
ز ـ الدور المهني	٤,٠٣٣	١	٤,١٣٢	١	٤,٠٤	١

جدول رقم (٥)

أعلى عشر كفايات ترتيبا من بين جميع الكفايات الورادة في المجالات السبعة والتي حصلت على متوسط أعلى من ٤.

الرقم	المجال	رقم الكفاية	متوسط الاستجابة	الرتبة
ز ــ	الدور المهني	٨٢	٤,٤٩	١
أ ــ	التخطيط	١٣	٤,٣٧	٢
هـ ــ	الإدارة	٥٦	٤,٢٩	٣
ز ــ	الدور المهني	٧٦	٤,٢٨	٤
ب ــ	التنفيذ	٢٥	٤,٢٢	٥
ب ــ	التنفيذ	١٩	٤,٢١	٦
و ــ	العلاقات العامة	٦٥	٤,١٨	٧
ب ــ	التنفيذ	١٨	٤,١٧	٨
أ ــ	التخطيط	٧	٤,١٧	٨
ب ــ	التنفيذ	١٦	٤,١٦	١٠

ويشير الجدول رقم (٥) إلى أعلى عشر كفايات في المجالات السبعة، حيث كانت الكفايات ذات الأرقام الواردة في الجدول رقم (١) والمبينة في جدول رقم (٥) هي أعلى كفايات حصلت على متوسطات من بين جميع الكفايات الـ (٨٥) حيث تجاور متوسطها (٤).

أما الجدول رقم (٦) فيشير إلى الكفايات التي رتبت أقل من بقية الكفايات وبمتوسط حسابي بين (٣,٤٩ــ٢,٥) أي مهمة، حيث يبين الجدول رقم (٦) أرقام هذه الكفايات كما هي واردة في الجدول رقم (١) ويبين موقعها في أي من المجالات. ولقد كان عدد الكفايات التي حصلت على تقدير مهمة (٩) من بين (٨٥) كفاية وهذا يشير إلى أهمية الكفايات الواردة في الاستبانة حيث أن (٧٦) كفاية حصلت على تقدير مهم جدا أو مهم للغاية.

جدول رقم (٦)

يبين الكفايات التي رتبت مهمة (٣,٤٩ـ٢,٥) من قبل العينة

رقم الكفاية	المجال	متوسط استجابة المعلمين	متوسط استجاب المديرين
٢٠	التنفيذ	٢,٥٣	٣,١٨
٢١	التنفيذ	٣,٣٣	
٢٤	التنفيذ	٣,٤٨	
٤٣	العلاقات العامة	٣,٤٨	٣,٤٧
٤٧	العلاقات العامة	٣,٣٤	٣,٤٧
٦١	الإدارة	٣,٢٨	
٦٢	الإدارة	٣,٢٨	
٦٣	الإدارة	٣,٤٢	
٦٤	الإدارة	٣,٣٦	

التوصيات

بناء على نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

١. اعتماد قائمة الكفايات المذكورة في الاستبانة في برامج الإعداد والتأهيل والاستفادة منها قدر الإمكان في تحسين برامج الإعداد.

٢. الاستفادة من هذه القائمة في عملية تقويم جهد المعلمين.

٣. إجراء دراسات وأبحاث تتعلق بتحديد الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني، وذلك بأخذ عينات كبيرة، وشاملة للملكة.

٤. إجراء مزيد من الدراسات حول هذا الموضوع بحيث تطبق على معلمي المرحلة الإلزامية، ومعلمي كليات المجتمع.

٥. الاهتمام بمعلمي التعليم المهني (في المرحلة الإلزامية والثانوية) ومعلمي التعليم الفني (كليات المجتمع) من حيث الإعداد والتدريب والتأهيل.

المراجع العربية

١. بدران، مصطفى، والديب، فتحي، ١٩٨٠ **تقويم النظام التربوي لإعداد المدرس في قسم التربية في جامعة الكويت**، منشورات جامعة الكويت، الكويت.

٢. الجمل، نجاح، ١٩٨٣ أثر الدراسة بكلية التربية بالجامعة الأردنية في اتجاهات طلابها نحو مهنة التعليم. دراسات: **مجلة كلية التربية**، الجامعة الأردنية، مجلد ٥ ص ١ ــ ٢٦.

٣. الربضي، يوسف، **الحاجات المهنية لمعلمي العلوم في المرحلتين الإبتدائية العليا والإعدادية وأثر متغيرات الجنس والمؤهل العلمي والتخصص والخبرة فيها.** رسالة ماجستير غير منشورة جامعة اليرموك، ١٩٨٥.

٤. الشيخ، سليمان، وزاهر، فوزي، ١٩٨١. الكفاءات اللازمة للمعلم في قطر. **حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، جامعة قطر، العدد الثالث ص١٤٧ــ ١٧٨.

٥. مرعي، توفيق، ١٩٨٣ **الكفايات التعليمية في ضوء النظم**، دار الفرقان،عمان.

٦. مرعي، توفيق، ١٩٨٢ **مفاهيم تعلم الأطفال ومدى وضوحها عند معلمي المدرسة الإبتدائية المعدين مهنيا في مدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن**،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

٧. مقابلة، نصر يوسف، ١٩٨٩ دراسة استطلاعية في فعالية الكفايات التعليمية ومصادرها عند معلمي المرحلة الثانوية في الأردن، **المجلة التربوية**، العدد التاسع، المجلد الخامس، الكويت، ص٢٠٩ــ٢٥١.

المراجع الأجنبية

1- AL-MOSSUA, IBRAHIM, " A Need Assessment of Saudi intermediate Schol Teacher of science: Basis for Inservice and preservice programs," Unpublished Doctoral Dissertation Kansas State UNIVERSITY, 1987.

2- Al-MAHMOUD, Naser, "self Reported Teaching proficiencies and their sources", An analysis of Teachers perception of their competencies." Unpublished Doctoral Dissertation, University of illinos, Urbana – Chapaign, 1984.

3- AFFASH, YAHYA MOHAMMED, " The Needs of Teachers As Adult Learners As Perceived By Teachers And Supervisors In Inservice Teacher Education Programs In Jordan "Unpublished Doctoral Dissertation, Michigon State University, 1989.

4- BARLOW, MELVIN L."Professional-Development in Vocational Teacher Education." American Vocational Journal,Vol. 46 (November, 1971), 28-31.

5- BURKE, J. BRUCE. "Curriculum Design." Competence-Based Teacher Education. Robert Houston and Robert B.Howsan,Eds Chicago: Science Research Associates, Inc., 1972, 34-55.

6- COTRELL, C.J.et al. "Performance Requirements for Teachers." Model Curricula for Vocational and Teachnical Teacher Education, Report No. I. Columbus, Ohio; The Center for Vocational and Technical Education, The Ohio State University, December, 1981.

7- EHRENBERG, S. D., A Taxonomy of Educational Competencies: For Classroom Instruction, For Instruction Leadership, Miami, F10., Institute for staff, Development 1984.

8- GARGIULO, R. M & Pigge, F. (1987). Teacher Competencies: Need, proficiency and where proficiency was developed. Journal of Teacher Education, 29,p70-76.

9- HALL, G., and JONES, H., Competency-Based Education: Aprocess for the Improvement of Education, Englewood Cliffs,N. J.: prentice-Hall, Inc 1976.

10- HALFIN, HAROLD H. and E. WAYNE COURTNEY. Professional Education Competencies OF Secondary Vocational Instructors. Corvallis, Oregon: Oregon State University, Division of Vocational, Adult and Community College Education, Study No. 2, Teachnical Report, July, 1971.

11- HOUSTON, W. R. "Objectives for prospective elementary teachers of Mathematics, Journal of Teacher Education 1971,22, 326-330.

12- Ingersoll, G.M.,JACKSON, J. M. and Waldem, I. "Teacher training Needs conditions and Materials: A preliminary Survey of inservice Education., Report No. 8 Bloomington, Indiana: National Center for the Development of training Materials in Teacher Education, 1975.

13- JBEILY, KMIL ASSAD, "A profile of the Needs and Concerns of English-speaking public Secondary School Science Teachers from five Geographic Regions in the Republic of Lebanon"Unpublished Doctoral Dissertation, University of Texas, Austin, 1987.

14- KABAKJIAN, EDWARD. "TEACHER Education: Secondary Schools. "science Education News(October, 1971),8

15- KOERNER, JAMES. "The Miseducation of American Teachers. Baltimore, Md.: Penguin Books, 1964.

16- Pope, Billy N. A Search for Common and Unique Teaching Skills and Knowledge in Occupation Education and

Technology at the Secondary Level. AUSTIN: Texas Education Agency, Division of Occupational and Technical Education,1971.

17- Simpson, Elizabeth J. and Mary L. Ellis. "Curriculum Development in Vocational Teacher Education."Changing the Role of Vocational Teacher Education, Rupert N. Evans and David R. Terry, Eds. Bloomington, LLLINOS: Mcknight and Mcknight Publishing Company, 1971, 87-103.

18- Wilson, Alfted P, and William W. Curtis, "The States Mandate Performance based Teacher Education. 'Phi Delta Kappan (September 1973), 76.

تاريخ ورود هذا البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٠/٦/٢١

سعد الله ونّوس[١]

بين التراث والحاضر

د. فيصل سماق
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة دمشق

ملخص

ينطلق هذا البحث من ملاحظة انتقال الهمّ الإبداعي للكاتب المسرحي (سعد الله ونّوس) من تجسيد الحيّز الإيديولوجي ــ السياسي إلى الميدان الجمالي الذي يتمثّل عناصر التاريخ والثقافة، والسياسة والعقيدة لإبراز الفعل المسرحي ذاته. وهذا يعني أن ما كتبه من مسرحيات في الفترة الأخيرة ــ بعد عشر سنوات من الانقطاع ــ يمثّل قفزة نوعية في طريقته الإبداعية.

وسوف نحاول أن نتتبّع بعض ملامح هذه القفزة من خلال مسرحيته (منمنمات تاريخية)، ممهّدين لمسيرته الإبداعية والحياتية بما من شأنه أن يضيء الجوانب العاتمة في هذه المسرحية.

سعد الله ونّوس مسرحي عربي كبـــير (مواليـــد حصيـــن البحـــر بطرطـــوس عـــام ١٩٤١)،درس الصحافة في جامعة القاهرة، وتخرج فيها عام ١٩٦٣، ثم عمـــل فـــي وزارة الثقافة محرراً في مجلة "المعرفة"، ورئيساً لتحرير مجلة "أسامة"، ومكلفاً بإدارة المسارح والموسيقا، ومديراً للمسرح التجريبـــي، ورئيســـاً لتحريـــر مجلـــة "الحيـــاة المسرحية" وأوفد أثناء ذلك لدراسة المسرح في باريس عام ١٩٦٦ – ١٩٦٧، وعـــام ١٩٧٣، وعمل في القسم الثقافي في جريدة "البعث" عام ١٩٦٥، ومسؤولاً عن القســـم الثقافي في جريدة "السفير" عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨٢ ومحاضراً في المعـــــهد العـــالي للفنون المسرحية عام ١٩٨٥.

اتجه إلى كتابة المسرح مبكراً فنشر عام ١٩٦٢ مسرحية "ميدوزا تحدق في الحيـــاة" و "جثة على الرصيف" ثم توالت مسرحياته القصيرة التي ضمها كتابـــــه الأول "حكايـــا جوقة التمثيل" عام ١٩٦٥، ثم صدرت مسرحيته الهامـــــة "حفلـــة ســـمر مـــن أجـــل ٥حزيران" عام ١٩٦٨، واتبعها بمسرحيتين هامتين أيضاً هما "مغامرة رأس المملـــوك جابر" عام ١٩٧٠، و "سهرة مع أبي خليل القباني" عام ١٩٧٣.

ودعم اتجاهه المسرحي في استعادة التراث في مسرحيته "الملك هــــو الملـــك" عـــام ١٩٧٧، وفي هذه الفترة اتجه ونّوس إلى الاقتباس، في صوغ جديد ، كما هو الحـــال مع "رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة" عام ١٩٧٨، والإعداد كما هـــو الحـــال مـــع مسرحيات "يوميات مجنون" وسواها مما ظهر على خشبة المســـرح التجريبـــي مـــع المخرج الفقيد فواز الساجر.

ثم توقف ونّوس عن الكتابة المسرحية عقداً من الزمـــن حتـــى ظـــهرت مســـرحيته "الاغتصاب" عام ١٩٨٩، وفي عام ١٩٩٢ أصيب بورم خبيث في البلعوم الأنفي،وهو يكتب مسرحيته "منمنمات تاريخية"، غير أن قسوة المرض وشدته زادت قـــوة الإرادة لديه، وعززت إيمانه بالحياة، فكتب في سنوات التسعينات الأولى أربع مسرحيات،ربما

كانت من أهم النصوص المسرحية العربية في زمنها، هي "يوم من زماننا" عام ١٩٩٤ التي نشرت في كتاب واحد مع "أحلام شقية"، و "منمنمات تاريخية" عام ١٩٩٤، و"طقوس الإشارات والتحولات" عام ١٩٩٤، و "ملحمة السراب" عام ١٩٩٦.

وارتفعت وتيرة نشاطه في هذه الفترة ، فنشر كتابه "هوامش ثقافية" عام ١٩٩٢ والتفت إليه المثقفون العرب والمؤسسات الثقافية العربية ليلقى تكريماً واسعاً في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي بمصر، وفي مهرجان قرطاج بتونس عام ١٩٨٩ وليفوز بجائزة "سلطان العويس الثقافية" عن المسرح في دورتها الأولى عام ١٩٩٠ وليتوج التكريم عالمياً بانتخابه من قبل المعهد الدولي للمسرح التابع لليونسكو، لكتابة الرسالة التي توجه إلى جميع مسارح العالم في "يوم المسرح العالمي"، في ٢٧ آذار ١٩٩٦ (١).

مما يجدر ذكره أن عدداً من المسارح العربية والهيئات الثقافية العربية قد حولت الاحتفال بيوم المسرح العالمي آنذاك إلى احتفال بمسرح سعد الله ونّوس تكريماً لإبداعه وشخصه في أكثر من قطر عربي.

يتميز مسرح ونّوس بوفرة التفكير فيه تثميراً لوظائف المسرح في الحياة الإنسانية والقومية، بتعبيرها السياسي المباشر غالباً كما في مسرحياته حتى عام ١٩٨٩، وهي السنة التي ظهرت فيها مسرحيته "الاغتصاب"، أو بتعبيرها الأخلاقي وسط محن فساد أمة ومجتمع كما في مسرحيات المرض، وقد طال نقده الأخلاقي جميع الذين يرتعون في حمأة الفساد المنتشر، سواء أكانوا رموزاً سياسية أم دينية أم اجتماعية أم ثقافية،ولعل النقد الأعتى والأقسى قد وُجِّهَ إلى المثقف الذي مثله العالم ابن خلدون في مسرحية "منمنمات تاريخية". أما بقية الرموز فنجد نقداً متواصلاً لها في مسرحياته الأخرى، دون استثناء في فترة المرض، وقد كانت مسرحيته "ملحمة السراب" تتويجاً لنقده الأخلاقي وهذا واضح من عنوانها. وقد لخص تفكيره كله في كلمته بيوم المسرح

العالمي التي وضع لها عنواناً هو "الجوع إلى الحوار"، معتقداً أن البشر محكومون بالأمل، وهم يقاومون الموت والانحطاط الروحي مشيراً إلى أن هذا الأمل ما يزال قوياً، وهو يقاوم السرطان، في حين تواجه البشرية مأزق الزعم بنهاية التاريخ، فقد أكد ونّوس في كلمته "أن ما يحدث اليوم لا يمكن أن يكون نهاية التاريخ" (٢).

تقف تجربة سعد الله ونّوس في الكتابة المسرحية في طليعة التجارب العربية التي دعت إلى تأصيل المسرح العربي منذ بدايات تجربته ولاسيما مسرحيتاه "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران" و "سهرة مع أبي خليل القباني" قرن ونّوس قضية الالتزام بقضايا المجتمع مع الفن المسرحي، وراح في تنظيره لمسرح عربي جديد ، كما تظهر ذلك بياناته ، يقرأ تجربة رواد المسرح العربي (النقاش-القباني – صنوع) قراءة تتسم بكثير من الموضوعية، فنظر إلى تلك الظروف التي أحاطت بتجربة القباني، وحدد منذ البداية أسباب وقوف الرجعية العربية ضد أعمال القباني ومحاولتهم المستميتة لهدم تلك التجربة. ومن هنا انطلق ونّوس يبحث عن طريق تفعيل العملية المسرحية واهتم بالمتلقي (الجمهور) بوصفه الطرف الأهم في المعادلة، لأن فهم طبيعة الجمهور وتحديد ظروفه الاجتماعية والسياسية هما اللذان يحددان طبيعة المسرحية وأهدافها وطرق التعبير عنها.

يمتح ونّوس من معين التراث والتاريخ العربي في غالبية شغله المسرحي، فيستمد مسرحية "الملك هو الملك" من حكاية "ألف ليلة وليلة" ومن معالجة سابقة لها على يد "مارون النقاش"، ومسرحيته "رأس المملوك جابر" من التاريخ العربي في العصر العباسي الثاني، ومسرحياته القصيرة "الفيل يا ملك الزمان" و "مأساة بائع الدبس الفقير" من التراث الشعبي. وتعد تلك المسرحيات مرحلة أولى من تجربته المسرحية. أما المرحلة الثانية، مرحلة المرض، فتبدأ مع مسرحيته "منمنمات تاريخية" معاودة لاستلهام التراث والتعامل مع الماضي للنهوض بالحاضر، وتطرح هذه المسرحية تساؤلها الإشكالي حول دور المثقف والعالم والأديب في مجتمعه وضرورة التزامه

بقضاياه من خلال استعادة حدث تاريخي يرد عرضاً في بعض المصادر عن تلك المقايضة العجيبة التي جرت بين " تيمورلنك" و "ابن خلدون" عالم الاجتماع العربي الأول: حياته أم خرائط المغرب، والنتيجة الخطيرة التي خلص بها باختيار ابن خلدون لحياته الشخصية، فأحيا ونّوس بمسرحيته هذه تساؤلاً نعانيه في حاضرنا العربي الراهن، على المستويات كافة في علاقة المثقف بالسلطان والسلطة.

مسرحية منمنمات تاريخية (٣)

- دراسة تحليلية لبنية النص المسرحي:

لا ريب في أن العلاقة بين المسرح والتاريخ علاقة وطيدة، إذ يشكل التاريخ مادة أساسية تمتح منها النصوص المسرحية وهنا لا بد من السؤال:

- هل المسرح يعيد كتابة التاريخ؟ أم أن للمسرح رؤية خاصة يريد تقديمها إلى الجمهور في إطار مسرحي؟.

إن النص المسرحي نص أدبي بانتمائه وليس كتاباً في التاريخ ولا ينبغي له أن يكون وهذا يفضي إلى أن النص المسرحي حينما يوجه إلى المثقف العربي فينبغي ألا يقرأ عليه التاريخ، إنه يحاول أن يقيم حواراً جدلياً بين الماضي والحاضر، لنرى في المادة التاريخية التي يعرضها النص المسرحي ما لم نستطع أن نراه في كتب التاريخ.

- وعلى الرغم من أن سعد الله ونّوس في منمنماته التاريخية يمتح من معين التاريخ، فإنه لا يقصد من استحضاره لصوت مؤرخ قديم في صلب نصه المسرحي إلى تمثل الحدث التاريخي أو تسجيله أدبياً، بل أنه قصد من وراء ذلك إقامة علاقة خاصة بينه وبين التاريخ ، وفي ضوء هذه العلاقة الخاصة نمت الفكرة الإبداعية الأدبية لهذه المنمنمات التاريخية.

- فماذا أراد أن يقول ((ونّوس)) من خلال عمله المسرحي هذا؟

- وهل التاريخ عند ((ونّوس)) مجرد وقائع منفصلة زمنياً، أم أنـــه حلقــة دائريـــة متصلة الجانبين بالحاضر الذي نعيش؟.

هذا ما سيتضح لنا من خلال دراسة تحليلية لبنية هذا العمل المسرحي.

ولا بد بادئ ذي بدء من تحديد الإطار العام لهذه الدراسة التحليلية والذي ندرجه وفــق الخطوات التالية:

١ـــ هيكل النص وعلائق البنية التكوينية للحدث المسرحي.

٢ـــ بنية الشخصية المسرحية ((وظائفها – خصائصها الفنية – معطياتها الدلالية))

٣ـــ البعد الدلالي للحوار المسرحي وجماليات الصراع الدرامي.

٤ـــ سيرورة الزمان وتداخلات الأمكنة المسرحية.

<u>أولاً – هيكل النص وعلائق البنية التكوينية للحدث المسرحي</u>

ـــ قسم ونّوس عمله المسرحي هذا إلى ثلاث (منمنمات تاريخية)، وجعـــل فـــي كـــل واحدة من هذه المنمنمات عدداً من (التفاصيل) التي تختلف في تعدادها من منمنمة إلى أخرى ، ويتمخض تحليل البنية الهيكلية للنص المسرحي عن ارتباط وثيق بيـــن هـــذه المنمنمات الثلاث ومجموع التفاصيل المكونة لها، أي إن كل واحدة من هذه المنمنمات تبدأ من حيث تنـــتـــهي سابقتها في عرضها لتفاصيل الحدث المسرحي، وبذلك تبـــدو كل واحدة من هذه (المنمنمات) (كمشهد) مسرحي، في حين تبدو (التفاصيل) كفصـــول العمل المسرحي.

ـــ وفي دراسة تحليلية سريعة لعلائق البنية التكوينية للحدث المسرحي في ضوء البناء الهيكلي لهذا العمل المسرحي نجد أن إحدى أهم وأبرز هذه العلاقات بين هيكل النـــص

وبنية الحدث المسرحي تتجلى في التسلسل الزمني لعنصر الحدث المسرحي، إذ يعرض ونّوس في (المنمنمة الأولى) مظاهر القلق المسيطر على أجواء مدينة دمشق المضطربة، التي عمتها حالة من الذعر والخوف عندما علم أهلها بتقدم جحافل "تيمورلنك" نحو المدينة لاحتلالها.

وقبل أن تفتح ستائر المسرحية على شخوصها ينبعث صوت (مؤرخ قديم)، يحكي طبيعة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتوترة التي تعيشها الشام ومصر، من غلاء فاحش في أسعار قوت الشعب، إلى الخطر الداهم الذي يتهدد مدينة دمشق بعد انكسار العسكر الشامي في مدينة حلب وسقوطها بيد جيوش تيمورلنك.

من ثم تأتي الأحداث المسرحية وفق تسلسلها الزمني فتفتح ستارة المسرح على ساحة صغيرة وسوق تجارية في مدينة دمشق ويرصد ونّوس بذور الصراع الأولى بين ثلاث قوى متحالفة متآزرة ضد قوة رابعة هي قوة الشعب، تتمثل هذه القوى الثلاث المتآزرة في (قوة السلطة – قوة التجار – قوة رجال الدين) وتتخذ هذه القوى الثلاث موقفاً واحداً إزاء الخطر الداهم الذي يتهدد دمشق مع تقدم جيوش تيمورلنك نحوها،ويتلخص هذا الموقف في تسليم المدينة بأمان إلى غزاتها دونما حرب أو مقاومة، مما يضمن لهذه القوى شيئاً من مصالحها الخاصة دون أن يفقدها كامل صلاحياتها.

ــ في حين ترفض قوة الشعب هذا الخيار المتخاذل، محاولة الوقوف في وجه الغزاة القادمين وتحصين المدينة وتدعيم قلعتها وترميم أسوارها والدفاع عنها، حتى وإن يكن هذا الدفاع مجدياً إزاء ضخامة الجيش الغازي. من هذا المنطلق يتهجم أحد الدمشقيين / أحمد / على مناد يطوف شوارع دمشق ليرسم بأمر /نائب الغيبة– الحاكم/ مرسوماً يمنع حمل السلاح أو إشهاره أو الضرب بالمقاليع، ويمنع التعرض لمن أراد السفر/الهروب/ من أبناء الشعب. ولا يكتفي أحمد بالتهجم على المنادي بل إنه يشتم

الحاكم / نائب الغيبة /، وهذا ما يثير سخط أحد التجار / دلامة / الذي يستنكر على الشاب أحمد فعلته مرددا أن ما يقره النائب هو التدبير السديد.

ـ وتزداد قوة الصراع الدرامي وحدة توتر الحدث المسرحي حينما ينسلخ عن قوة السلطة أحد رجالاتها الثانويين /آمر القلعة/ وينسلخ عن قوة الرجال الدين أحد رجالاتها / الشيخ برهان الدين التاذلي / لينضما إلى إرادة الشعب في الدفاع والتحصين. وانطلاقا من هذا الحدث يحاول العمل المسرحي طرح مقولة / لا جدوى الخلاص الفردي/.

ـ يبرز الشيخ التاذلي أحد أبرز شخوص العمل المسرحي في المنمنمة الأولى، والتي عنونها ونوس بعنوان: (الشيخ برهان الدين التاذلي أو الهزيمة) ويبدو (التاذلي) في هذه المنمنمة رمزا لطريق النصر كما يطرحه عنوان هذه المنمنمة، غير أن هذا الطريق بات مهددا بعد موت التاذلي شهيدا على أسوار دمشق المحاصرة، تاركا مهمة الدفاع عن المدينة /لأزاد/ آمر القلعة ورجاله.

ـ وعلى الرغم من أن المنمنمة الثانية التي تحمل عنوان (ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون) تطرح من خلال أحداثها تخاذل رجال الفكر إلى جانب رجال الدين إزاء جيش تيمورلنك، فإن هذه المنمنمة تسرد أحداثها من حيث انتهت سابقتها دونما انقطاع عنها في التعاقب الزماني للحدث المسرحي، إذ تبدأ هذه المنمنمة بدهشة (شرف الدين) تلميذ ابن خلدون وكاتبه من احتشاد الناس في جنازة التاذلي، منفعلا لمشهد النعش الذي كان يطير فوق الأكف التي تتفجر حماسة وتتفطر حزنا. وحينما يحث شرف الدين أستاذه ابن خلدون على الاقتداء بالشيخ التاذلي وتهدئة روع الناس وحملهم على الجهاد يصف ابن خلدون كلامه بالتخريف، ويصف تلميذه شرف الدين بالتهور والانفعال والإعجاب الأجوف بشخص الشيخ التاذلي، طالبا منه الكف عن الكلام وتهيئة المكان لاستقبال الأعيان ورجال الدين.

ـ وتتسلط الأضواء المسرحية في المنمنمة الثانية على محنة جديدة غير محنة تخاذل الساسة ورجال الدين في المنمنمة الأولى، إنها محنة تخاذل رجال الفكر والعلم المسيسين المنقادين خلف نزوات التعظيم ومظاهر الزيف الأجوف، وهذا ما يطرحه على القارئ أو المشاهد عنوان المنمنمة الثانية كاملاً: (ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون أو محنة العلم).

ـ إن التفاصيل (أو المشاهد) الثمانية التي تكون أو تشكل المنمنمة الثانية من هذا العمل المسرحي تحمل إلى المتلقي مأساة جديدة تناظر المأساة الأولى التي تلخصها التفاصيل الثلاثة عشر في المنمنمة الأولى، فمن تخاذل رجال السلطة أمام العدو المهاجم المحاصر للمدينة، إلى تخاذل رجال الدين الذين آثروا تسليم البلاد دونما قتال، وانتهاءً بالموقف السلبي لرجال الفكر. وفي ظل هذه اللوحة السوداء تبرز مساحة ضوء خافت تتجلى في المحاولات اليائسة للسيطرة على الوضع السياسي القلق والذي تحمل لواءه القوة الشعبية العارمة بقيادة آمر القلعة "آزاد" بعد استشهاد الشيخ التاذلي. وهنا يبرز التساؤل الأهم الذي تطرحه مسرحية (منمنمات تاريخية):

ـ ما جدوى محاولات الخلاص الفردي في ظل واقع مترد قاتم كالذي ترسمه أحداث هذه المسرحية؟ وتبقى الإجابة عن سؤال كهذا مرهونة بما تحمله إلى المتلقي أحداث المنمنمة الثالثة والأخيرة.

ـ في المنمنمة الثالثة أنموذج مشرق للبطولة الفردية / آزاد/ التي تنتهي إلى مأساة حقيقية أملتها الظروف السياسية في زمن التراجعات والتخاذل تحمل هذه المنمنمة عنوان بطلها (آزاد أمير القلعة أو المجزرة) وتقع في اثني عشر تفصيلاً ملحقاً بها تفصيلٌ أخير. وتنفتح ستارة المسرح فيها على مشهد في الجامع الأموي لأمراء وعساكر يقصفون في الجامع، ومعهم جملة من بنات الهوى، في حين يقف أحد رجال الدين المتخاذلين /ابن العز/ على المنبر يلقي خطبة الجمعة، داعياً للسلطان الذي ترك

البلاد لأعدائها، وداعياً للأمير تيمور الذي دخل دونما قتال بعد أن هادنه كبار تجارها /دلامة/ وكبار شيوخها /ابن النابلسي وابن العز ومحمد بن أبي الطيب وابن مفلح/والذين أجبروا أمير القلعة /آزاد/ على وقف القتال مع قوى تيمور التي كانت تحاصر المدينة بعد أن نقبوا عليه قلعة دمشق وسورها الذي هو حصن المدينة في وجه أعدائها.

ـ ويجبر /آزاد/ على مغادرة المدينة مع رجاله وتتحقق مقولة (عبثية الخلاص الفردي) فآزاد ورجاله من أبناء الشعب ما كانوا ليتركوا المدينة لقمة سائغة للغازين غير أن محاولاتهم هذه تبوء بالفشل لأنها لم تعزز بقوة السلطة /نائب الغيب والسلطان/ كما أنها لم تعزز بقوة رجال الفكر والدين /ابن خلدون وابن النابلسي وابن العز وابن مفلح/ فنائب الغيبة أراد السلامة لنفسه وماله فهرب من المدينة تاركاً أهلها للغزاة، والسلطان خشي من انقلاب مفاجئ يتهدد عرشه في مصر فغادر البلاد مع جيشه الذي عاث فيها خراباً، ورجل الفكر /ابن خلدون/ أتى ليدون ما يرى في أسفاره ومجلداته التاريخية، ولا علاقة له بما يجري من أمور، ورجال الدين يسعون وراء حماية أملاكهم في المدينة وخارجها بممالأة تيمور ومهادنته، ولذلك رأوا تسليمه البلاد دون حرب، والتجار يخشون على مصالحهم وحوانيتهم.

ـ في ظل هذه الظروف التاريخية القاتمة تقع المجزرة، فالشعب: تنكل به قوات تيمور وجنوده، ورجال الدين: تنهب جيوش تيمور أملاكهم فيخسرون كل شيء، و /دلامة/ التاجر: يعذبه رجال تيمور كي يقر لهم عن المكان الذي خبأ فيها ذهبه وأمواله، وذلك بعد أن نهبوا حوانيته، وطالت أيديهم مخازنه، التي احتكر فيها قوت الشعب أيام الحصار، وابن خلدون: يحابي تيمور ليفك أسر تلميذه (شرف الدين) الذي لم يشكر لأستاذه هذه النعمة متسائلاً: كيف يستسيغ البقاء في حياة، الموت فيها أشرف وأنبل بعد أن نحرت زوجته نفسها بين جنود تيمور؟.

ــ تلك كانت قصة مدينة، أو تاريخ حقبة ملأى بالكوارث والنكبات، اكتملت فيها دائرة الهزيمة رغم محاولات الخلاص الفردية اليائسة، وتأتي هذه المنمنمات التاريخية لتقيم حواراً بين الماضي والحاضر. فلكي نتجاوز أزمات الحاضر يجب أن نفهم الماضي،أن نعاود قراءة التاريخ عسى أن نرى فيه ما لم نكن نراه قبلاً. إذ ينبغي أن يظل الوجدان العربي متيقظاً لكبوات الماضي، لعله يستطيع رؤية الحقيقة كاملة /ولعله يستكشف قوانين الهزيمة التي قوضت دعامة الحضارة العربية في تاريخنا القديم.

إن مادة /التاريخ/ في هذه المنمنمات التاريخية ليست حكاية بطولة، بقدر ما هي حكاية صراع قوى، وإيرادات، وتضاد مصائر، وحينما تتصارع القوى التي ينبغي أن تكون قوة واحدة تأتي المجزرة لتحصد الجميع /الشعب ــ التجار ــ رجال الدين ــ رجال الفكر ../ وتتلاشى الجهود الفردية لمحاولات الخلاص في مثل هذا النسيج المهلهل الذي يكاد الوطن فيه أن يكون /صفقة / كل يلتمس فيه الخلاص لنفسه، بعض ضعاف النفوس من أفراد الشعب يجدون الخلاص في الهرب، التجار يجدون الخلاص في تسليم المدينة خوف من اندلاع حرب تأتي على حوانيتهم وأراضيهم وديارهم، ورجال الدين يطمعون في المناصب والأوقاف ويطمحون إلى رضى ذوي السلطان الذين تركوا البلاد لأعدائها، ويمالئون /تيمور/ اتقاء بطشه، فيرفعون له الصوت بالدعاء على المنابر أما البقية الباقية من أكثر أفراد الشعب وأقل رجال السلطة /آزاد/ وأحد رجال الدين /الشيخ التاذلي/ فمحاولاتهم تنتهي بالإخفاق لأن القوة الضاربة كل لا يتجزأ.

وينسدل ستار مسرحية (منمنمات تاريخية) على مشهد الموت الذي يسيطر على المكان، وعلى مشاهد الخراب والدمار التي خلفتها لنا التناحرات والصراعات، والتي كانت ثمرة تفكك الأمة العربية، وتكمن أهمية هذا العمل المسرحي في أنه يسعى نحو تمثل الواقع التاريخي المأساوي للأمة العربية في زمن التراجع الحضاري وزمن الكوارث السياسية، رافضاً صور تفكك البنى الاجتماعية والدينية والاقتصادية

والسياسية، من خلال تأكيد مقولة (عبثية الخلاص الفردي) ومن خلال كشف طبيعة النسيج المهلهل لكل واحدة من هذه البنى.

ثانيا ــ بنية الشخصية المسرحية (وظائفها ــ خصائصها الفنية ــ معطياتها الدلالية)

ــ إن الإحاطة بجوانب الشخصية المسرحية تتيح للقارئ رصد أغوار العمل المسرحي، فهذه الشخوص هي من صلب واقع معيش ولا شك في أن فهم وظائفها وخصائصها ومعطياتها الدلالية سيتيح المجال أمام المتلقي لسبر الجانبين الفني والدلالي في هذا العمل المسرحي.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن قراءة عناوين المنمنمات الثلاث التي تتكون منها هذه المسرحية سيوقف القارئ على أهمية الشخصية المسرحية من وجهة نظر المؤلف، إنها محور الحدث، وقطب تحولاته، ومسار تفاعله مع المتلقي. ففي عنوان المنمنمة الأولى نقرأ: (الشيخ برهان الدين التاذلي أو الهزيمة)، وفي عنوان المنمنمة الثانية نقرأ: (ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون أو محنة العلم)، وفي عنوان المنمنمة الثالثة نقرأ (آزاد أمير القلعة أو المجزرة). إن تسمية عناوين المنمنمات بأسماء بعض شخوص المسرحية الأساسيين أو الرئيسيين يحمل دلالة واضحة تشير إلى أهمية الشخصية في العمل المسرحي من وجهة نظر المؤلف.

ــ ويمكن تصنيف الشخوص الرئيسة في هذه المسرحية إلى قسمين أثنين:

ــ شخصيات رئيسة، بسيطة، سلبية، ذات رؤية واحدة.

ــ شخصيات رئيسة، مركبة، معقدة، إيجابية، ذات رؤى متعددة.

من أبرز الشخصيات الرئيسة البسيطة شخصيات رجال الدين المتخاذلين: (ابن العز ــ ابن مفلح ــ ابن النابلسي).

ويبدو (ابن النابلسي) شخصية انتهازية، همها السيطرة على الأوقاف قبل أن تمتد إليها

يد طامعة غير يده كيد نائب الغيبة مثلاً، ومثل هذه الشخصية الانتهازية شعارها الدائم (صفاء النوايا ولذلك فإنه يردد مراراً وبصورة ببغاوية غبية:

ابن النابلسي: إذا صفت النوايا اتحدت القلوب.

التاذلي: النوايا صافية إنشاء الله.

ابن النابلسي: قولوا إنشاء الله.

الجميع: إن شاء الله.

التاذلي: سيزداد أمر الناس بلبلة وفساد إن لم نكن رأياً واحداً.

ابن النابلسي: إذا صفت النوايا اتحدت القلوب.

ابن النابلسي: إذا صفت النوايا اتحدت القلوب (٤).

إن مثل هذه التعابير العائمة هي ردة فعل ابن النابلسي إزاء محاولات الشيخ التاذلي لعقد الراية لآمر القلعة (آزاد) كي يتولى مهمة الدفاع عن المدينة بعد أن تخاذل عنها نائب الغيبة. وتبدو شخصية (ابن مفلح) مفعمة بالنفاق والخداع والمكر والطمع، إنه يخشى على أرزاقه من جراء الحرب، ويجاري الشيخ التاذلي في الدعوة إلى الجهاد وعقد الراية لآمر القلعة، غير أنه يعود فيما بعد إلى نكص عهده سراً مع التاجر دلامة معترفاً أنه كان مضطراً إلى مجاراة التاذلي:

(حاصرنا الشيخ التاذلي ولم يترك لنا مجالاً للاعتراض) (٥)

ويستغل وفاة الشيخ التاذلي شهيداً ليؤلِّب الناس على آمر القلعة / آزاد / فيجبره مع ثائر المتخاذلين من ذوي المصالح الخاصة على مغادرة المدينة، بعد أن نقبوا عليه قلعة دمشق وسورها متهمين / آزاد /بأنه يجر المدينة إلى الخراب باختياره مواجهة تيمور ورفضه تسليم المدينة دون حرب.

ويبدو (ابن العز) كنظيريه (ابن النابلسي وابن مفلح) شخصية سلبية أحادية الرؤيـــة لا تنطلق من منطلق عقلاني أو غيري في تحليل مجريات الأمور، فـــهو يوافــق ابــن النابلسي وابن مفلح على تسليم المدينة إلى تيمور، ويأخذون عهداً منه ألا يتعرض إلى أهلها بسوء، غير أن (تيمور) ينكص عهده فيبيح دمشق لقادة جيشه ثم يبيح مـــا بقـــي منها لسائر جنوده. ويظهر (ابن العز) في خطبة الجمعة وهو يدعو للسلطان المتخـاذل الفرج بن برقوق وللأمير تيمور، في حين يستبيح جنود تيمور حرمة المسجد،فيدخلون صحن الجامع الأموي وفي أيديهم أباريق الخمر، وهم يراقصون الغانيات، وفـــي مـــا يتسلل المصلون خارج المسجد يأتي أحد الأمراء متطوعاً وبيده إبريق فضـــي ملـــيء بالخمر، ويمد يده ويجر ابن العز عبر الجامع إلى مجلسه (٦) لتتلاشى الإضاءة علـــى مشهدٍ مرير من مشاهد الجبن والتخاذل والشتات.

ويحمل رجل الفكر المؤرخ (ابن خلدون) الرؤية نفسها إذ تبـــدو شـــخصيته أنموذجـــاً لمحنة العلم الذي اغتالته أيدي العلماء، الذيـــن رهنـــوا أقلامـــهم وألســـنتهم لمحابـــاة السلطة،إن همه الوحيد والأساسي هو تسجيل ما يدور من أحداث تاريخية على النحـــو الذي تمليه السلطة، فضلاً عن إعداد المجالس البهية لاستقبال رجال الدين المتنفذيـــن وغيرهم من ذوي السلطان. وحينما يحاول تلميذه (شرف الدين) تذكيره بشرف العلـــم وأمانته وحمل الناس على جهاد العدو يتهمه ابن خلدون بالتخريف مصرّاً على رؤيتـــه الأحادية المحدودة والقاصرة عن الإحاطة بجوانب الأحداث جميعها:

(ابن خلدون: ماذا تخرف يا شرف الدين؟ أتريدني أن أتحول إلى القتال! هل جئت إلى دمشق مقاتلاً أم عالماً؟ هل جئت كي أحمل السيف أم كي أسجل الأحداث ...)(٧)

وكما تمثلت محنة الدين وخيانة أمانته برجال الدين ، كابن مفلح و ابن النابلسي وابـــن العز في المنمنمة الأولى، تستمر المأساة في المنمنمة الثانية في محنة العلـــم مجســـدة برجال فكر متخاذلين ذوي رؤية مسطحة محدودة كابن خلدون.

والأمر الجدير بالملاحظة هو أن المؤلف قد اختار لتجسيد محنة العلم رجلاً معروفاً في تراثنا العربي على أنه أحد كبار المؤرخين، ويبدو أن الغاية المتوخاة من وراء مثل هذا الاختيار هو ربط العمل بأصداء الواقعية التي تضع المتلقي أو المشاهد في صورة تجعله أكثر ارتباطاً بأجواء العمل المسرحي، ولعل ذلك يدفع القارئ إلى التساؤل عن دور رجال الفكر في مثل هذه الملمات التي تحيط بالأمة العربية في كل زمان وأوان. فهل يتلخص دورهم في تسجيل الأحداث؟ أم أن للفكر أمانة ينبغي على المفكر أن يلتزم بها؟.

إن أمانة الفكر تتجسد في التنوير، وفي استنهاض الهمم والعزائم لمواجهة الأخطار التي قد تحيق بالأمة، وهذا يقتضي الترفع عن المحاباة، والتنزه عن محاولات التنصل من مسؤولية العالم إزاء سائر طبقات المجتمع (طبقة السلطة ـ طبقة الشعب ـ طبقة المفكرين الآخرين) وهذا ما دفع آمر القلعة /آزاد/ إلى نعتهم بالنساء:

(مقرف! أعيان وعلماء ينوحون كالنساء! لا شك أنهم بيتوا الأمر منذ وقت طويل..)(٨) وتبرز شخصية التاجر /دلامة/ كأحد أبرز الشخصيات الرئيسة السلبية في المسرحية، إنها صورة لطبقة التجار الذين لا همَّ لهم سوى جمع الأموال وتحصيلها بشتى الطرق، إنه يرفض الحرب ظناً منه أنها ستأتي على أرزاقه بالخراب، ولذلك يدخل إلى جانب الأعيان ورجال الدين والعلماء في صراع دائم مع التاذلي وآزاد آمر القلعة، وينتهي هذا الصراع باستشهاد /التاذلي/ وبإجبار /آزاد/ على مغادرة المدينة وتسليم القلعة.

ولا يتدخل المؤلف تدخلاً مباشراً في رسم الأبعاد النفسية والأخلاقية لشخصية دُلامة،بل إنه يترك ذلك للحدث بوصفه الأجدر بهذه المهمة، وشيئاً فشيئاً تتضح للمشاهد المعالم الدنيئة لشخصية التاجر دُلامة، فهو يحتكر قوت الشعب أثناء حصار المدينة، وهو يحث رجال الدين على مخالفة الشيخ التاذلي ورفض الدعوة إلى

الجهاد،كما أنه يشتري إحدى بنات رجل حلبي فار من جنود تيمور من مدينة حلب إلى مدينة دمشق، فتكون تلك الفتاة الصغيرة الغضَّة صفقة رخيصة لتلبية نزواته الدنيئة، فهو يخاطب والدها الذي اضطر لبيعها إنقاذاً لبقية أسرته من هلاك الجوع:

(تعال معي إلى الداخل هذه صفقة لا تُعقد بخفة، ينبغي أن نزن ونقلّب)(٩).

ويخاطب الفتاة الصغيرة بعد أن عقد صفقته بلغة الربح والخسارة، والشهوة تنفر من عينيه:

(والآن سأجني أرباحي وأقطف ثمارك الشهية)(١٠).

غير أن محاولات / دُلامة / لحفظ أمواله وحوانيته من خلال التسليم دون حرب تذهب أدراج الرياح ، ففي داره نقف على مشهد يبدو فيه دُلامة معلقاً من رجليه ومنكوساً،وتحت رأسه نار موقدة، وعساكر التتار يبحثون عما كنزه دُلامة من مال،وحينما يساومونه بخسَّة على الفتاة الصغيرة /ريحانة/ يتركها لهم رافضاً تسليمهم المال المكنوز فتدلُّهم عليه.

إن شخصية / دُلامة/ رمزٌ سلبي للتاجر الذي ينظر إلى القيم الأخلاقية جميعاً من ثقب الدَّانق والدِّرهم فالمال أولاً وأخيراً هو الغاية والهدف، وهذه الغاية تسوّغها الوسائل كلَّها. إن (الميكيافيلية) المسيطرة على الرؤية السطحية والأحادية البعد لرجال الدين المتخاذلين ولأعيان السلطة وللتجار الوصوليين تنتهي بهؤلاء جميعاً إلى الهلاك المأساوي الذي تعرضه مشاهد المنمنمة الثالثة من هذه المسرحية ليسقط معها مبدأ الغاية التي تسوغها الوسائل ولتتضح للعيان بشاعة صفقة الوطن وصفقة الشرف مقابل المصالح الذاتية الدونية.

ــ وإلى جانب تلك الشخصيات الرئيسة البسيطة ذات المنحى السلبي والرؤية القاصرة المحدودة، ثمة شخصيات رئيسة مركبة معقدة ذات اتجاهات إيجابية ورؤى واسعة

الامتداد الشمول.

إن هذا النمط الثاني من الشخصيات له القدرة والإمكانية على رؤية واستشراف الآفاق المستقبلية للأمور والأحداث الجارية. وتبدو شخصية آمر القلعة /آزاد/ إحدى أهم نماذج الشخصية الرئيسة الإيجابية في هذا العمل المسرحي، فآزاد يستطيع أن يرى خلافاً للآخرين أبعد من حدود ظلّه، إنه يمتلك قدرة خاصة ووعياً ذاتياً يمكنانه من استشراف الأخطار المحدقة بالمدينة وسكانها إذا ما رفضوا الدفاع عنها بشرف،واختاروا تسليمها دونما قتال إلى جنود تيمور / المحاصرين لها، ولذلك يختار /آزاد/ مع سائر رجاله طريق النضال على الرغم من وجود نمطين من الأعداء المتربصين به وبجنوده، النمط الأول: العدو الخارجي المحاصر للمدينة ممثلاً بتيمور وجنوده، والنمط الثاني: العدو الداخلي الذي يقف حجر عثرة أمام جنود المرابطين على السور ويتمثل في قوتي رجال الدين والسلطة، لنلاحظ جملة هذه الأمور في هذه الحوارات التي ترسم للمشاهد صورة جلية وواضحة لما ذكرناه آنفا:

(آزاد: أتريدون أن أشاطركم الخزي الذي تتمرغون فيه، أهذا ماتطلبونه؟ طوال هذا الحصار لم تلتفتوا إلينا ولم تقدموا لنا أي عون أو تعاطف، ومع هذا تأتون بكل عين وقحة وتطلبون منا أن نستسلم.

ــ ابن النابلسي: والله لست باراً بأهلك ومدينتك.

ـ محمد بن أبي الطيب: أيها الناس .. انقبوا القلعة هاتوا المعاول والفؤوس وانقبـــوا القلعة).(١١).

وتأتي هزيمة /آزاد/ وجنوده على أيدي أعدائه من الداخل، مما يزيد عنصر الحـــدث المسرحي تشويقاً ويزيد حدة الصراع الدرامي في النص المسرحي، إذ قام رجال الدين بدعم من قوتي السلطة والتجار بعقد هدنة أو صلح مع تيمور خارج أســوار المدينــة يوافقون فيه على تسليم المدينة دون قتال، على أن يَعِدَهم تيمور ألاّ يُثير في المدينـــة الخراب، وألاّ يعيث فيها فساداً، وأن يحمي مصالحهم وأموالهم وحوانيتهم، ومع دخول قوات تيمور خرجت قوات آزاد من المدينة، ويردِّد الصوت الأخير لآزاد فـــي هــذا العمل المسرحي أمنيةً لم تتحقق تبرز من خلالها غيرة الشرفاء على أوطانهم:

(آزاد: لولا الأطفال والنساء ويأس الرجال، لَوَدِدْتُ أن أدفن في هذه القلعة)(١٢).

ـ ويبدو من خلال العمل المسرحي أن شخصية /آزاد/ بكلِّ ما تحملــه مــن ســمات إيجابية قد كانت وليدة تفاعل حيوي مع شخصية رئيسة أخرى هي شـــخصية الشــيخ التاذلي برهان الدين. ونظراً لأهمية هاتين الشخصيتين في العمل المسرحي فإن ســعد الله ونّوس يُعَنْوِنُ المنمنمة الأولى بعنوان (الشيخ برهان الدين التـــاذلي أو الهزيمــة) ويُعَنْوِنُ المنمنمة الثالثة والأخيرة بعنوان (آزاد أمير القلعة أو المجزرة)، ومع مــوت الشيخ التاذلي شهيداً تتحقق لشخصية / آزاد / إمكانية حمـــل آراء التــاذلي وأفكــاره والتعبير عنها بصورة عملية وجديَّة حتى المراحل الأخيرة من الأحداث المســـرحية. بقي لنا أن نقف عند حدود معالم شخصية التاذلي.

ـ يمثّل الشيخ التاذلي أنموذجاً فردياً لرجل الديـــن الملـــتزم بتعـــاليم الديـــن وقيمـــه المجيدة،إنه يرفض المساومة على شرف الوطن ويرفض تسليم المدينة إلـــى أعدائـــها دون قتال أو دفاع عنها، وحينما ينادي منادٍ /نائب الغيبة/ بتسليم المدينـــة دون شَـــهْرِ السلاح يسرع إلى نائب القلعة وآمرها /آزاد/ ليحثه على مواجهة تيمور وجنوده:

(التاذلي: المدينة تجيش وتضطرب أيها الأمير.

\-

\-

آزاد: ماذا يفعل نائب الغيبة إذن؟!

\-

\-

التاذلي: ألا تعلم! لولا رجال القُبَيْبَات وفتياني، لفرَّ تاركاً البلد وشأنه)(٣١)، وخلال التفاعل بين الطرفين /التاذلي وآزاد/ تتضح معالم النقاط المشتركة بين الشخصيتين،وتتحقق مقولة التوحد بين السيف والكلمة، غير أن استشهاد /التاذلي/ يُعيد أحداث العمل المسرحي إلى عبثية الخلاص الفردي، فمع موت التاذلي أضحى /آزاد/ وحيداً بين سائر القوى التي تصر على تسليم المدينة دونما قتال.

وهنا يمكن أن نتساءل:

ــ ماذا أراد ونّوس أن يقول من وراء هذه المتناقضات التي يحملها مجموع شخصيات العمل المسرحي؟

بتعبير آخر:

ــ ماذا قصد ونّوس من استخلاص أنموذج فرديّ إيجابي من مجموع شخصيات سلبية؟.

إننا نلاحظ أن الشيخ التاذلي هو أنموذج فرديّ لرجل الدين المتزن الواعي مقابل مجموع رجال الدين المتخاذلين الوصوليين.

كما نلاحظ – جميعاً – أن / آزاد / آمر القلعة هو أنموذج فرديّ أيضاً لرجل السلطة

النَّزيه الشريف الذي يرفض التخاذل والاستسلام والقبول بحلول مُخزية وهذا الأنموذج الفرديّ يقف وحيداً أمام محاولات مجموع رجال السلطة المتخـــاذلين / السـلطان ــ نائب الغيبة ــ .../.

وتأتي خلاصة التحليل البنيوي للحدث الدرامي في أنّ هذه الشخصيات جميعها تحمـل مقولة عامة للعمل المسرحي تجسِّده أحداث هذا العمل، وتتجلى هذه المقولة في (عبثية الخلاص الفردي) إزاء الأزمات الجماعية.

ــ إن تفكك القوى وتصارع الإرادات أوديا بالمدينة وأهلها إلى الهلاك، وهذا البنـــاء المهلهل لعناصر القوة في المدينـــة (قوة السلطة – قوة رجال الفكر والديـــن – قـوة رجال المال /التجار/) هو السبيل الوحيد المؤكد لتناحرها، وهذا التناحر بدوره كـــان سبباً مباشراً في / المجزرة/ التي رسمتها مشاهد التفصيل الأخير من المنمنمة الثالثـــة (آزاد أمير القلعة والمجزرة).

وهكذا يذهب الجميع ضحية تخاذلهم وتناحرهم، ولا تثمر جـــهود الأقليَّــة فـــي رأب الصَّدْع، ولمّ الشمل، والدفاع عن المدينة دون مؤازرة الآخرين ومساندتهم.

ــ وإلى جانب الشخصيات الرئيسة في هذا العمل المسرحي ثمَّة شخوص ثانوية،تظهر وتغيب وفقاً لمتطلبات العمل المسرحي.

أولى هذه الشخصيات هي شخصية السلطان الناصر فرج بن برقوق ســلطان مصـــر والشام، وهي أنموذج لرجل السلطة المتخاذل الذي يأتي على رأس جنوده من مصـــر إلى الشام لمواجهة /تيمور/ غير أنه يُسلِّط جنوده على أبناء مدينة دمشـــق، فينـــهبون قوت أهلها، ويتحرشون بأعراض رجالها، وقبل وصول جنود تيمور إلى مدينة دمشـق ينسحب السلطان الناصر خشية انقلاب على عرشه في مصر، وحينما يحاول التـــاذلي إقناعه بالبقاء في دمشق لمواجهة جحافل تيمورلنك القادمة يخفق:

(التاذلي: إذا واجهنا هذه المحنة وكسفنا شمس هذا اللعين فإن الأمة بمصرها وشامها ستلعن المتآمرين، وترفع للسلطان العرش الذي يليق بالظافرين، عرش مسبوك من الحب والولاء.

ـ السلطان: لا أستطيع الجلوس على الحب والولاء أريد عرشي)(١٤)
إن هذه الشخصية لا تحمل عنصر الانتماء إلى الوطن بقدر انتمائها إلى عنصر السلطة والعرش، ويقدم العمل المسرحي من خلال هذه الشخصية الثانوية صورة لتخاذل رجال السلطة في الدفاع عن المدينة، وتأتي شخصية /نائب الغيبة/ وجها لآخر لشخصية السلطان، فالسلطان ونائب الغيبة وجهان لعملة واحدة، ففي الوقت الذي يحيق الخطر بالأمة ينسحب السلطان رغبة في الحفاظ على عرشه في مصر، كما يحاول نائب الغيبة منذ الخيوط الأولى للعمل المسرحي تسليم المدينة بالأمان ـ على حد تعبيره – وحينما يحاول الهرب خارج المدينة يرده رجال الشيخ التاذلي إليها.

ـ إن هاتين الشخصيتين الثانويتين اللتين تظهران إلى المشاهد في المنمنمة الأولى لا تلبثان أن تغيبا سريعا عن الأنظار خلف جدران المسرح، بعد أن تقدما للجمهور صورة حية لتخاذل السلطة الحاكمة في المنافحة عن المدينة، ولتبقى مهمة الدفاع عن المدينة ملقاة على عاتق الشرفاء الأحرار من أهلها.

ـ كما يقدم العمل المسرحي صورة مأساوية لشخصيتين ثانويتين هما شخصية /الحلبي وابنته ريحانة/ فهذا الحلبي رجل فار من حلب التي استباحها جنود تيمور،غير أن الهرب لم يجده نفعا، إنه يتمنى الموت تحت سنابك خيل تيمور حينما تضطره الحاجة والجوع إلى عقد صفقة مع التاجر /دلامة/ يبيعه فيها ابنته ريحانة، تلك الفتاة الغضة الصغيرة التي تقع ضحية ظروفها القاسية، إنها لا تلوم أباها على ما فعل. غير أنها في الوقت ذاته لا تملك حيلة سوى الاستسلام لظروفها ولما تمليه عليها هذه الظروف،وهي تجزم أن الخطر ليس في التتار وحدهم بل الجميع تتار:

(ريحانة : كلهم تتار يا شعبان .. يا شعبان .. قومنا تتار، والتتار تتـــار.)(٥١) إنـــها أنموذج حي للشخصية المسلوبة الإرادة والتي تفاجئنا في نهاية العمل المسرحي بوقفـة الانتقام المهزومة. فحينما يدخل التتار إلى دار /دلامة/ سيدها ليأخذوا ماله،يعرضونـه للعذاب الشديد كي يقر عن مكان المال المخبوء فلا يفعل، وحينما يهددونه بـــالتعرض إلى ريحانة يتركها لهم بخسة، فتعترف لهم وتدلهم على مكان المال المخبـــوء، فيقـع /دلامة/ ميتا. وترسم أحداث المسرحية هذا الموقف المأساوي للحظة الانتقام المـــهزوم على لسان ريحانة:

(ريحانة : الكل تتار الكل .. .تتار

ــ الأمير: انظر هذه محبوبتك هل تريد أن نفعل بها؟!

ــ دلامة (كالمحتضر) افعلوا ما تشاؤون .. لا مال ...

وتدلهم ريحانة على المال.

ــ دلامة (لافظا أنفاسه): قتلتني أيتها الـــ ..

(تضحك ريحانة ضحكات قصيرة متلاحقة وكأن أحدا يدغدغها ثم يتعـــالى ضحكـــها تدريجيا ويختلط بالبكاء ــ فيما تتلاشى الإضاءة) (١٦).

وثمة شخصية ثانوية أخرى جديرة بالذكر هي شخصية المجذوب (شـــعبان) إن هـــذه الشخصية الثانوية هي أنموذج للشخصية الشعبية، إذ إن أمثال هؤلاء /المجاذيب/ هـــم في عرف المجتمعات البسيطة /أصحاب البركة/ الذين يرفضون بـــالفطرة وبصـــورة

جهرية أو علنية مظاهر الظلم والقهر والاستعباد، وهم من حيث الظاهر بسطاء .. مساكين . . ثيابهم أسمال مرقعة.

وهذه السمات جميعها هي سمات شخصية (شعبان المجذوب).

وتأتي شخصية، (المجذوب شعبان) لتطبع البيئة الاجتماعية الشعبية في مدينة دمشق بطابع البساطة آنذاك، فأصحاب هذه الأحياء من أبناء الشعب الفقراء الجائعين لا يزالون يؤمنون ببركة هؤلاء المجاذيب، وبقدرتهم على استشراف كثير مما قد يقع في مقبل الأيام.

وتتمخض المعطيات الدلالية لشخصية المجذوب شعبان عن نزعة خيرة مفرطة إلى درجة المثالية وعن فقر جامح إلى الأمومة، فهو على مدى المنمنمات الثلاث يصرخ بصورة دائمة وفي فاتحة كل حوار من حواراته (يمه ــ يمه ــ هاتي بزك ــ جوعان)(١٧).

ويعيش المجذوب شعبان تفاصيل الحدث بانفعالاته الفطرية النقية، إنه يحن إلى صفاء الأمومة ودفق حنانها وعندما ينعى الشيخ /التاذلي/ يختلط صوته الذي يزداد عمقا وانجراحا مع الأصوات التي تنعي التاذلي (١٨).

وهو يشارك ريحانة /الفتاة البريئة/ محنتها في أبيها الذي باعها للتاجر دلامة ليدفع عنها وعنه هجمة الجوع وفتكته:

شعبان: يمّه – يَمه .. تتر ..

ريحانة: كلهم تتار يا شعبان .... قومنا تتار والتتار ..... تتار ......

كلّهم تتار. ونحن ... أنا ... وأنت لن تُفرق علينا .. ذبحونا ... ولن تفرق علينا ... كلهم ... كلهم ...... تتار .. وأنا ... وأنت غريبان .. .

شعبان: (وهو يشهق بالبكاء) يمّه هاتي بزّك يمّه (١٩).

وتتجسد صورة الأمومة عند شعبان رمزاً من رموز الصفاء والنقاء، ودفقة حنان ممتد، إنها الوطن .. وهي الملجأ والملاذ في ظلّ ظروف الخوف والرعب والجوع،ولذلك يستصرخها شعبان المجذوب عند كلّ خَطْبٍ مفجع.

ثالثاً – البعد الدلالي للحوار المسرحي وجماليات الصراع الدرامي:

ـ ما دمنا بصدد عمل مسرحي فمن الطبيعي أن يحتلّ الحوار فيه درجة الصدارة،فالنمط السرديّ هنا لن يكون مرغوباً فيه، ولذلك يلجأ (ونّوس) إلى تحميل عنصر السّرد إلى صوت الراوي (المؤرخ القديم)؛ وهذا يعني أن شخصية (المؤرخ القديم) في هذا العمل المسرحي لا تبرز على خشبة المسرح إنها ستبقى خلف جدرانه لتحمل إلى المتلقي أجواء المكان وملابسات الزمان وطبيعة الظروف التاريخية للحدث المسرحي.

ـ وبصورة عامة يجد القارئ في مسرحية (منمنمات تاريخية) أن عنصر الحوار في هذا العمل المسرحي يتميز بجملة من الخصائص الفنية نذكر منها:

١ـ ملائمة عنصر الحوار لطبيعة الشخصية المسرحية:

وهذه إحدى بديهيات نجاح الحوار المسرحي، إذ لا ينبغي تحميل الحوار المسرحي مالا تطيقه الشخصية المسرحية. فعلى سبيل المثال تبدو لغة التاجر دُلامة مشبعة بمفردات السوق والصفقات، وتسيطر هذه الخاصة على حوارات التاجر دُلامة حتى في مجال المعاملات الإنسانية، فهو يدعو /الحلبي/ إلى داره ليفاوضه على بيع ابنته مستخدماً تعبيري /نَزِنُ – نُقَلِّبُ/ وكأنه يعقد واحدة من صفقاته التجارية:

(دُلامة: إذاً ... تعال معي إلى الداخل هذه صفقة لا تُعقد بخفّة .. ينبغي أن نَزِنَ ونقلِّب..)(٢٠).

ــ وتحمل حوارات (الحلبي ــ ريحانة ــ سائر شخوص المدينة من طبقة الفقراء والكادحين) دلالات جليّة على طبيعة المنبت الطبقي الشعبي الكادح، وعلى بساطة التفكير وعفوية التعبير، لنتأمل شعبية التعبير (يا بن الحلال ...يا أهل الخير...)(٢١) الذي يرد على لسان (الحلبي)، وتعبير (حُرْمة)(٢٢) الذي يرد على لسان (أحمد) عندما يُوبِّخ زوج أخته مروان لتقاعسه عن الدفاع عن المدينة ضد التتار.

ــ في حين تحمل حوارات /آزاد/ آمر القلعة نبْرة القائد الحازم الشجاع الذي يستطيع وبصورة دائمة حسم المواقف التي تعترضه دون تردّد، إن لغته مفعمة بالحزم،بالقساوة وبالشدة:

(أتريدون أن أشاطركم الخزي الذي تتمرغون فيه؟ أهذا ما تطلبونه؟ طوال هذا الحصار لم تلتفتوا إلينا، ولم تقدموا لنا أي عون أو تعاطف، ومع هذا تأتون بكل عين وقحة وتطلبون منّا أن نستسلم)(٢٣).

إن هذه الجرأة في الحوار نجدها عند الشيخ التاذلي والذي تسيطر على حواراته مفردات: (العلماء .. الفقهاء .. الدنيا زينة وفتنة .. ليس أمامنا والله إلا المصابرة) ولكن لغة التاذلي المشبعة بالرفض لطبقة رجال الدين الطفيليين قد جعلت منه أنموذجاً لرجل الدين المتزن الذي استطاع بجرأته تعرية واقع المقنَّعين برداء الدين من الانتهازيين والوصوليين:

(أيها الناس أنتم اليوم بلا سلطان، هرب السلطان، وتركنا نواجه وحدنا هذا الكافر تيمورلنك،... ولكني أريد أن أُخلِّص ذمّتي ... في زمن ليس ببعيد كان العلماء والفقهاء في مقدمة أهل الحَلِّ والعَقْدِ ، في كل ما يتوالى على الأمّة من عوارض وأحداث. وكان القادة والأمراء يبالغون في إجلال القضاة والفقهاء .. ولكن الدنيا زينة وفتنة، وقد أغرتنا نحن العلماء زينةُ هذه الدنيا، فتهافتنا عليها ورُحنا نتوسل الأسباب لك نصل إلى المناصب)(٢٤) ...

٢-البنية العضوية للحوار المسرحي:

ينبني الحوار المسرحي في مسرحية (منمنمات تاريخية) بناءً عضوياً، وهذا يعني أن هذه الحوارات العفوية والبسيطة تتعاضد فيما بينها وتتعانق بحيث يأخذ الحوار بعنق الحوار، وهذا التواصل العضوي بين أجزاء الحوارات يضفي على العمل المسرحي أجواءً من /الواقعية التاريخية/. فهذه الحوارات المترابطة المتعانقة والمتسلسلة زمانياً ومكانياً تقود المشاهد إلى أجواء الحدث التاريخي بمفرداته الزمنية وجزئياته البسيطة،ولا أدل على ذلك من محاولات رصد التّسلسل الحواري بين المنمنمتين الأولى والثانية – على سبيل المثال .....

ـ إذ تنتهي المنمنمة الأولى عند مشهد وفاة الشيخ التاذلي شهيدا على أسوار القلعة: (أصوات في البداية تتناهى بعيدة ثم تتوضح ثم تعلو وتتصاعد من حناجر كثيرة:

ـ مات التاذلي .. . مات التاذلي.

شعبان: (يختلط صوته الذي يزداد عمقا وانجراحا مع الأصوات التي تنعي التاذلي): يمه هاتي بزك عطشان يمه أعطني حليبا .. يمه هاتي بزك)(٢٥).

وتفتح الستارة على المنمنمة الثانية على مشهد جديد لابن خلدون وشرف الدين تلميذه،وعلى الرغم من ذلك لا تنفصل بنية الحوار الأخير في المنمنمة الأولى عن طبيعة بنية الحوار الأول في المنمنمة الثانية، مما يؤكد عنصر الترابط العضوي بين الحدث والحوار في العمل المسرحي:

(شرف الدين تلميذ ابن خلدون (يبدي الحزن لوفاة الشيخ التاذلي): يا الله! لم أر في حياتي جنازة احتشد فيها هذا الجمع من الناس، كان النعش كأنه يطير فوق الأكف،وكانت الجموع تنفجر انفعالا وحماسة، وكأنهم يقولون سنواصل دربك حتى نلحق بك أو تزول هذه الغمة)(٢٦).

إن هذا الحوار يرتبط عضويا بسابقه مما يضفي على بنية العمل المسرحي كله سمة الترابط العضوي الذي يجعل هذا العمل متماسكا، وهذا التماسك في بنية العمل المسرحي يقود الصراع الدرامي في الحوار المسرحي في صورة خط بياني متصاعد نحو ذروة التوتر أو الصراع الدرامي.

٣.جماليات الصراع الدرامي في الحوار المسرحي:

يحمل عنصر الحوار المسرحي مهمة تصعيد حدة التوتر في الصراع الدرامي إذ يبدأ الصراع الدرامي بالتشكل والبروز مع الخيوط الأولى للحدث في المسرحية، ويتمحور هذا الصراع حول فكرة أساسية هي (كيفية التعامل مع الخطر الخارجي) والذي يتمثل في جيوش تيمور التي باتت تهدد مدينة دمشق. ويجد القارئ نفسه أمام ثلاث فئات متناحرة متصارعة:

ــ فئة المنهزمين المغلوبين على أمرهم ممن لا حول لهم ولا قوة، وهؤلاء يرون الفرار خارج المدينة بأرواحهم وفضل أموالهم، ويلتمسون لتصرفهم الانهزامي هذا شتى الأعذار والعلل.

ــ وفئة ثانية هي فئة الانتهازيين الوصوليين الذين يبحرون مع التيار دون إقامة وزن لشرف الوطن، غايتهم الأولى والأخيرة هي الحفاظ على حوانيتهم ودورهم وأراضيهم،وهذه هي فئة التجار ورجال الدين والسلطة.

ــ وفئة أخيرة هي فئة الشرفاء من أبناء الأمة الذين يؤمنون بشرف الأرض وينافحون عن هذا الشرف بأرواحهم وأموالهم، على علم منهم أن هذه المحاولة لن تبوء بالنجاح،لما بينهم وبين العدو من تفاوت في العدة والعتاد غير أن ذلك لا يبرر لهم البتة تسليم البلاد دون قتال.

ــ وتتضح معالم الصراع بين هذه القوى الثلاث منذ اللحظات الأولى لتشكل الحدث

المسرحي، ويحمل الحوار المسرحي أعباء التعبير عن هذا الصراع، ويمكن للقارئ ملاحظة ذلك في مطلع الحوار المسرحي في المنمنمة الأولى:

ــ (ساحة صغيرة وسوق تجارية).

المنادي: (مع دقات الطبل) يرسم نائب الغيبة ويأمر. يا أهل الشام يمنع إشهار السلاح أو الضرب بالمقلاع .. يا أهل الشام يمنع التعرض لمن أراد السفر ونسلم المدينة بالأمان.

أحمد: [أحد الناس] اخرس قطع الله لسانك.

دلامة (التاجر): لماذا تحامقت عليه أيها الشاب.

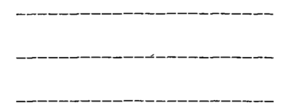
أحمد: ألم تسمعه؟! إنه يحض الناس على الفرار.

دلامة: هذه شؤون خطيرة ولا يجوز أن يخوض فيها إلا الكبار(٢٧).

ويأخذ هذا الصراع بالتأزم في المنمنمة الثانية حينما ينضم العلماء ورجال الفكر [ابن خلدون المؤرخ أنموذجا] إلى فئة الانتهازيين الذين رأوا تسليم البلاد دون قتال راضين بما تنعم عليهم السلطة من مظاهر العظمة والتكريم.

ويدور الصراع في المنمنمة الثانية بين ابن خلدون المؤرخ وتلميذه شرف الدين،ويتمحور حول موقف الأول من الخطر الداهم الذي يتهدد المدينة، فحينما يعرض شرف الدين على أستاذه ابن خلدون فكرة تهدئة روع الناس وحثهم على الجهاد يتهمه ابن خلدون بالتخريف لتضييع مسؤولية رجل الفكر عما يحدث ويدور:

(ابن خلدون: ماذا تخرف يا شرف الدين؟ أتريدني أن أتحول إلى القتال! هل جئت إلى دمشق مقاتلا أم عالما؟ هل جئت كي أحمل السيف، أم كي أسجل الأحداث وأستصفي زبدتها وعبرتها؟.



شرف الدين: هل يجوز أن يسلك العالم إزاء المحن التي تصيب قومه وبلاده مسلك الحياد؟ وهل هذا من شروط العلم ونزاهته؟!.

ابن خلدون: هذا سؤال يفصح عن نباهة، وما أحبه فيك هو نباهتك وحياؤك يبدو أنهم وصلوا لن أنسى سؤالك العشية سنبادر للإجابة. أذهب الآن ورحب بالعلماء والأعيان)(٢٨).

إن الشاغل الوحيد الذي يشغل ابن خلدون هو تهيئة القاعة لاستقبال الأعيان والعلماء هؤلاء الذين جاؤوه ليضموا صوته إلى صوتهم فيوافقهم على تسليم البلاد لتيمور وإرسال (ابن مفلح) ليتداول مع تيمور شروط الأمان خارج أسوار المدينة التي أباحها – فيما بعد – لقادة جنده ثم ترك ما بقي منها لسائر جنوده.

وتشتد أزمة الصراع الدرامي في الحوار المسرحي لتنتهي إلى المجزرة أو الفاجعة في المنمنمة الثالثة. وهذا التصاعد المتسارع في حركة الصراعات الدرامية في هذا العمل المسرحي تضفي عليه طابعا من التشويق والإثارة لتجعل المشاهد مشدودا بكل حواسه إلى خشبة المسرح، إنه يراقب عن كثب آلية تحرك خيوط المؤامرة التي يحوكها رجال السلطة ورجال الدين ورجال التجارة والمال:

(آزاد (آمر القلعة): مقرف! أعيان وعلماء ينوحون كالنساء! لا شك أنهم بيتوا الأمر منذ وقت طويل، لم يكن اجتماع كلمتهم ابن ساعته)(٢٩).

ـ ويبلغ الصراع الدرامي في الحوار المسرحي ذروته الحقيقية لحظة تعرض القلعة لهجوم داخلي من رجال الدين المتخاذلين ورجال السلطة المتآمرين والأعيان:

(ــ آزاد: أتريدون أن أشاطركم الخزي الذي تتمرغون فيه، أهذا ماتطلبونه؟ طوال هذا الحصار لم تلتفتوا إلينا ولم تقدموا لنا أي عون أو تعاطف، ومع هذا تأتون بكل عين وقحة وتطلبون منا أن نستسلم!

ـــ

ـــ

ـــ

ــ ابن النابلسي: والله لست بارا بأهلك ومدينتك.

ـــ

ـــ

ــ محمد بن أبي الطيب: أيها الناس .. انقبوا القلعة هاتوا المعاول والفؤوس وانقبوا القلعة.

شهاب الدين: (من فوق السور): والله إنكم تنقبون قبوركم .)(٣٠)

ويحمل الخط البياني المتصاعد للصراع الدرامي المأزوم، والذي يبقى دونما حل،مؤشرا إلى التردي الذي وصلت إليه شخصيات رجال الدين ورجال السلطة والتجار، وهذا الواقع المتردي ذهب بآمال هؤلاء أدراج الرياح، فقد نهبت أموالهم وحوانيتهم، واقتطع تيمور أراضيهم لقادة جنوده ولم يحفظ لهم عهدا أو ميثاقا. في حين لم تفلح أو تثمر جهود الأحرار الشرفاء الفردية في الوقوف أمام جحافل تيمور.

إن التشابك العضوي بين جملة الحوارات المسرحية في هذا العمل المسرحي تتم على قدرة المؤلف على جمع أشتات الحدث المسرحي في وقائع تاريخية متماسكة، فالتاريخ عند سعد الله ونوس ليس بمنزلة وقائع منفصلة، إنه حدث قابل للتكرار، وهذا الحدث

يجسده الحوار المسرحي في صراعات القوى والإرادات والمصالح المتضادة والمصائر المتناقضة. وهذه الصراعات حملت في طياتها بداية النهاية لتلك القوى المتصارعة، مما أتاح للعدو إمكانية استغلالها لصالحه، وجاءت الهزيمة مكتملة عبر تفاصيل عديدة داخل نسيج العمل المسرحي في زمن تلاطمت فيه الكوارث على الأمة العربية، إنها هزيمة الأمة أمام ذاتها، وأمام عدوها المشترك، وهزيمة المحاولات الفردية للخلاص من الأزمة الجماعية.

رابعا – سيرورة الزمان وتداخلات الأمكنة المسرحية :

ــ يأتي عنصر الزمان المسرحي أحد أبرز عناصر العمل المسرحي فسعد الله ونوس يتوخى الواقعية في عمله هذا، ولذلك فإنه يكشف النقاب عن الفترة الزمنية التي تدور فيها أحداث المسرحية، ويأتي هذا الكشف منذ المراحل الأولى للعمل المسرحي مما يضفي على المسرحية جوا من الواقعية-التاريخية:

(مؤرخ قديم: ثم دخلت سنة ثلاث وثمانمئة والخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله والسلطان الناصر فرج بن برقوق ...)(٣١).

إن هذه الإشارة إلى الفترة الزمنية تضع المشاهد أمام الظروف التاريخية لملابسات الحدث المسرحي، إنها فترة التراجع الحضاري والكوارث السياسية والاقتصادية في الوطن العربي.

ومن الملاحظ أن (ونوسا) يصر على التسلسل الزمني للحدث التاريخي في مسرحيته(منمنمات تاريخية) ولذلك فإنه يحمل صوت المؤرخ أزمان الأحداث المسرحية تباعا.

(وفي خامس عشرة وصل بريدي إلى دمشق ومعه بطاقة بكسرة العسكر الشامي وسقوط مدينة حلب في يد تيمورلنك (٣٢) وفيه، ربيع الأول ——————————

وفيه أمر نائب قلعة دمشق بهدم وإحراق ما حول الخندق من البناء فحصلت شدة للناس ..)(٣٣).

وعلى الرغم من سيطرة الزمن /الماضي/ على هذا العمل المسرحي بوصفه عملا تاريخيا، فإن سعد الله ونوس لم يرم إلى البقاء عند حدود الحدث التاريخي في زمنه الماضي، بل إنه حاول أن يقيم نوعا من العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر، فمن أجل أن نفهم هذا الحاضر الذي نعيش ينبغي أن نعيد النظر في المضي الذي كنا نعيشه، ومعاودة قراءة أحداثه في ضوء الظروف التاريخية الجديدة، وهذا لا يعني أن التاريخ عند سعد الله ونوس قد أصبح قناعا أو مجرد إسقاطات رؤيوية لواقع الحاضر بقدر ما هو رؤية مكتملة لعلاقة الماضي بالحاضر، إذ ينبغي أن تعي الذات العربية وجودها التاريخي وأن تتجاوز أخطاء الماضي وعثراته، وألا تتيح الفرصة للتاريخ أن يكرر أخطاء الماضي ذاتها.

وإذا كان الزمان في مسرحية (منمنمات تاريخية) عند سعد الله ونوس زمانا عاما يقتصر على (الماضي) فإن المكان في مسرحيته هذه متنوع ومتداخل.

فمن الملاحظ أن الأمكنة في هذه المسرحية متنوعة بتنوع الحدث متغيرة بتغير مكانه،مما يضفي على العمل حيوية وحركة دائمة مستمرة.

تنفتح ستارة العرض المسرحي على مشهد (ساحة صغيرة وسوق تجارية) ويظل هذا المشهد المكاني مسيطرا على العمل المسرحي خلال التفصيل الأول منه فحسب، لينقل لنا مشهد تأثر أو ردة فعل العامة من الناس وبعض التجار والأعيان تجاه أمر نائب الغيبة الذي ينص على عدم التعرض لأحد من الهاربين خارج المدينة وتسليم المدينة دون قتال.

من ثم يتغير المكان بتغير التفصيل أو (المشهد) لينقلنا إلى (ديوان قلعة دمشق) حيث نائب القلعة /آزاد/ و /الشيخ التاذلي/ يتحاوران في مجريات الأمور والأحداث. أما التفصيل الثالث فتدور أحداثه في (بيت في المدينة) حيث زوجان شابان /خديجة ــ مروان/ يتحاوران في محاولة الفرار خارج المدينة أو المكوث فيها.

ومن هذا المشهد ننتقل إلى مشهد آخر مع بداية التفصيل الرابع، وتدور أحداث هذا المشهد في (ركن صحن الجامع الأموي) حيث رجال الدين يتحاورون أيضا في أمر تسليم المدينة دون قتال، فيرفض الشيخ التاذلي ذلك، فيخضعون لرأيه مكرهين، وهم يبيتون الغدر والخيانة.

ثم يعود بنا التفصيل الخامس إلى (السوق التجارية) حيث يعرض مشهد احتكار التاجر /دلامة/ للسوق التجارية، واستغلال ظروف الحصار العسكري للتحكم بأقوات وأرزاق الشعب.

في حين يعود بنا التفصيل السادس إلى (القلعة).

إن هذه التفاصيل الستة المتتالية جميعها من المنمنمة الأولى مفعمة بالحركة والصخب والحيوية وينجم ذلك عن عنصرين اثنين:

– أولهما: تغير المكان المسرحي المتواصل مع مطلع كل مشهد من المشاهد.

– ثانيهما: تصاعد حدة التوتر أو الصراع الدرامي، بدءا من التفصيل الأول من المنمنمة الأولى، واستمرار هذا التصاعد حتى نهاية العمل المسرحي. إن هذا التنوع،وهذه الخصوبة في الميدان المكاني الواسع والفسيح للعمل المسرحي، تجعلان المتلقي أمام مشهد واقعي معيش بملابساته الزمانية والمكانية، إذ ليس ثمة ما يحكى عن حدث يدور في مكان متخيل على لسان أحد الشخوص، بل إن الحدث بملابساته ماثل بحواراته بزمانه ومكانه أمام المشاهد.

وخلاصة القول:

يمكن للقارئ أن يتلمس بوضوح الجهد المبذول في إخراج هذا العمل المسرحي إلى الجمهور، فسعد الله ونوس في مسرحيته (منمنمات تاريخية) ليس كاتب تاريخ أو مؤرخا، ولكنه أديب متفاعل مع التاريخ وحركية الحاضر في الزمن الماضي. إنه يقيم حوارا أو منمنمة بين الذات وماضيها وحاضرها، ويبحث في الماضي عن أخطاء الحاضر، لينتهي إلى مقولة عبثية الخلاص الفردي في حمأة التخاذل الجماعي،وليتوصل إلى خلود الإنسان الفرد الرافض لكل محاولات المساومة على حرية الشعب، وشرف الأرض وكرامة الإنسان.

ويمكن أن يناقش الحدث المسرحي في ضوء ثنائية (الماضي والحاضر). أي بالبحث عن مغزى الحدث التاريخي الذي وزعه ونوس على منمنمات. وفي هذه الحال لن تكون المسرحية مجرد إسقاط للماضي على الحاضر، بقدر ما هي إعادة كتابة للتاريخ الماضي في ضوء انكسارات الحاضر وهزائمه. ونستحضر هنا مقولة محمود أمين العالم:

(النقد التاريخي هو أرفع أساليب الوعي الإنساني العقلاني)(٣٤) وهكذا يستمر الصراع بين القوى المتصارعة في المسرحية ولن تكون (نهاية التاريخ).

الهوامش والإحالات:

١ــ ونوس، سعد الله، الأعمال الكاملة ــ المجلد الثالث ص ٧٨١ ــ ٧٨٧ .

٢ــ ونوس، سعد الله، الأعمال الكاملة ــ المجلد الأول ص ٢٠

٣ــ ونوس، سعد الله، الأعمال الكاملة ــ المجلد الثاني ــ دار الأهالي دمشق ــ الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

٤ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الرابع ص ٣٣٦

٥ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الخامس ص ٣٤٤

٦ــ المسرحية، المنمنمة الثالثة ــ التفصيل الأول ص ٤٢٢

٧ــ المسرحية، المنمنمة الثانية ــ التفصيل الثالث ص ٣٩٣

٨ــ المسرحية، المنمنمة الثانية ــ التفصيل الرابع ص ٣٩٧

٩ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الخامس ص ٣٤٩

١٠ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل السابع ص ٣٥٧

١١ــ المسرحية، المنمنمة الثالثة ــ التفصيل السادس ص ٤٣٩ ...٤٤٣

١٢ــ المسرحية، المنمنمة الثالثة ــ التفصيل التاسع ص ٤٥١

١٣ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الثاني ص ٣٢٧

١٤ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الحادي عشر ص ٣٧٦

١٥ــ المسرحية، المنمنمة الثالثة ــ التفصيل الثاني ص ٤٢٣

١٦ــ المسرحية، المنمنمة الثالثة ــ التفصيل الحادي عشر ص ٤٥٩ ــ ٤٦٠

١٧ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الأول ص ٣٢٦

ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الأول ص ٣٤٢

ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الحادي عشر ص ٣٧٤... إلخ

١٨ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الثالث عشر ص ٣٨٢

١٩ــ المسرحية، المنمنمة الثالثة ــ التفصيل الثاني عشر ص ٤٢٣ ــ ٤٢٤

٢٠ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الخامس ص ٣٤٩

٢١ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الأول ص ٣٢٥ ــ ٣٢٦

٢٢ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل التاسع ص ٣٦٧

٢٣ــ المسرحية، المنمنمة الثالثة ــ التفصيل السادس ص ٣٤٩ ــ ٤٤٠

٢٤ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الثاني عشر ص ٣٧٩

٢٥ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الثالث عشر ص ٣٨٢

٢٦ــ المسرحية، المنمنمة الثانية ــ التفصيل الأول ص ٣٨٥

٢٧ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الأول ص ٣٢٣

٢٨ــ المسرحية، المنمنمة الثانية ــ التفصيل الثالث ص ٣٩٣ ــ ٣٩٥

٢٩ــ المسرحية، المنمنمة الثانية ــ التفصيل الرابع ص ٣٩٧

٣٠ــ المسرحية، المنمنمة الثالثة ــ التفصيل السادس ص ٤٣٩ ــ ٤٤٣

٣١ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الأول ص ٣٢١

٣٢ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الأول ص ٣٢٢

٣٣ــ المسرحية، المنمنمة الأولى ــ التفصيل الثالث ص ٣٣٥

٣٤ــ العالم، محمود أمين ــ قراءة في مسرحية /منمنمات تاريخية/ في الصورة التي رسمتها لشخصية ابن خلدون ــ مجلة الطريق ــ بيروت العدد الأول لعام ١٩٩٦ ــ السنة ٥٥ ص ١٠٥ ــ ١١٥.

تاريخ ورود هذا البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٧/٤/١٣

العلاقة بين الإنسان والعلم والبيئة من منظور علم الاجتماع

د. يوسف بريك
قسم علم الاجتماع ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

ملخص

تلبية للاحتياجات المتنامية لمجتمعه أبدع الإنسان العلم الذي ساهم في تفجير الثورة الصناعية الأولى والثانية، والذي ساهم اليوم أيضاً في تأجيج نار "الثورة الصناعية الثالثة" التي تقوم على تكنولوجيا المعلومات والهندسة الوراثية.

إن التقدم العلمي ــ التقاني الذي أحرزه الإنسان ــ ظاهرة تتسم بالتناقض؛فقد مكنت العمليات التكنولوجية الكبرى من التغلغل في أسرار الحياة ومعالجة الكثير من المشكلات الملحة، ولكنها وفي الوقت نفسه، وبسبب سوء الاستخدام الاجتماعي، باتت هذه الظاهرة تشكل كابوساً يهدد البيئة الطبيعية التي يمارس فيها الإنسان حياته وأنشطته المختلفة من أرض وهواء وماء وكل مايحيط به من موجودات حية وغير حية.

وستسمر المشكلات البيئية من مثل: تآكل طبقة الأوزون، وارتفاع درجة حرارة الأرض، وتلوث الهواء والماء، بالتفاقم مهددة الطبيعة، مصدر وجود الإنسان وبقائه، بالموت البطيء إذا لم يوضع حد للاستنزاف الوحشي لمواردها من قبل قوى الاستغلال في العالم، وإذا لم تجر هذه القوى، مالكة التكنولوجيا ومراكز البحث العلمي، باتجاه خلق "ثورة ايكولوجية" يمكن أن تساهم في إعادة التوازن المفقود للنظام البيئي العالمي. وهذا يتطلب بدوره وعياً بيئياً مناسباً يكف عن التبجح بالانتصار

الحاسم على الطبيعة دون حساب لانتقامها، ويسعى للمحافظة على البيئة. ولأن المشكلات البيئية كونية الطابع يتعين على كل بلد من بلدان الأرض السعي نحو خلق مثل هذا الوعي البيئي وتنميته بالدرجة الأولى عبر التربية البيئية التي تهدف إلى إكساب جيل المستقبل المعارف البيئية المطلوبة، وتعديل القيم، وزرع الاتجاهات الإيجابية بما يؤدي إلى سلوك عملي فردي وجماعي واع في التعامل مع البيئة.

تجتمع في الإنسان مكونات ثلاثة؛ بيولوجية واجتماعية ونفسية. وأي فهم للإنسان،على أنه أحد هذه المكونات بمفردها، يبقى فهماً ناقصاً. فلو نظرنا للإنسان على أنه مجرد كائن طبيعي لأنه يشترك مع غيره من بني جنسه في هذه الخاصية نكون قد قاربنا جزءاً من الحقيقة وليس الحقيقة كلها. فالإنسان دون شك على علاقة بالطبيعة، ففيها وجد، وفيها يعيد إنتاج نفسه. والسؤال: ألا تشترك باقي الكائنات الحية مع الإنسان في هذه الناحية؟ والجواب: نعم.

إذاً ماالذي يميزه عن الحيوان مثلاً؟ قد يقول قائل: إن الذي يميز الإنسان عن الحيوان هو العقل والنطق، والعواطف، وبالتالي فهو حيوان عاقل، أو حيوان ناطق، أو غير ذلك.

إن الوعي والنطق والعواطف لا تكفي لفهم ماهية الإنسان، والدليل على ذلك هو مانعرفه عن أطفال تربوا مع الحيوانات في الغابات فصاروا على شاكلتها بدءاً من المشي على أربعة قوائم ووصولاً إلى طريقة إشباع غرائزهم. وهذا، إن دل على شيء، فهو يشير إلى أن فهم ماهية الإنسان لاتكتمل إذا اقتصر على البعد البيولوجي والبعد النفسي لأن هذه الماهية مشروطة ببعد ثالث هو المجتمع. والمجتمع عبارة عن الوعاء الذي باحتوائه البعد الطبيعي والبعد النفسي يميز الإنسان عن الحيوان. ففي المجتمع تأخذ وظائف جسم الإنسان الفيزيولوجية بعداً غير الذي تأخذه خارجه، إذ فيه تتحول الرؤية من خلال عدسة العين مثلاً من مجرد رؤية ميكانيكية إلى رؤية جمالية. وفي المجتمع فقط يتكون الإنسان وتتكون لغته ومشاعره وعواطفه. وتلبية للاحتياجات المتنامية للمجتمع الذي كونه الإنسان، وتكون هو نفسه فيه، وجه هذا الأخير نشاطه نحو ظواهر مجالات الوجود المختلفة بهدف معرفتها والسيطرة عليها وتوجيهها بما يخدم مصلحته، فأبدع العلم. بناء عليه، فالعلم هو أحد ميادين النشاط الإنساني الموجه إلى الطبيعة والمجتمع والفكر بهدف معرفة الصفات والعلاقات والقوانين التي تخضع لها ظواهر مجالات الوجود المذكورة.

ولأن العلوم الطبيعية هي أول العلوم التي أبدعها الإنسان، فقد ساعدته في الكشف المبكر نسبيا عن الكثير من القوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية المحيطة به. وقد مكنه ذلك في الكشف عن خواص جديدة للطبيعة كانت مجهولة فيما سبق، وعن طرق جديدة لمعالجة تلك الخواص، وعن مصادر جديدة للطاقة والخ.

كل ذلك ساهم في تفجير الثورة الصناعية الأولى التي اعتمدت على البخار، والثورة الصناعية الثانية التي اعتمدت على الكهرباء، وهانحن نشهد فصولا جديدة من "الثورة الصناعية الثالثة" التي تعتمد على تكنولوجيا المعلومات والهندسة الوراثية، والآفاق مازالت مفتوحة أمام ثورة صناعية رابعة وخامسة والخ.

إن التقدم العلمي ــ التقاني الذي أحرزه الإنسان ــ ظاهرة تتسم بالتناقض، فقد مكنت العمليات التكنولوجية الكبرى والبالغة الأهمية، ومن بينها إشاعة استخدام الآلات الحاسبة الالكترونية والأتمتة وتطوير البيوتكنولوجيا البشرية من التغلغل بأسرار الحياة وأعماق الفضاء الكوني ومعالجة الكثير من المشكلات الملحة، ولكنها، في الوقت نفسه، وبسبب اتساع نطاق تأثير الإنسان على الطبيعة، أي في تلك الموضوعات والعمليات الكونية والبيولوجية وغيرها، والتي تجري وفقا لقوانين خاصة بها، والتي تعد المقدمة الأولى لظهور المجتمع البشري، وبسبب سوء الاستخدام الاجتماعي باتت هذه الظاهرة، أي الثورة العلمية ــ التقانية، تشكل كابوسا يهدد وجود الإنسان المتمثل في البيئة الطبيعية التي يحيا فيها، أي هذا الإطار الذي يمارس فيه حياته وأنشطته المختلفة، من أرض، وهواء، وماء، وكل مايحيط به من موجودات حية وغير حية. وهكذا، فالبيئة على هذا النحو تشكل الأساس الذي اشتقت منه كلمة ايكولوجيا (Ecology)أي علم البيئة. والايكولوجيا: مصطلح يوناني الأصل يتألف من شطرين؛الأول: (Eco) ويعني مأوى أو بيتا، والثاني: (Logos) ويعني علما، أي علم البيت، أو معرفة شؤون البيت. وواضح أن المقصود بالبيت هنا هو البيئة. وكان أول من استخدم هذا المصطلح عالم البيولوجيا الألماني المعروف أرنست هايكل

(E.Heackel)سنة ١٨٦٦ الذي عنى به: مجموع العلاقات الودية أوالعدائية التي تربط الكائن الحي ببيئته العضوية أو غير العضوية (١). وبقي هذا المصطلح ــ حتى الستينيات من هذا القرن ــ حكراً على المختصين في البيولوجيا، إلا أنه أصبح اليوم من المصطلحات التي يستخدمها المهندسون، والصحفيون، ورجال السياسة،والمختصون من العلوم المختلفة، كعلم الاجتماع الذي يدرس العلاقة المتبادلة بين البيئة الطبيعية والحياة الاجتماعية.

والآن، وبعد هذه التوطئة التي ألقينا من خلالها الضوء على المفاهيم التي يتكون منها بحثنا هذا، نعود إلى صلب موضوعنا في محاولة منا لمقاربة طبيعة العلاقة بين الإنسان والعلم والبيئة، ولاسيما وأن الحديث عن هذه العلاقة مدار نقاش بدأ منذ قرون ولم ينته حتى يومنا هذا، وذلك بسبب ماتعرضت له العلاقة المومى إليها، وما تتعرض له حالياً، من فقدان متزايد للانسجام بين مكوناتها، وبخاصة في ظل الثورة العلمية ــ التقانية المعاصرة، أو كما تسمى أيضاً بالثورة الصناعية الثالثة التي بقدر ماخلقت من إمكانات هائلة لسد الحاجات المادية والثقافية المتنامية للإنسان بقدر ماأثرت سلباً عليه من حيث إلحاقها الأذى المتزايد ببيئته الطبيعية من هواء وماء وتربة، وذلك بسبب سوء الاستخدام الاجتماعي لنتائجها.

كل ذلك يدفعنا، ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين، للتفكير جدياً بمصيرنا المهدد، مصير الإنسان الذي أبدع العلم ثم أطلق العنان له دون حسيب أو رقيب حتى تمرد عليه، فهل من سبيل إلى رد الفرس إلى فارسها لإعادة ترويضها والحد من الأذى المميت الذي يمكن أن يلحقه بكوكبنا من جراء سوء استخدام الإنسان نتائجه؟ بكلام آخر: أمن الممكن المضي قدماً بالفتوحات العلمية دون إلحاق الأذى بالنظام البيئي الذي نعيش في كنفه؟ وكيف؟.

انقسم الفكر الإنساني في معرض إجابته على هذا السؤال إلى معسكرين؛ الأول يؤكد ضرورة التخلي عن العلم، إذا كان هذا الأخير سيؤدي إلى ضرر بالبيئة

والإنسان،والثاني يطالب بالمضي قدماً بالفتوحات العلمية، حتى ولو كان ذلك سيؤثر في البيئة، لأن سعادة الإنسان، كما يرى أصحاب هذا المعسكر، بدأت مع هذه الفتوحات، ولم يعد من الممكن التخلي عن المزيد من هذه السعادة، بل عن المزيد من الفتوحات العلمية.

أما بخصوص المعسكر الأول، فقد بدأ اتباعه بالإعراب عن قلقهم حيال مايمكن للعلم أن يخلقه من آثار ضارة في البيئة، وبالتالي في الإنسان، فطرحت في القرن الخامس عشر مشكلة تلوث الهواء وبيئة التربة وارتفاع نسب الوفيات في المدن. وفي القرن السادس عشر طرحت مسألة التنقيب عن المعادن على أنها يمكن أن تؤدي إلى اندثار الغابات والحقول والحيوانات، ويمكن أن تسمم الأنهار وتميت الأسماك (٢).

وفي القرن الثامن عشر طرحت المسألة بجدية أكبر أدت إلى احتدام الجدال حولها، في فرنسا تحديداً. فطرح جان جاك روسو(J.J. Rousseau) فكرة العودة إلى الطبيعة والاستغناء عن تلك العلوم التي من الممكن أن تؤدي إلى أضرار سيئة على الأرض مقابل النفع اليسير الذي تسعى إليه. فمثل هذه العلوم ــ كما يقول ــ مضيعة للوقت وقتل للخير وتشجيع للترف وتوسيع لقاعدة اللامساواة بين الناس (٣).

وقد لقيت مثل هذه الدعوة آذاناً صاغية عند عدد قليل من العلماء والمفكرين الحديثين والمعاصرين الذين اتهموا العلم والثورة العلمية ــ التقانية بأنها ليست مسؤولة عن الكوارث البيئية الحاصلة والتي يمكن أن تحصل مستقبلاً فحسب، بل أنها مسؤولة أيضاً عن تشييئ الإنسان وسلبه إنسانيته من خلال تأليهها للجانب العقلي وقتلها للجانب الروحي فيه. فهاهو على سبيل المثال روتشاك (Roszak) يؤكد فقدان الانسجام بين الإنسان والطبيعة، وبين العقل والعاطفة بسبب العلم والتقانة داعياً إلى العودة إلى الماضي، أي العودة إلى الطبيعة، لأن هذه العودة هي الوحيدة ــ حسب رأيه ــ القادرة على إعادة الانسجام المفقود بين الإنسان والطبيعة (٤).

وهاهو مفكر آخر يدعى باوسلا(Bauslaugh) يؤكد من جانبه أن الثورة العلميـــة ـ التقانية قد أدخلت الإنسان في فراغ ميتافيزيقي دون أن تترك عنـــده مكانـــاً للـــرؤى الروحانية مشيراً إلى أن العلم والعقلانية لايمكنهما سد مثل هذا الفراغ، بـــل توســـيع مداه(٥).

وعلى حد زعم هذا المفكر، فإن إيمان الناس المتزايد بالظواهر فوق العادية،كالصحون الطائرة، والاستطبابات الغريبة، والمشاهدات غير الحسية وسواها، ليس إلا إثباتاً علـى أن الإنسان يبحث عن الجانب العاطفي الذي أفقدته إياه التقانة والعلم كي يعيد الانسجام بين عقله وعاطفته محتجاً بذلك على تشييئه؟

أما عالم البيولوجيا الفرنسي المعروف بيلت (Pelt) فإنه يتحدث عن إنسان يتيـــم فـــي مجتمع تكنولوجي، عاداً التقدم التكنولوجي سبباً في إثارة مشاعر القلق والافتقار إلـــى الجذور عند الإنسان الحديث الذي فقد الاتصال بالطبيعة وتعرض لقطيعة مفاجئة مـــع الماضي (٦).

وفيما يتعلق بالمعسكر الثاني، فإن أتباعه يتوجهون بالنقد لأطروحات المعســـكر الأول مؤكدين فائدة العلوم، والسعادة من وراء اكتساب المعرفة، والتأثير الإيجابي للعلم فـــي الممارسة اليومية للناس، وهو مايميز الإنسان عن عالم الحيوان. بناء عليـــه، يـــرى هؤلاء في الدعوة للعودة إلى الطبيعة والتخلي عن العلوم، بأنها دعوة للانخراط مجدداً في مملكة الحيوان. فـــهاهو فولتـــير (Voltaire)، علـــى ســـبيل المثـــال، يكتـــب لروسو،صاحب الدعوة للعودة إلى الطبيعة، قائلاً: وصلني كتابك الجديد ضد الجنـــس البشري ...إنها المرة الأولى التي يبذل فيها مثل هذا الجهد الجبار في محاولة لجعلنـــا حيوانات من جديد. يتملك المرء رغبة جامحة في المشي على أربع قوائم وهو يقـــرأ كتابك" (٧).

وفي الاتجاه نفسه يعارض غريم (Grimm) ماقاله روسو معترفاً بأن سوء اســـتخدام العلوم أدى دون شك إلى إلحاق الضرر بالبيئة، ويسأل عن الكيفية التي يمكن للمرء أن

يواجه بها سوء الاستخدام هذا، فلايجد جواباً، تاركاً المسألة دون حل، ومكتفياً بتأكيد أهمية العلوم وضرورة تطويرها رغم كل المحاذير، لأنها، أي العلوم، هي التي تميز الإنسان عن الحيوان (٨).

وهكذا، فإن المدافعين عن تطوير العلوم كانوا واضحين جداً بالتأكيد على أن سعادة الإنسان يمكن أن تتحقق فقط من خلال إعطائه فرصة لتأكيد ذاته وإطلاق العنان لقدراته العقلية وحرية التفكير دون الوقوف في وجه ذلك تحت أي ذريعة كانت، فمثلما تحمل أفكار الإنسان جوانب سلبية، تحمل أيضاً جوانب إيجابية. وهذه الأخيرة تبرر الدعوة، حسب هؤلاء، في المضي قدماً نحو المزيد من الفتوحات العلمية التي لم يعد بالإمكان وقفها، رغم دعوات المفكرين، أمثال روسو، الذين يطالبون بالتخلي عنها والعودة إلى الطبيعة، فالدعوة إلى العلم وإلى المزيد من الفتوحات العلمية خير يعود بالنفع على الجميع.

وحول الإجابات المختلفة للمعسكرين المذكورين نقول: رغم أن القلق على مصير الإنسان والتفكير بالسبل الكفيلة بتحقيق المزيد من السعادة هو محور اهتمام أتباع المعسكرين، إلا أنهما لم يقدما الإجابة الشافية والكافية عن السؤال المطروح حول كيفية المضي قدماً في الفتوحات العلمية دون إلحاق الأذى بالبيئة الطبيعية.

فالخلل الحاصل في العلاقة بين الإنسان والعلم والبيئة لايمكن إصلاحه من خلال التنازل عن العلم والتقانة، كما يدعي أتباع المعسكر الأول. فالعلم والتقانة لم تكن، في يوم من الأيام، مسؤولة عن اندثار العادات وتصدع القيم وتدمير البيئة، وبالتالي، فاتهامها بقتل الجانب الروحي في الإنسان، والدعوة إلى هجرهما واللجوء إلى الشعوذة وغيرها لسد هذا الفراغ عند الإنسان باطلة من أساسها. من جانب آخر، نعتقد أن الرد على الذين يدعون إلى عدم التخلي عن العلم من خلال إبراز الآثار الإيجابية له والإشارة إلى آثاره السلبية على أنها تحصيل حاصل، كمايفعل أتباع المعسكر الثاني،دون التفكير العميق والجدي بالأسباب والحلول الممكنة، غير كافٍ ولايحل

المسألة. من جهتنا لانرى في العلم والتقانة بحد ذاتها سببا مباشرا يهدد وجود الإنسان المتمثل ببيئته الطبيعية، بل فيماهو أبعد من ذلك، في طبيعة العلاقات الاجتماعية التي يعيش الإنسان في ظلها، والتي تشجع الاستخدام الإنساني للعلم والتقانة، أو تعيقه وبالتالي فإن إصلاح الخلل الحاصل في العلاقة بين الإنسان والعلم والبيئة لايكمن في العودة إلى الوراء، بل، قبل كل شيء، بالوقوف في وجه القوى الاجتماعية ذات المصلحة السياسية والاقتصادية المعادية في أكثر الأحيان للبيئة، والتي لاتعير نداء الضمير الإنساني اهتمامها،لأن نداء المصالح أغلى وأثمن من أي شيء آخر عندها. فبقدر مساهمة القوى الاجتماعية المشار إليها في إحداث نقلة نوعية في حياة البشر من جراء قيادتها للثورات الصناعية الثلاث، ساهمت، ولاتزال تساهم، في إحداث المشكلات البيئة الكونية الطابع وتعميقها. فبدافع من مصالحها الخاصة سعت تلك القوى، ولاتزال تسعى لاستنزاف موارد الطبيعة، وبشكل وحشي أحيانا، إلى درجة أنها لو استطاعت شفط الأوكسجين من وجه الأرض لتعليبه وإعادة طرحه في الأسواق على هيئة سلعة للاستهلاك، تجعل الحياة ممكنة فقط لمن يستطيع شراءها، لما قصرت. ولو استطاعت أن تحول أشعة الشمس لدائرة نفوذها واحتكار الطاقة الناجمة عنها لفعلت. إنها،باختصار، القوى التي لم تتورع عن السيطرة على أي شيء يمكن أن يخدم مصالحها. فقد سيطرت على مصادر الطبيعة وثرواتها واستغلتها في بلدانها والبلدان الأخرى التي تمتلك مثل هذه الثروات، حتى ولو كان ذلك عن طريق القوة العسكرية. كل ذلك أدى إلى جملة من النتائج التي نحصرها بما يلي:

أولا: مزيد من الغنى للبلدان المسماة "بلدان الشمال" التي تشهد انفجارا استهلاكيا يتمثل في حقيقة أن ٨٠% من الثروة العالمية يمتلكها سكان هذه البلدان الذين يشكلون ٢٥% من سكان العالم اليوم. فلكي تحافظ هذه البلدان على وتيرة النمو التي تخضع لها اقتصاداتها في أعقاب الثورة العلمية ــ التقابية تسعى جاهدة إلى تنشيط عملية الاستهلاك من خلال إنتاج السلع الاستهلاكية الجديدة والمتجددة دائما، واستخدام

الدعاية المدروسة التي تؤجج الرغبة في اقتناء هذه السلع، والتفتيش الدائم عن الأسواق الجديدة لترويج هذه السلع، وتقصير مدة بقائها.

وينجم عن تقصير مدة بقاء الأشياء والسلع وتيرة متزايدة لاستهلاكها. وهذه الوتـــيرة المتزايدة للاستهلاك خلقت، خلال السنوات العشرين الماضية، انفجاراً استهلاكياً حـول السلعة المنتجة إلى صنم ابتدعته القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة وعبدته جمـاهير المستهلكين الذين أصبح شغلهم الشاغل التفكير بكيفية اقتناء المزيد من السـلع. إن دور الاستهلاك هذا أثر كثيراً في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الناس. فالسـلعة أخـذت تؤدي دور الوسيط في عملية التفاعل الاجتماعي بين شخص وآخر إلى حد أنها بـاتت تشكل في كثير من الأحيان أساساً للتعارف والصداقة بين الأفراد بعد أن عجزوا عـن بناء مثل هذه الصداقة على أساس الحاجة الإنسانية الصرفة. وأكثر من ذلـك يمكـن رصد ظاهرة جديدة من نوعها في إطار العلاقات الاجتماعية بين أبنـاء المجتمعـات المتقدمة وهي إن عملية التفاعل الاجتماعي بين شخص وآخر عبر السـلعة كوسـيط بدأت تتبدل لصالح السلعة، حيث أصبحت العلاقة في بعض الأحيان لاتقـوم إلا بيـن الشخص والسلعة بحد ذاتها، أي أن السلعة حلت بذلك محل الشخص الآخر، إلى درجة أن الكثيرين قد استغنوا عن إنسان آخر يتبادلون الحديث معه، واقتنوا جهازاً تلفزيونيـاً أو روبوتياً)كمبيوتر يقضون جل أوقات فراغهم معه.

إن الانفجار الاستهلاكي الذي تشهده البلدان الغنية منذ عقدين من الزمن يعني استنزافاً متزايداً لموارد الطبيعة، وزيادة كبيرة في التلوث، وتراكم النفايات التي تحيل الطبيعـة إلى مطرح لها. ونتيجة لذلك يشهد كوكب الأرض أزمة بيئية تهدد ساكنيه، سواء فـي المدينة أو في الريف، في السهل أو في الجبل، في الساحل أو فـي الصحـراء، فـي شمال الكرة الأرضية أو في جنوبها، في شرقها أو فـي غربـها، أغنيـاء كـانوا أو فقراء،مسيطرين أو مسيطراً عليهم. وللتدليل على مدى تفاقم الأزمة البيئية في العـالم نعرض بعضاً من الحقائق الاحصائية التالية (٩).

ــ تآكل طبقة الأوزون بنسبة تتراوح بين ٥ إلى ١٠% مما يعني ازدياداً في حالات السرطان وحالات العمى، وانتشاراً لحالات نقص المناعة، وأضراراً بالمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية.

ــ ارتفاع درجة حرارة الأرض بين ١,٥ ــ ٤,٥ درجة مئوية حتى القرن المقبل، ممايعني فوضى مناخية يمكن أن تؤدي إلى ذوبان القمم الجليدية القطبية وارتفاع منسوب مياه البحار والمحيطات واندفاع المياه المالحة إلى التربة الصالحة للزراعة وتدهور المياه الجوفية.

ــ ينقرض يومياً بين ١٠٠ إلى ٣٠٠ نوع من أنواع الحياة البيولوجية.

ــ كل فرد من أفراد بلدان الشمال الغنية يساهم سنوياً بما يقرب من٤٢ كغ من الملوثات.

ــ تتراكم النفايات في العالم بمعدل ٧٠٠ مليون طن سنوياً.

ــ يباد في كل دقيقة من دقائق الساعة وعلى مدار اليوم مايزيد على ٣٠٠ هكتار من الغابات، وبخاصة الغابات الاستوائية. وهذا يعني أن العالم سيفقد رئته الخضراء في حال استمر بعملية إبادة الغابات بحلول عام ٢٠٤٠.

إضافة لكل ماذكر، وبسبب الارتباط الوثيق بين التدهور البيئي العالمي المذكور وتعثر التنمية، تزداد حالات الفقر وسوء التغذية والوفيات والأمراض في البلدان الفقيرة وهو ماسنتحدث عنه في الفقرة التالية.

ثانياً: مزيد من الفقر للبلدان المسماة بـ "بلدان الجنوب" التي تشهد انفجارا سكانياً، إذ إن ٧٥% من سكان المعمورة يتركزون في كل من أمريكا الجنوبية وآسيا وافريقيا ومع ذلك فهم لايمتلكون سوى ٢٠% من الثروة العالمية. فنصيب هذه البلدان من الناتج الصناعي العالمي على سبيل المثال لايزيد على ١٠% مقابل ٩٠% تتحكم به دول الشمال، ومن التجارة الدولية لايزيد على ١٦% مقابل ٨٤% تسيطر عليه دول

الشمال، وتستهلك هذه البلدان أقل بـــ /١٢/ ضعفاً مماتستهلكه بلدان الشمال، ومتوسط دخل الفرد فيها أقل بعشرين ضعفاً من مستواه في الشمال (١٠).

هذه الوقائع وغيرها تشير إلى مدى تردي الوضع الاقتصادي لبلدان الجنوب، وتعثر عملية التنمية التي تترافق بانفجار سكاني يدفع هذه البلدان إلى التعامل الجائر مع بيئتها الطبيعية، علها تعثر على بقايا من الموارد الطبيعية التي نهبها الاستعمار المتمثل بدول الشمال الغنية كي تسد رمق مواطنيها ليبقوا على قيد الحياة.

ونشاط سكان هذه البلدان المتزايد يساهم بشكل أو بآخر في تدهور النظام البيئي. فعمليات الاستزراع التي يقومون بها على سفوح الجبال وعمليات قطع الأشجار والرعي العشوائي يساهم في انجراف التربة وتآكل الغطاء النباتي وإيذاء الرئة الخضراء، مما يعني مزيداً من التصحر، إذ إن هنا كما يقارب من ٩٠٠ مليون هكتار في هذه الدول مهدد بالتصحر (١١).

وهذا يعني فقدان مايقرب من ٢٥ بليون طن من التربة الخصبة بسبب أعمال التعرية.

كل ذلك يساهم في تعميق الفقر وسوء التغذية والوفيات والأمراض، إذ إن (١٢):

- حوالي ١٤ مليون طفل يموتون سنوياً قبل سن الخامسة.
- حوالي ١,٣ مليار نسمة يفتقرون للمياه النظيفة.
- حوالي ٢,٣ مليار نسمة لا يحصلون على مرافق صرف صحي.
- حوالي ١٠٠ مليون نسمة يعانون من المجاعة.

كل ماذكر سابقاً يساهم، كما أشرنا، إلى حد ما، بتفاقم مشكلة البيئة على الصعيد العالمي. وبقولنا "إلى حد ما"، لانريد أن نعفي دول الجنوب من المسؤولية نهائياً، أو أن نبارك مانشهده من انفجار سكاني يؤدي، دون أدنى شك، دوراً سلبياً في تزايد الفقر والإضرار بالبيئة. لا، إنما نريد أن نرفض ادعاءات دول الشمال المتمثلة بتحميل المسؤولية لدول الجنوب، مع أن هذه الأخيرة كانت ولاتزال ضحية السياسة الاستعمارية المباشرة وغير المباشرة لتلك البلدان. إن مانريد التأكيد عليه هو أن

المسؤولية الكبرى عن تدهور النظام البيئي العالمي تقع على عاتق بلدان الشمال بالدرجة الأولى.

فالبلدان الصناعية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أكثر البلدان إطلاقاً للغازات الملوثة للبيئة. فمع أن نسبة سكان أمريكا لا تتجاوز ٥% من سكان العالم، إلا أنها تستهلك ما ينوف على الـ ٢٥% من موارد الطاقة في العالم، وتساهم بنسبة ٢٢% من التلوث العالمي المتمثل بغاز ثاني أوكسيد الكربون، في حين يبلغ عدد سكان الهند حوالي ١٦% من سكان العالم، ولا يزيد نصيبها من الدخل العالمي على ١% وتستهلك ٣% من موارد الطاقة في العالم، وتساهم بنسبة ٣% من نسبة التلوث العالمي (١٣).

أمام هذه الحقائق تسقط ادعاءات بلدان الشمال التي تتهم دول الجنوب بتدمير البيئة مطالبة إياها بإعادة النظر في سياستها التنموية. فهل يعقل أن تدفع البلدان الفقيرة ثمن الانفجار الاستهلاكي الحاصل في بلدان الشمال؟ وهل يعقل أن تحرم هذه البلدان من حق التنمية التي تسعى البلدان الفقيرة من خلالها إلى توفير فرص البقاء على قيد الحياة لسكانها.

إن السبب الأساسي في عملية تدمير البيئة العالمية يعود إلى المصالح التي تحرك القوى الاجتماعية المسيطرة في بلدان الشمال الغنية، مما يستدعي منطقياً رحيل مثل هذه القوى عن منصة التاريخ وصعود قوى جديدة لا تكون مصلحتها تجيير كل شيء لحسابها الخاص. بل قوى تكون مصلحتها العليا الإنسان وحق الإنسان، أي إنسان أينما كان، العيش في ظل بيئة نظيفة وصحية تبعد عنه هول كوارثها وتمده بهواء نقي يحافظ على جهازه التنفسي، وطبقة أوزون غير متآكلة تبعده عن خطر الإصابة بسرطان الجلد، والحق في الاستثمار العقلاني لموارد الطبيعة، بحيث تساعد الإنسان على الاستمرار والبقاء.

ولأن حركة التاريخ لا تشير، أقلها على المدى المنظور، إلى أنها تسير باتجاه التلازم مع الحل المنطقي المشار إليه، رغم أن مثل هذا التلازم قد يكون البلسم الشافي للمشكلات البيئية على الصعيد العالمي، لا بل لكل آلام المعاناة والاضطهاد والاستغلال على وجه الأرض، فإنه بات من الضروري العمل باتجاهين يكمل أحدهما الآخر؛ الأول: هو العمل على تسريع حركة التلازم الضرورية بين ما هو منطقي وما هو تاريخي عبر لملمة جهود القوى "المشرذمة" في ظل ما يسمى بـ "النظام العالمي الجديد" والمعنية بهذا التلازم محليا وعالميا، والثاني: العمل على خلق وعي بيئي مناسب على الصعيدين المحلي والكوني، بحيث يكون مضمونه الكف عن التبجح بالانتصار الحاسم على الطبيعة وإخضاعها المطلق لسلطاته دون أن يحسب أي حساب لانتقام الطبيعة على كل انتصار يحققه عليها.

وتنبع ضرورة قيام وعي بيئي كوني من حقيقة أن المشكلات البيئية، وكما أسلفنا، ذات طابع كوني. فالهواء، على سبيل المثال، لا يعرف الحدود، والغلاف الجوي لا يحيط ببلد دون سواه، والشمس لا ترسل أشعتها إلى بلد دون الآخر، وبالتالي، فتلوث الهواء وتآكل طبقة الأوزون وارتفاع درجة حرارة الأرض مشكلات لا تخص بلدا دون سواه أو قوى اجتماعية دون أخرى أو شخصا دون غيره، فلا أحد يستطيع الادعاء أنه بمأمن من عقاب التدهور البيئي الحاصل. هذه الحقيقة أدت إلى انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة الأول حول البيئة في استوكهولم عام ١٩٧٢. وقد طرحت أفكار كثيرة في هذا المؤتمر إلا أنها لم تسفر عن خطة عمل فعلية تحد من المخاطر التي تهدد البيئة العالمية.

وبسبب تسارع عمليات تدمير البيئة تنادت شعوب الأرض ممثلة بأكثر من /١٠٠/ رئيس من رؤساء/١٨٥/ دولة مشاركة، وبأكثر من /٥٠٠/ منظمة غير حكومية وحوالي/١٠/ آلاف من العلماء والمختصين بشؤون البيئة والتنمية ومعهم وسائل

الإعلام المختلفة لحضور مؤتمر "قمة الأرض" الذي عقد في ريو دي جانيرو في البرازيل من ٣ وحتى ١٤ حزيران عام ١٩٩٢.

وقبيل انعقاد القمة المذكورة بحوالي سنتين عكف الاختصاصيون من علماء البيئة والتنمية على تشخيص الأمراض التي يعاني منها كوكب الأرض وتحديد أسباب المرض ودراسة "الاسعافات الأولية" اللازمة لوقف كارثة الانتحار الإنساني العام والشامل الذي يشهده هذا الكوكب. وبناء عليه، صاغ هؤلاء برنامج عمل قدموه للمؤتمرين في القمة المذكورة ويتضمن دعوة صريحة إلى ضرورة تعاون دول الشمال الغنية المسؤولة إلى حد كبير عن خلق المشكلات البيئية الكونية مع دول الجنوب الفقيرة التي كانت ضحية الثورات الصناعية الثلاث التي شهدتها دول الشمال،إذ إن إنقاذ هذا الكوكب أصبح محالاً بجهود دولة أو مجموعة دول، إنه يحتاج إلى تعاون جماعي واع ومسؤول وتعامل إنساني جدي وفاعل يضع حداً للإخفاق التنموي المرتبط أشد الارتباط بالتدهور البيئي الحاصل على الصعيد العالمي.

وبسبب تعارض المصالح كادت "قمة الأرض" أن تفشل حتى قبل أن تبدأ، إذ إن ورقة العمل التي صاغها المختصون على النحو المذكور أثارت حفيظة قادة الشمال، وبخاصة الرئيس الأمريكي حينها جورج بوش الذي صرح قبيل افتتاح أعمال المؤتمر قائلاً: "إنما هي تعبير عن حركة بيئية متطرفة تعمل على هز الاقتصاد العالمي،واقتصاد الولايات المتحدة فيه خاصة" (١٤).

ومع ذلك فقد انعقدت "قمة الأرض في موعدها المحدد واستمرت أعمالها اثني عشر يوماً متواصلاً. وفي ختام أعمال القمة صدر عنها ما سمي بـ "إعلان ريو حول البيئة والتنمية. وقد تضمنت هذه الوثيقة ٢٧ مبدأ نصت في جوهرها على ضرورة التعاون الدولي من أجل وقف التدهور البيئي العالمي من جهة، ووضع حد للإخفاق التنموي الحاصل تحديداً في بلدان الجنوب الفقيرة من جهة ثانية. وكما هو متوقع، فقد اعترضت أمريكا على الفقرة الثالثة من هذه الوثيقة، والتي تنص على أن التنمية حق

من حقوق بلدان الجنوب لابد من دعمه. إضافة إلى ذلك فقد اعترضت أمريكا أيضاً على الفقرة السابعة من الوثيقة المذكورة، والتي تلقي مسؤولية التدهور البيئي العالمي بالدرجة الأولى على عاتق بلدان الشمال الغنية. وهذا يعني أن أمريكا لن تدعم برنامج البيئة والتنمية بالشكل المطلوب.

وتعليقاً على هذه القمة نقول: على الرغم من أهمية انعقاد قمة هكذا يكون موضوعها إنقاذ كوكب الأرض، إلا أن الوقائع تشير إلى أن هذه القمة لم ترق فيها الأفعال إلى مستوى الأقوال. وهذا ما يدعونا إلى المزيد من القلق على مصيرنا كبشر نعيش على هذا الكوكب الذي يشهد موتاً بطيئاً قد يؤدي إلى فنائه وفنائنا معه، إذا لم ننتقل من مجرد الإشارة إلى خطورة المشكلات البيئية على الإنسانية إلى اتخاذ الإجراءات العملية المناسبة التي تقتضي قبل كل شيء المساهمة الدولية الفعلية في تمويل البرامج البيئية والتنموية، إضافة إلى ضرورة تعميق شعور العلماء بالمسؤولية الأخلاقية تجاه بني جنسهم، ومطالبتهم باستخدام جزء من علومهم ومعارفهم في إطار خلق ثورة من نوع جديد، ثورة يمكن أن نطلق عليها "الثورة الايكولوجية" التي يمكن من خلالها إعادة التوازن المفقود للنظام البيئي العالمي، وبالتالي تحسين ظروف وجود الإنسان وبقائه على وجه الأرض.

ولأن بلدان الأرض قاطبة، بلداننا العربية من ضمنها، تساهم بدرجة أو بأخرى في تفاقم المشكلات البيئية، ولأن هذه الأخيرة ناجمة أولاً وأخيراً عن سلوك الإنسان،الإنسان الجاهل بمخاطر سلوكه، والإنسان العارف بهذه المخاطر، لكنه غير مستعد للقيام بنقد كل سلوك ضار بالبيئة، ولاحتى بنقد ذاتي لعاداته ولسلوكه اليومي تجاه بيئته، فإنه بات من الضروري العمل على خلق وعي بيئي محلي يؤدي إلى سلوك فردي وجماعي مناسبين على صعيد كل بلد من بلدان المعمورة. والسؤال: كيف يمكن خلق مثل هذا الوعي وتنميته؟

إن كل فعل بشري يؤثر في البيئة بشكل أو بآخر، غير أنه عادة لايكون الضرر بالبيئة هو هدف الفاعل. خلق الوعي البيئي يعني، قبل كل شيء، خلق ذلك الإنسان الذي يستطيع أن يتصرف بوعي بيئي قائم على امتلاك المعرفة البيئية وتمثل القيم والاتجاهات الإيجابية التي يتم التعبير عنها بسلوك يومي يسعى إلى المحافظة على البيئة. ولخلق مثل هذا الوعي في وطننا العربي مثلاً نحتاج إلى تضافر الجهود الرسمية والشعبية كافة وعلى المستويات كافة. فرغم أهمية إحداث وزارات للبيئة في وطننا، إلا أن مشكلاتنا البيئية، كالتصحر وتلوث الهواء والماء وغير ذلك، لم تحل بعد، أو ليست في طريقها إلى الحل الشافي. وهنا يمكن أن تؤدي وسائل الإعلام والأسرة والمنظمات الشعبية وغيرها من المؤسسات دوراً هاماً في خلق الوعي البيئي المطلوب وتنميته.

وتبقى المدرسة أهم المؤسسات القادرة على خلق الوعي البيئي، ومدارسنا، مع الأسف،لاتقوم بمثل هذه المهمة إلا بالحدود الضيقة، والتي لم تؤد إلى تغيير ملحوظ في السلوك البيئي، ويدل على ذلك استطلاع سريع للرأي الذي أجريناه على تلامذة عدد من مدارسنا الذين أعربوا عن عدم معرفتهم الدقيقة بطابع التهديد البيئي أو بكيفية حماية البيئة. فهم لا يرون أن المسؤولية تقع على عاتقهم، سواء أكان في تلوث البيئة أم في حمايتها. وفي أحسن الأحوال أشار البعض من هؤلاء إلى أن التلوث البيئي ناجم عن الصناعة ووسائل المواصلات. صحيح أن الصناعة ووسائل المواصلات تساهم إلى حد كبير في تلويث البيئة، وهو مايتطلب اتخاذ الإجراءات والاحتياطات اللازمة للتخفيف من حدة التلوث الناجم عن القطاعات المذكورة، إلا أن السلوك اليومي للأشخاص يمكن أن يكون أشد خطراً على البيئة من الصناعة ووسائل المواصلات ومن هنا تأتي أهمية التربية البيئية المدرسية، فالمدرسة دون غيرها قادرة على إكساب جيل المستقبل من تلامذتنا المعارف والمعلومات الضرورية عن البيئة الطبيعية التي يحيا هؤلاء في ظلها. إضافة إلى ذلك، فالمدرسة مؤسسة تربوية قادرة أكثر من غيرها

على تعديل التصورات القيمية للتلاميذ وتعزيز أو زرع تصورات واتجاهات إيجابيـــة نحو بيئتهم. وبقدر ماتكسب التلاميذ معرفة منظمة، وبقدر ماتنمي عندهم قيم الحفـــاظ على البيئة، بقدر مانساهم في توجيه القدرة الفاعلة عندهم نحو سلوك بيئي واعٍ يتجنـب الضرر بالبيئة ويساهم في الحفاظ عليها.

المراجع

1. Ritter, J., Grunder, K, Historisches Worterbuch der Philosophie, B.6, (Basel - Stuttgart), 1984.
2. Bayerl, G. "Materialien zur Geschichte der Umweltproblematik," in:
Technologie und politik das magazin zur wachstumakrise, Bd. 16., Hamburg, (1980), 184.
3. Rosseau, J.J. Fruhe Schriften, (Leipzig, 1966), 46.
4. Roszak, T, Uufinisched Animal, (New York, 1975), 85.
5. Bauslaugh, G. "Science, Intuition and Esp", in: Paranormal Borderlands of Science, Buffalo, (1981), 29.

٦. جان ماري بيليت "عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة"، سلسلة عالم المعرفة، ١٨٩، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (أيلول ١٩٩٤) ص ٢١.

7. Voltaire, Zit. Nach: R - Wendorf, Zeit und Kultur, Geschichtedes
Zeitbewustsins in Europa". Opladen, (1980), 284.
8. Grimm, M. Paris Zundet die Lichte an, Leipzig, (1977), 79.

٩. خالد محمد فهي، "أبعاد اقتصادية لمشكلات البيئة العالمية"، السياسة الدولية، ١١٠، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، (اكتوبر ١٩٩٢)، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

ـ منى فياض، العلم في نقد العلم، بيروت دار المنتخب العربي، ١٩٩٥، ص ١٨٠ - ١٨١.

ـ رجب سعيد السيد، "هل تختفي الغابات الاستوائية" العربي ٣٦٩، الكويت، وزارة الإعلام بالكويت (آب ١٩٨٩).

١٠. عبد الخالق عبد الله، "العالم المعاصر والصراعات الدولية"، سلسلة عالم المعرفة، ١٣٣، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (كانون الثاني ١٩٨٩)، ص ١٤٨ ــ ١٥٦.

ــ عبد الخالق عبد الله، "التنمية المستديمة والعلاقة بين البيئة والتنمية"،المستقبل العربي ١٦٧، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية (كانون الثاني ١٩٩٣)، ص ٨٨.

١١. محمد رضوان خولي، "التصحر في الوطن العربي" ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٩٠).

١٢. منى فياض، "العلم في نقد العلم"، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٠.

١٣. علاء الحديدي، "قمة الأرض والعلاقة بين الشمال والجنوب "السياسة الدولية ١١٠، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام (اكتوبر ١٩٩٢)، ص ٩٤.

14. The Washington Post, "Rios Deeper Message", International Herald Tribune, (11 - 6 - 1992), 8.

١٥. عدنان مصطفى، "العرب وقمة الأرض" الرسالة التائهة، المستقبل العربي ١٦٧، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،٠ كانون الثاني ١٩٩٣) ص ١٠٧.

تاريخ ورود هذا البحث إلى مجلة جامعة دمشق ٣٠/١٠/١٩٩٦

التصريف المائي لنهر الزرقاء

د. حسن أبو سمور
قسم الجغرافيا ــ كلية الآداب
الجامعة الأردنية

ملخص

يتغذى نهر الزرقاء من أراضي حوضه الممتدة على مساحة ٣١١٥كم٢،والتي تشكل ٣,٢% من مساحة الأردن، حيث يقع هذا الحوض في المنطقة الممتدة بين وسط وشمال الأردن، ويبلغ طول المجرى الدائم لنهر الزرقاء ١٢٥كم.

يعتمد نهر الزرقاء في تغذيته على مياه الأمطار في فصل الرطوبة وعلى المياه الجوفية في فصل الجفاف. إلا أن التصريف المائي اليومي يتميز بتذبذب شديد، خاصة في فصل الشتاء، حيث يبلغ المعدل العام للتصريف المائي لنهر الزرقاء (٦٣ ــ ١٩٨٨) ١.٩١م٣/ث. في حين تراوح التصريف بين ٠,٤٦م٣/ث في حده الأدنى و٥,٠٦م٣/ث في حده الأعلى.

وقد تساوى تصريف الأساس مع التصريف اليومي لنهر الزرقاء في فترة الجفاف، و زاد التصريف اليومي كثيراً عن تصريف الأساس في فصل الشتاء. وكذلك اختلفت كمية التصريف اليومي حسب فصول السنة، وكان أكثر الفصول تصريفاً هو فصل الشتاء بمعدل ٣,٥٥م٣/ث، ثم فصل الربيع ٢,٣٥م٣/ث وفصل الخريف ١,٤م٣/ث وفصل الصيف ٠,٦٩م٣/ث.

كما يتميز فيضان نهر الزرقاء بالتذبذب الشديد، حيث بلغ أعلى تصريف في الفيضان الذي حدث في ١٩٧٩/١١/٢٩م وسجل ٢٨٦,٤م٣/ث. في حين تراوح التصريف في الفيضانات العادية بين ٢,٥م٣/ث. وكانت مدة الفيضان لا تزيد على ثلاثة أيام إلا نادراً لأن ذلك يعتمد على طول فترة سقوط الأمطار ضمن المنخفضات الجوية التي تتعرض لها أراضي الحوض.

مقدمة

يقع حوض نهر الزرقاء في المنطقة الممتـــدة بيـــن وســـط وشـــمال الأردن (شـــكل رقم١)،بمساحة تقدر بحوالي ٣١١٥كم[٢]، وتشكل ٣,٢% من مســـاحة الأردن. ويقـــع جزء من أراضي الحوض ضمن الأراضي السورية تقدر مساحته بحوالي٣٢٥كـــم[٢]. ويمتد حوض نهر الزرقاء بين خطي الطول (°٣٥ َ٣٥ و °٣٦ َ٤٥) شـــرقاً وبيـــن دائرتي العرض (َ٥١ °٣١ وَ٣٥ °٣٢) شمالاً. ويبلغ طول مجرى نهر الزرقاء مـــن منبعه الدائم في رأس العين إلى مصبه في نهر الأردن حوالي ١٢٥كم.

اهتمت بعض الأبحاث بدراسة المياه في الأردن من عدة جوانب ونذكر منـــها علـــى سبيل المثال لا الحصر بعض الدراسات مثل:

سلامة حسن: اختلاف التصريف المائي في الأردن(١٩٨٥). اهتمت هـــذه الدراســـة بالأحواض المائية وتصريفها ومساحاتها وبعض المعلومات الهيدرومترية. أما دراســـة محمود الشخاترة، حماية وإدارة حوض نهر الزرقاء (١٩٨٣). فقد تنـــاولت وصفـــاً لحوض نهر الزرقاء وحمايته وإدارته وكذلك الوضع الحالي للمجرى المـــائي لنـــهر الزرقاء.

وعالجت دراسة مدلل، أسامة: موارد المياه وكمياتها واحتياجات الأردن المائية. حيـث قدمت سلطة المصادر الطبيعية ــ الأردن ــ ينابيع مختارة في حوض نهر الزرقـــاء (١٩٨٩). كما اهتمت هذه الدراسة بنوعية المياه في الينابيع وكيفية قيـــاس تصريفـــها بالإضافة إلى فحص مياه الينابيع من الناحية الكيماوية والفيزيائية. أما دراسة نعمـــان شحادة، مناخ الأردن في الماضي والحاضر (١٩٨٣) فقد عالجت تطور منـــاخ الأردن منذ عصر البلاستيوسين وحتى الآن.

وقد شملت الخطة الوطنية المائية National water master plan of jordan لسنة ١٩٧٧ دراسات مختلفة تناولت أهمية الموارد المائية والبيانات المتعلقة بـــها وكيفيـــة تطويرها. يهدف هذا البحث إلى معالجة البيانات المائية المسجلة على مـــدى ٢٣ســنة للتعرف إلى التصريف المائي لنهر الزرقاء عن طريق حســـاب معـــدل التصريـــف السنوي بالمتر المكعب بالثانية، كذلك يعالج البحث تصريـــف الأســـاس والتصريـــف اليومي والذي يمكن من خلاله معرفة معدل تصريف الأساس السنوي المعتمـــد عـــل المياه الجوفية ومعدل التصريف السنوي المعتمد على مياه الأمطار والميـــاه الجوفيـــة معا. ويهدف هذا البحث كذلك إلى حصر فترات فيضان مياه النهر والفـــترة الزمنيـــة التي يحدث فيها الفيضان وتصريف الأساس ومعدل التصريف الكلي.

المنهجية:

اعتمد الباحث على المعلومات الإحصائية المسجلة من قبل سلطة المياه الأردنية لنـــهر الزرقاء في الفترة ٦٣/١٩٦٤ والعام ٨٧/١٩٨٨. ولم تسجل المعلومات في العـــامين ٦٦/٨٧ وهذا يعني أن الباحث اعتمد على المعلومات الإحصائية لسلطة المياه لفـترة ٢٣ عاما مائيا.

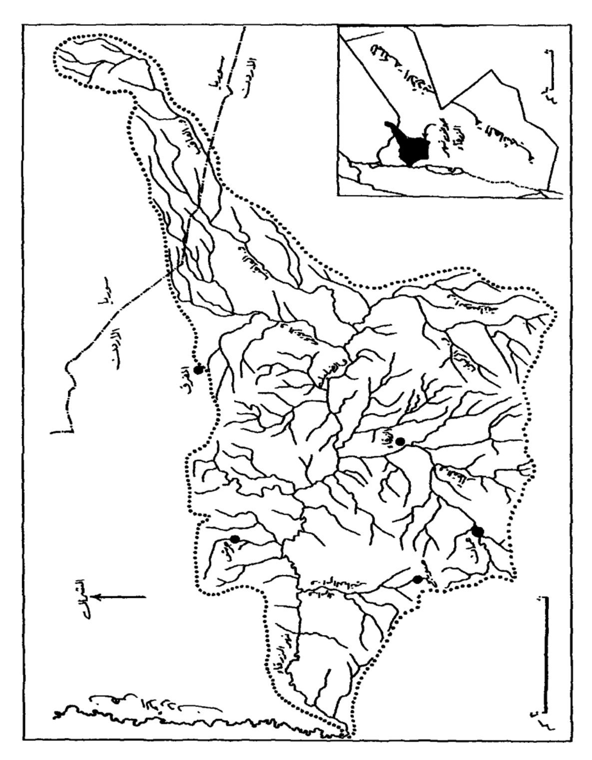
وقد استخرج الباحث معدلات التصريف المائي اليومي بعد جمع المعدلات اليومية لكل شهر وقسمتها على عدد أيام الشهر ثم جمع المعدلات الشـــهرية للتصريـــف المـــائي وقسمتها على ٢٣ سنة للشهر نفسه لكي يحصل على المعـــدل الشـــهري، ومـــن ثـــم الحصول على المعدل السنوي العام. أما بالنسبة للتصريف المائي الأساسي فقد اعتمـــد الباحث الطريقة السابقة نفسها لاستخراج المعدلات الشـــهرية والســـنوية للتصريـــف الأساسي.

واستفاد الباحث من معدلات التصريف اليومية في حساب الفيضان والذي كان يستمر لمدة يومين أو ثلاثة إلا أن الباحث أخذ المعلومات لخمسة أيام وذلك للتعرف على التصريف العادي وكيف تزداد كميته ليصبح فيضاناً في يوم أو اثنين أو ثلاثة أيام ثم يعود التصريف إلى سابق عهده.

كما قام الباحث بجمع بيانات الأمطار لمحطتي الجامعة الأردنية ومطار عمان الدولي الواقعتين في حوض نهر الزرقاء، وذلك لإيجاد علاقة بين كميات الأمطار وبين التصريف المائي. وقد استخدم الباحث بعض الأساليب الإحصائية مثل الوسط والانحراف المعياري ومعامل التغير وذلك لقياس معدلات التصريف المائي ومقدار الانحراف عن المعدل الشهري والسنوي ومعامل تغير التصريف المائي على شهور السنة، وذلك لكل فترة الدراسة.

وقد استعان الباحث بالرسوم البيانية لتوضيح النتائج التي حصل عليها من خلال دراسته لتصريف مياه الزرقاء.

كما استعان بالخرائط الطبوغرافية مقياس/ ٥٠٠٠٠ : ١ /لحوض نهر الزرقاء والتقارير والسجلات الصادرة عن سلطة المياه لسنوات عدة.



شكل رقم (١) الشبكة المائية لنهر الزرقاء - منطقة الدراسة

الظروف الطبيعية:

يخترق نهر الزرقاء مناطق مختلفة التضاريس، حيث يبدأ النهر من المنطقة الجبلية في جنوب غرب عمان وينبع من منطقة رأس العين الواقعة على مستوى ٨٧٠ متراً فوق مستوى سطح البحر. ومنطقة النبع هذه هي بداية الجريان الدائم للنهر. لكن الأودية الفصلية والتي تشكل الروافد العليا من الحوض الأعلى لنهر الزرقاء تتشكل من روافد وادي عبدون (٢٠كم) وهي وادي دير غبار الذي يتشكل نتيجة التقاء وادي حنوطيا ووادي أم الضياع.

وتبدأ هذه الأودية من غرب مدينة عمان وعلى ارتفاع ١٠٧٥م فوق مستوى سطح البحر وتشكل قمم المرتفعات الممتدة بين صويلح وناعور (خط تقسيم المياه بين هذه الروافد التابعة لحوض نهر الزرقاء) وبين الروافد العليا التابعة لحوض وادي الكفرين. ومن منطقة رأس العين حيث يسمى النهر بسيل وادي عمان، يسير الوادي بطول ٧كم حتى يتغير اسمه إلى وادي عين غزال في شمال شرق عمان ويسير بطول ١٥كم، ثم يتغير اسمه إلى سيل الزرقاء في المنطقة الممتدة بين وادي الحجر والسخنة وبطول ١٥كم ويأخذ اسم نهر الزرقاء.ويسير النهر هذه المسافة على ارتفاع يتراوح بين ٥٥٠ و ٦٥٠م فوق مستوى سطح البحر ويلتقي النهر بعد ذلك بأطول روافده وادي الضليل الذي يتكون من التقاء رافدي وادي العاقب ووادي الزعتري والتي تمتد روافدهما في الأراضي السورية.

كما ويلتقي نهر الزرقاء بروافد دائمة الجريان، فعلى يمين المجرى تصب فيه أودية جرى ووادي الطواحين ووادي الجدي. وعلى اليسار تصب في نهر الزرقاء أودية أخرى مثل وادي الرميمين ووادي العرب وتنبع هذه الأودية من المرتفعات الوسطى الأردنية والتي يتراوح ارتفاعها بين ٦٥٠ و ١١٠٠م فوق مستوى سطح البحر. شكل رقم (٢).

يقع حوض وادي الزرقاء ضمن مناخ البحر المتوسط الماطر شتاءاً والجاف صيفاً،حسب تصنيف ثورنثويت(١). حيث يتراوح معدل الأمطار السنوية بين ١٤٨ملم شرقاً (محطة وادي الضليل) و ٤٧٤,٢ملم غرباً (محطة الجامعة الأردنية)٢ لكن أكثر من نصف مساحة الحوض تقع في المناطق التي تقل فيها الأمطار عن ٢٥٠ملم.

تسود أراضي الحوض صخور مجموعة الزرقاء الجيولوجية والتي تتكون من الحجر الكلسي المتبلور والكلسي الرملي وتحتوي على الدولوميت والشيس والمارل. أما أجزاء الحوض الواقعة ضمن مجموعة البلقاء الجيولوجية فتغطيها الصخور الكلسية والمارل والصوان والفوسفات. وتقع الأجزاء الشرقية من الحوض ضمن الصخور البازلتية بالإضافة إلى الترسبات الناتجة عن الانجراف المائي والرمال الريحية واللوس والغضار والمارل.(٢)

التربة في هذا الحوض تنتمي إلى تربة البحر المتوسط الحمراء والتي تسود المناطق الجبلية والتي تتكون في الغالب من صخور كلسية ورملية. والأنواع الأخرى هي الترب الصفراء المتوسطية والتي تغطي جزءاً من المنطقة الشرقية من الحوض ويتراوح معدل الأمطار في هذه المنطقة بين ٢٥٠ ــ ٣٥٠ملم. وتكونت هذه التربة بفعل وجود الصخور الكلسية الهشة والصخور الرملية واللوس والمواد الرسوبية والبازلتية.

---

(١)Shehadeh, n. (1983), the climate of Jordan in pasta and present, int. Conf. Of history and archaeology of Jordan, amman. P.28

٢2. Burdden, D.J. (1959) handbook of the geology of Jordan, government of H.K Jordan, Amman. p.p 11-15

(٢) المصدر دائرة الأرصاد الجوية ــ بيانات متفرقة.

أما النوع الثالث فهو الترب السلتية اللومية والتي تسود المناطق شرق خـــط المطـــر ٢٥٠ملم وتتكون هذه التربة على أرضية جيولوجية مكونة من الصخور الكلسية الهشة والطباشيرية واللوس.

ومن الناحية النباتية تغطي الأراضي الجبلية من الحوض أشجار البلـــوط Quereus agilops والصنوبر الحلبي Pinus halipeusis والســـويد Arbutus andrachue والزيتون البري Olea europaea والخروب Ecrationa siliqua وغيرها. وأمـــا الأجزاء الشرقية من الحوض فيزداد فيها نبات البلان Poterium spinosum والشيح Arteuisia herba alloe والهالكوكســيون Haloxylon articulatum وحشـــائش مختلفة .Poa spp وغيرها.

التصريف المائي العام General base flow

يتلقى نهر الزرقاء قسماً من مياهه من روافد مهمة على مدار الســـنة ولكـــن كميـــة التصريف تتناسب عكسياً مع أجزاء الحوض(٣)، حيث نجد لأن تصريفـــه لا يتجـــاوز ٠,٢م٣/ث في الحوض الأعلى، وتتزايد كمية التصريف كلما التقى النهر وروافد جديدة وعند مصبه. في بحيرة الملك طلال يكون تصريفه السنوي العام ١,٩١م٣/ث.

وقد تراوح معدل التصريف السنوي العام بين ٠,٤٦ م٣/ث سنة ١٩٧٨ــ١٩٧٩ وهذه هي أقل كمية تصريف جرت في النهر خلال الثـــلاث والعشـــرين ســـنة الماضيـــة ٥,٠٦م٣/ث عام ١٩٨٩ــ١٩٩٠ هي أكثر كمية تصريف خلال الفترة نفســـها. وقـــد تراوحت كمية التصريف في السنوات الأخرى بين هذين التصريفيـــن وكـــان معـــدل التصريف السنوي العام لنهر الزرقاء هو ١,٩١ م٣/ث.

---

(٣)Felter, JR., W. (1980) applied hydrology, London. P.52

التصريف الأساسي Base fow discharge

إن التصريف الأساسي ظاهرة طبيعية للأودية ذات التصريف الدائم وهي ظاهرة طبيعية للأودية ذات التصريف الدائم وهي في الوقت نفسه متذبذبة حيث تعتمد على ارتفاع أو انخفاض مستوى النطاق المائي water table[٣] وفي حالتنا الدراسية لنهر الزرقاء فإن التصريف الأساسي سيبقى المغذي الوحيد لجريان المياه في فترة طويلة تمتد من شهر حزيران وحتى بداية شهر تشرين أول، أي أن هناك فترة جفاف تمتد لخمسة أشهر في السنة. ويظهر من الإحصائيات والجداول المرفقة أن التصريف اليومي والتصريف الأساسي متساويان في أشهر حزيران وتموز وآب وأيلول، وهو على التوالي ٠,٧٦ و٠,٦٤ و٠,٦٨ و٠,٧٥م^{٣}/ث (جدول رقم ١ و٣) وهذه هي المعدلات لفترة الدراسة (٢٣سنة) ولو قارنا كميات التصريف للأشهر كلها في السنوات كلها (الشهر نفسه والسنة نفسها) في الجدولين كليهما لوجدنا كمية التصريف نفسها وهذا ما يؤكد أن تغذية مياه نهر الزرقاء تعتمد على الماء الجوفي في هذه الفترة فقط.

وبما أن مياه الأمطار ترتفع من مستوى النطاق المائي في فصل الشتاء فإن التصريف يزداد في شهر آذار لأن التصريف يكون من مياه الأمطار التي تسقط في شهر آذار بالإضافة إلى مستوى لماء الجوفي المرتفع والذي يكون قد ارتفع منسوبه فزاد ضغط خروج الماء وكميته في هذا الشهر.

لكن تصريف الأساس يأخذ بالزيادة بشكل تدريجي منذ شهر تشرين الأول وحتى آذار وذلك لتجمع كميات الأمطار وزيادتها في الفترة نفسها ولكن حتى شهر شباط، اما شهر آذار فإن كميات الأمطار أقل (جدول ١) ويكون تزايد كميات التصريف الأساسي على التوالي للسنة المطرية بدءاً من شهر تشرين أول وحتى شهر آذار كما يلي:

٠,٧٨ و٠,٩٤ و١,٢ و١,٤ و١,٦٦ و١,٨٢م^{٣}/ث، لينخفض التصريف الأساسي بعد ذلك إلى ١,٢ في شهر نيسان و٠,٩٦ في شهر أيار ثم ينخفض إلى أدنى مستوياته في أشهر حزيران وتموز وآب وأيلول (شكل ٢).

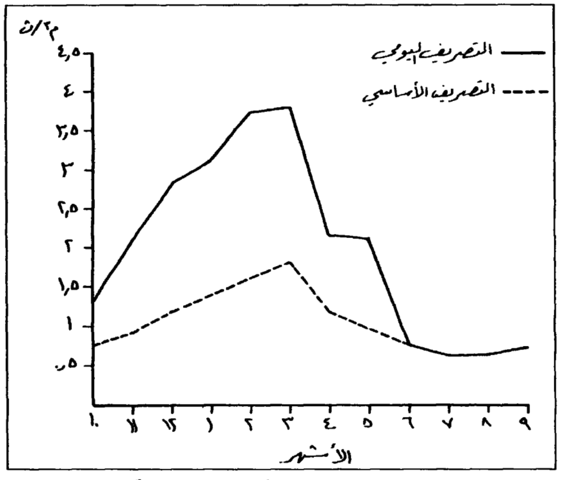
هذا ويبلغ معدل تصريف الأساس السنوي لنهر لزرقاء للفترة الزمنية (٦٣/٦٤ ـ ٨٧/٨٨) ١,٠٦م^{٣}/ث، أما أكثر كمية تصريف أساسي فقد بلغت ٢,٠٥م^{٣}/ث في العام المائي ٦٤/١٩٦٥م وأقل كمية تصريف أساسي لنهر الزرقاء فقد بلغت ٠,٣٤م^{٣}/ث عام ٧٨/١٩٧٩م. وقد تراوح الانحراف المعياري للتصريف الأساسي بين (٠,٣٧١) و(٠,٤١٨) وهذا يعبر عن عدم وجود تذبذب شديد في التصريف المائي الأساسي. ولاعتماده على الماء الجوفي الذي يقل تذبذبه عن تذبذب الأمطار ولهذا فإن معامل التغير الكلي لتصريف الأساس بلغ ٤٦,٤ (جدول ١).

أما تصريف الأساس حسب فصول السنة فيوضحه الشكل (رقم ٣) والجدول رقم (١) وتبلغ مجموع كمية التصريف ٤,٢٦م^{٣}/ث لأشهر فصل الشتاء، كانون الأول وكانون الثاني وشباط أي بمعدل تصريف قدره ١,٤٢م^{٣}/ث. ويأتي في المرتبة الثانية فصل الربيع الذي يضم تصريف الأشهر آذار ونيسان وأيار بمعدل تصريف ومقداره ١,٣٣م^{٣}/ث ثم فصل الخريف الذي تسقط في شهرين منه الأمطار عادة وهما تشرين الأول وتشرين الثاني ويبلغ معدل تصريف الأساس لهذا الفصل ٠,٨٢م^{٣}/ث. شكل رقم (٣). أما أقل الفصول تصريفاً فهو فصل الصيف الذي يبلغ معدل التصريف في أشهره الثلاثة حزيران وتموز وآب فقط ٠,٦٧م^{٣}/ث. شكل رقم (٣).

التصريف اليومي الشهري والفصلي

يعتمد التصريف الشهري والفصلي على التصريف اليومي، الذي يعتمد على تصريف الأساس لنهر الزرقاء مضافاً إليه كميات الأمطار الهاطلة على الحوض والتي تصل

مجرى النهر مباشرة عن طريق الجريان فقط دون دخولها إلى الطبقات الحاوية للمـاء الجوفي[٤]. ولهذا فإن التصريف اليومي يتساوى مع تصريف الأساس لنهر الزرقاء في أشهر حزيران وتموز وآب وأيلول (جدول رقم ١ و ٢) في حين يبدأ أثر الماء الجاري (بعد هطول الأمطار) يتضح بدءاً من شهر تشرين أول حيث يبدأ سقوط الأمطار فـي مناطق مختلفة من أراضي حوض نهر الزرقاء.

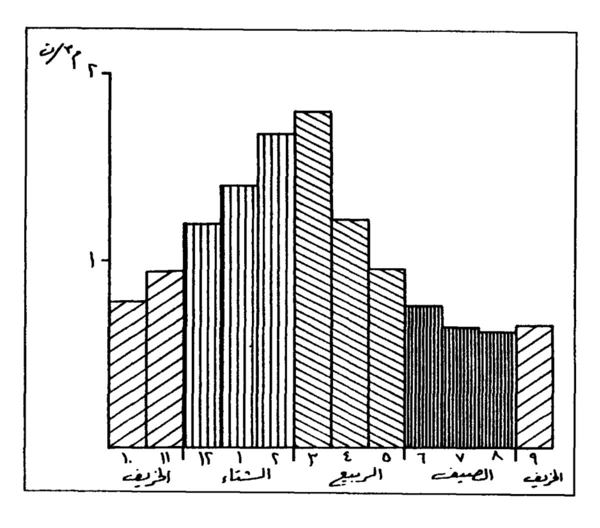


شكل ـــ ٢ ـــ التصريف اليومي والأساسي لنهر الزرقاء (م٣/ث٩)

١٩٦٣ ـــ ١٩٨٨

---

[٤]Farhan, Y. (1085) factors affective the estimated totals runoff for surface water catchments in east bank of Jordan, Bei. Zurhydrologie, Vol. 2 . p.457



شكل ـ ٣ ـ التصريف الأساسي لنهر الزرقاء (م٣/ث)

١٩٦٣ ـ ١٩٨٨

يظهر أثر جريان مياه الأمطار ووصولها لمجرى نهر الزرقاء وارتفاع مستوى الماء الجوفي الذي يساعد في زيادة كمية التصريف لفترة تتعدى فصل الشتاء، حيث يستمر تدفق مياه الينابيع والتي تشكل فيما بعد مجرى نهر الرئيسي، طيلة أشهر فصل الربيع،رغم أن فترة سقوط الأمطار تكون قد انتهت تقريبا، أو أن كميات الهطول، التي تسقط في أوائل فصل الربيع لا تكون كبيرة بالمقارنة مع كمية الهطول في فصل الشتاء.

إن معدل كمية التصريف اليومي (السنوي) لنهر الزرقاء في فترة الدراسة (٦٣/٦٤-١٩٨٨/٨٧) تبلغ ١٩,١م٣/ث وهذا يعني أنها تزيد على معدل تصريف الأساس السنوي للفترة نفسها بمقدار ٠,٧٥م٣/ث وهي كمية مياه لا بأس بها وتقدر بـ ٢٣,٦٥٢ مليون م٣/سنة في حين بلغت كمية المياه التي يصرفها نهر الرزقاء بـ ٦٠,٢٣٣,٧٦٠م٣/سنة. (تشكل رقم (٢).

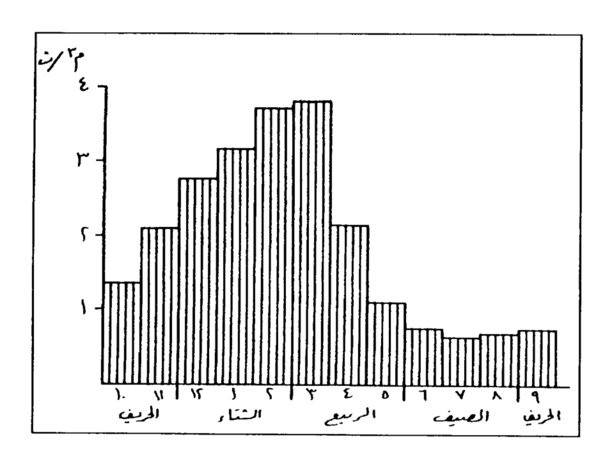
ويصل الحد الأدنى لتصريف نهر الزرقاء في شهر تموز حيث يبلغ تصريفه حوالي ٠,٦٤م٣/ث في حين يبلغ أقصى تصريف له في شهر آذار ٣,٧٨م٣/ث (جدول رقم ٣) ويعود السبب الأول في ذلك إلى ارتفاع نصيب الماء الجوفي في تزويد النهر بالمياه وذلك لارتفاع مستوى الماء الجوفي بسبب هطول الأمطار في فصل الشتاء. وينعكس هذا على معدل تصريف النهر في بقية أشهر السنة، حيث يزداد معدل التصريف ابتداء من شهر تشرين الأول وبكمية قليلة تظهر واضحة في شهر تشرين الثاني (٢,١م٣/ث وتأخذ بالزيادة في أشهر الشتاء الثلاثة والتي يزيد معدل التصريف في كل منها على انفراد على ٣م٣/ث. شكل رقم (٢).

حيث تبلغ كميات الأمطار في فصل الشتاء (محطة الجامعة الأردنية)، ٣١٣.٦ملم من معدل كمية الأمطار السنوية البالغ ٤٩٤,٦ملم (وذلك لفترة قياس مشابهة لفترة قياس التصريف المائي ١٩٦٦ــ١٩٨٩). في الوقت الذي تقل فيه كمية الأمطار في فصل

الربيع إلى ١٢٢,١ملم وفي فصل الخريف إلى ٥٨,٩ملم (جدول رقم ٣). وينسجم ذلك على أمطار محطة مطار عمان الدولي حيث تبلغ كمية الأمطار في فصل الشتاء ١٧٠,٩ملم وفي فصل الربيع ٧٤,١ملم وفي فصل الخريف ٣٤,٨ملم (جدول رقم ٣). وتوضح هذه الكميات للأمطار في المحطتين العلاقة الطردية الموجودة بين كميات الأمطار ومعدل التصريف المائي في فصول السنة، حيث يظهر ذلك جلياً عندما يتوقف هطول المطر في فصل الصيف، ليصل التصريف المائي لنهر الزرقاء إلى أدنى حد له.

أما التصريف الفصلي لمياه نهر الزرقاء والذي يعتمد على التصريف اليومي (تصريف الأساس + مياه الأمطار الجارية ومياه الأمطار التي تنفذ إلى الماء الجوفي) فيظهر فيه الاختلاف واضحاً جداً حسب معدلات التصريف لكل فصل على حدة (شكل رقم ٤). حيث نلاحظ أن معدل التصريف في فصل الشتاء يبلغ ٣,٥٥م^3/ث (شكل رقم ٤) وكذلك نلاحظ بشكل عام أن التصريف اليومي يزداد في هذه الفترة وكذلك التصريف الشهري، وعليه فإن معدلات التصريف الشهرية في أشهر فصل الشتاء تسجل ارتفاعاً ملحوظاً أكثر من أشهر الفصول الأخرى وقد سجلت أقصى كمية تصريف شهري في فترة الدراسة في شهر كانون الثاني من عام ١٩٧٤، حيث بلغت ٢٠,٥٣م/ث في ذلك الشهر. في حين أن أدنى كمية تصريف سجلت في فصل الشتاء للفترة نفسها هي في شهر كانون الأول من عام ١٩٦٥ وقد بلغت ٠,٥٦م/ث (جدول رقم ٣).

يأتي في المرتبة الثانية معدل التصريف في فصل الربيع والذي سجل معدلاً مقداره ٢,٣٥م/ث في فترة الدراسة نفسها (شكل رقم ٤). أما أعلى معدل في هذا الفصل فقد سجل في شهر نيسان من عام ١٩٧١م، وأدنى كمية تصريف في الفصل نفسه فقد سجلت في شهر أيار من عام ١٩٧٩ وكانت ٠,١١م^3/ث. (جدول رقم ٣).



شكل ـــ٤ـــ التصريف الفصلي المعتمد على التصريف اليومي لنهر الزرقاء (م٣/ث)١٩٦٣ـــ١٩٨٨

أما فصل الخريف فقد بلغ معدل التصريف فيه ١,٤م٣/ث وكان أقصى معدل تصريف في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٧٩ وقد بلغ ١٥,٧٦م٣/ث هذا وقد سجلت كميات تصريف كبيرة لنهر الزرقاء في السنة المائية ١٩٧٩/١٩٨٠ (جدول رقم ٢) أما أدنى كمية تصريف فقد بلغت في شهر أيلول في عام ١٩٧٨ وأيلول عام ١٩٧٩ وقد بلغت ٠,١٥م٣/ث.

ونتيجة لكل ما تقدم نلاحظ أن أقل فصول السنة تصريفا في نهر الزرقاء هو فصل الصيف الذي ينعدم فيه الهطول ويعتمد التصريف في هذا الفصل على المياه الجوفية فقط، وقد بلغ معدل التصريف لهذا الفصل ١,٦٩م٣/ث. (شكل رقم ٤) أما معدلات

التصريف الشهرية فتعتبر أدنى معدلات تصريف يسجلها نهر الزرقاء لفترة الدراسة نفسها، حيث سجل أعلى معدل تصريف في شهر حزيران ١,٩٤م٣/ث في عام ١٩٨٣، وأدنى معدل تصريف سجل في شهر تموز عام ٨٧ وتموز عام ٨٨ وكان ٠,١٢م٣/ث. (جدول رقم ٢).

التصريف المائي في سنوات الرطوبة والجفاف

تعتبر أعلى كمية تصريف مائي لسنة مائية واحدة خلال فترة زمنية طويلة (فترة الدراسة) دليلا كافيا على أن تلك السنة هي أكثر السنوات رطوبة، وتعد كل سنة يزيد معدل التصريف فيها على المتوسط السنوي لتصريف ذلك النهر، سنة رطبة[٥]. وعليه فإن هناك عشر سنوات مائية رطبة في فترة الدراسة البالغة ٢٣ عاما (جدول رقم ٣) وزاد في هذه السنوات معدل التصريف على ١,٩١م٣/ث. وبالمقابل فإن هناك سنوات ذات معدل تصريف أقل من معدل التصريف السنوي المذكور، وتعد بذلك سنوات جافة. ويبلغ عددها هنا ١٣ سنة من فترة الدراسة. وعليه فإن مجموع السنوات الجافة أكثر من مجموع السنوات الرطبة في حالتنا الدراسية هذه.

وبناء على معدلات التصريف المائية والشهرية الواردة في الجدول رقم (٣)، فإن السنة المائية ١٩٧٩ـ١٩٨٠ هي أكثر السنوات رطوبة، وقد بلغ معدل التصريف في هذه السنة ٥,٠٦ م٣/ث وهذا أكثر بـ ٣,١٥م٣/ث عن معدل التصريف العام لنهر الزرقاء، ولذلك فإن كمية التصريف لنهر الزرقاء لهذا العام المائي قدرت بـ ١٥٩,٥٧٢,١٦٠ مليون م٣، مع العلم بأن كمية التصريف المعدلة لفترة الدراسة بلغت ٦٠,٢٣٣٧٦٠ مليون م٣.

---

[٥] Grabs W.E. , (1985) Hydrological Chararacteristics of Runoff Regim in SE Nigeria. The Imo River Basin. Bei. , ZURHYDROLOGIE, Vol. 2 . P153

وقد كانت كميات التصريف موزعة على أشهر السنة (شكل رقم ٥) وقد وصل أعلى معدل تصريف لنهر الزرقاء في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٧٩ حيث بلغ ١٥,٧٦م^3/ث، تلاه معدل التصريف في شهر كانون أول بمعدل تصريف مقداره ١٤.٢٦م^3/ث ثم شهر آذار عام ١٩٨٠ ثم كانون الثاني من عام ١٩٨٠ وشهر تشرين الأول عام ١٩٧٩، وكها ضمن السنة المطرية ١٩٨٠/٧٩ (شكل رقم ٥) وقد كان أقل الشهور تصريفاً في هذا العام شهر أيلول ١٩٨٠ حيث بلغ معدل التصريف ٠,٧٣م^3/ث (شكل رقم ٥).

ومن خلال فترة الدراسة تبين أن العام الذي سبق العام الرطب، كان أكثر السنوات جفافاً حيث بلغ معدل التصريف في تلك السنة ٠,٤٦م/ث ويعادل هذه الكمية مياه مقدارها ١٤,٥٠٦٥٦٠مليون م^3 أي أقل من معدل كمية المياه السنوية بكمية مقدارها ٤٥,٧٢٧٢٠٠ مليون م^3. وفي هذه السنة المائية الجافة ٧٨ ــ ١٩٧٩ تميزت الأشهر كافةً بمعدلات تصريف متدنية حتى إن معدل أكثر الشهور تصريفاً، لم يصل إلى المعدل السنوي العام لنهر الزرقاء وقد سجل ١,٤٧م^3/ث في شهري كانون الأول عام ١٩٧٩ (شكل رقم ٥) وفي الوقت نفسه فقد سجل شهر أيار من ذلك العام معدل تصريف مقداره ٠,١١م^3/ث وهو أخفض معدل تصريف شهري في كل فترة الدراسة. (شكل رقم ٥) ولم يتعد معدل التصريف الشهري ١م^3/ث إلا في شهرين فقط هما كانون الأول وكانون الثاني والسنة المائية ٧٩/٧٨. وقد كان معدل التصريف لسبعة أشهر من هذه السنة أقل من ٠,٣م^3/ث. (جدول رقم ٣).

الفيضانات في نهر الزرقاء

إن المجرى الأصغر للنهر عامة هو ذلك الجزء من المقطع العرضي لمجرى النهر الذي تغطيه مياه النهر الجارية طيلة أيام السنة، أما المجرى الأعظم فهو ذلك الجزء من المقطع العرضي لمجرى النهر الذي تغطيه المياه الجارية في فترات الفيضان

وتعود المياه الجارية لتغطي المنطقة المحصورة بين المجرى الأصغر والمجرى الأعظم حسب كمية تصريف المياه في المجرى[٦].

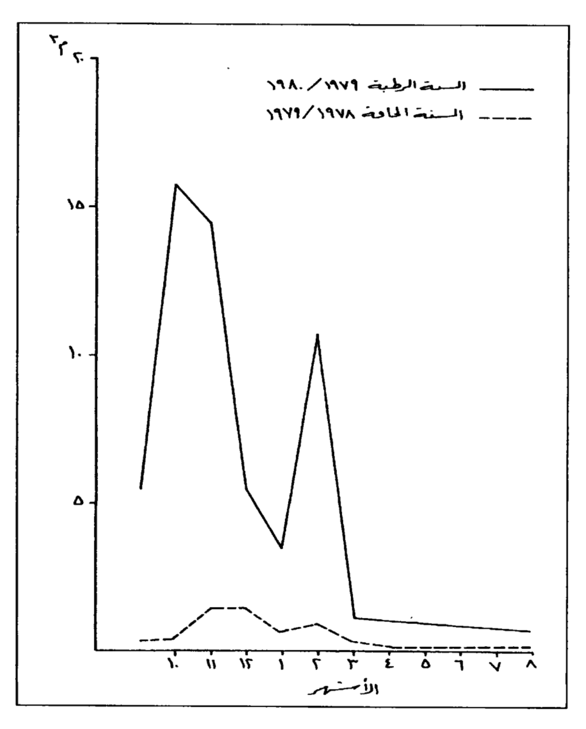
وفي حالتنا الدراسية هذه فإن فيضانات نهر الزرقاء متذبذبة جداً (الشكل رقم ٦ـ أ،ب، جـ) ويعود ذلك إلى تذبذب كميات الأمطار الهاطلة ضمن منخفض جوي واحد، ولكن الشذوذ الذي حصل في تصريف مياه نهر الزرقاء كان حاداً في ٣ أيام فقط هي ٢٨،٢٩،٣٠ من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٩ (شكل رقم ٦ أ) حيث سجلت أعلى كمية تصريف في فترة الدراسة في يوم ٢٩ تشرين الثاني من عام ١٩٧٩ وكانت ٢٨٨,٠١م^3/ث فإذا ما قارنا هذه الكمية بالتصريف المعدل (١,٩١م/ث) فإن ذلك يعني شذوذاً واضحاً جداً. أما في أيام الفيضان الثلاثة لهذا الفيضان فقد بدأ بتصريف مقداره ٢,٦م^3/ث في ٢٨ تشرين الثاني عام ١٩٧٩ وسجل الفيضان قمته في اليوم التالي ٢٩ تشرين الثاني ثم عاد في الثلاثين من الشهر نفسه وانخفض إلى ١١٥م^3/ث، ثم عاد وتضاءل إلى ١٧,٥م^3/ث في اليوم الأول من شهر كانون الثاني ١٩٧٩، ولكنه عاد إلى وضعه العادي يوم ٢كانون الثاني عام ١٩٧٩ حيث سجل التصريف ما مقداره ١,٠٤م^3/ث. ومما يعزز هذا التصريف كمية الأمطار التي هطلت في الفترة نفسها حيث بلغت كمية الأمطار الهاطلة في يوم ١٩٧٩/١١/٢٨ في محطة الجامعة الأردنية ٩٠,٦ملم و٣٥,٢٨ملم في محطة مطار عمان الدولي وهما محطتان تقعان ضمن حوض نهر الزرقاء أما كمية الهطول في ١٩٧٩/١١/٢٩ فكانت ٦٣,٥ملم في الجامعة الأردنية و٥٥ملم في محطة مطار عمان المدني[٧]. (شكل رقم ٦ أ). وعليه فإن هذا الفيضان استمر أربعة أيام وسجلت قمته في اليوم الثاني للفيضان كمية مياه تقدر بـ ٢٤,٨٨٤٠٦٤مليون م^3 أي أن كمية التصريف في قمة الفيضان وفي يوم واحد فقط

---

[٦] Carlston, C.,W., (1983) Drainage Dansity and Streamflow. U.S.Geol. Surv. Prof, Pap., 422- C,8pp

[٧] المصدر ــ سجلات الأمطار/سلطة المياه ــ سنة ١٩٧٩.

كانت أكثر مما سجل لهذا التصريف في أكثر السنوات جفافا ٧٨/٧٩ حيث بلغت كمية المياه المصروفة من هذا النهر فقط ١٤,٥٠٦٥٦٠مليون م٣. وقد كان عدد الفيضانــات التي سجلت تصريفا يزيد على ١٠٠م٣/ث طول فترة الدراسة خمسة فيضانات فقـــط (شكل رقم ٦د).

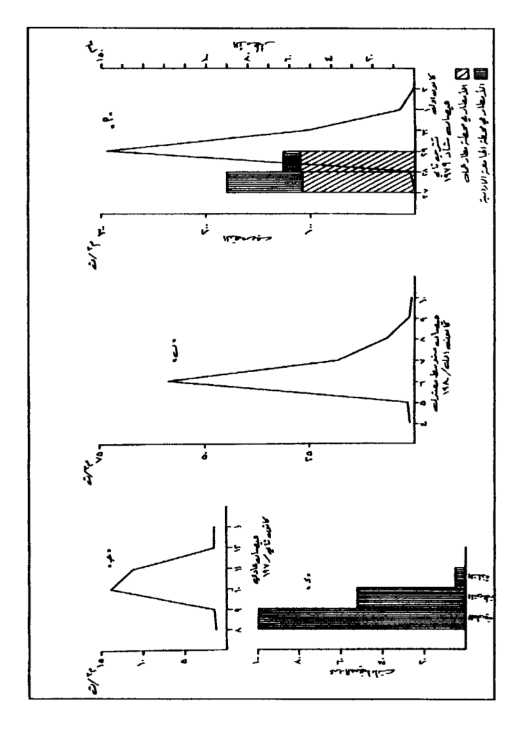


شكل ـ٥ـ التصريف الشهري لنهر الزرقاء (م٣/ث)

أما الفيضانات العادية فقد تراوحت كميات التصريف فيها من ١م³/ث إلى ١٢م³/ث،ولكن الفيضانات العادية الصغيرة والمتكررة أكثر من غيرها في فترات الدراسة، فقد كان عددها أكثر حيث كانت تحصل في كل عام تقريبا برغم أنها لم تحدث في عدد قليل من السنين وخاصة السنوات الجافة. ويسجل الفيضان عادة قمة تصريفه في اليوم الثاني ويعود لينخفض بالتدريج في اليوم الثالث لكنه يعود إلى حدوده العادية بعد ذلك (شكل رقم ٦جـ). ويمثل هذا الشكل الفيضانات المتكررة حيث وصلت قمة التصريف في اليوم الثاني للفيضان إلى ١١,٣م³/ث (١٠/١/١٩٧٠)، في حين انخفض التصريف في اليوم الثاني للفيضان ١١(/١/١٩٧٠) إلى ٨,٧٣م³/ث، وفي اليوم الثالث ١٢/١/١٩٧٠ عاد إلى وضعه الطبيعي ليسجل ١,٣٩م³/ث. (شكل رقم ٦جـ). وقد بلغ عدد الفيضانات العادية البسيطة والتي سجلت تصريفا يزيد على ١م³/ث ويقل عن ١٢م³/ث ٩٢ فيضانا في فترة الدراسة. (شكل رقم ٦د).

أما الفيضانات المتوسطة فقد غلب عليها الفيضانات ذات التصريف الذي يتراوح ما بين ١٢ــ ٥٠م³/ث ويزيد عددها على ٤٠ فيضانا من بين ٥٢ فيضانا سجلت تصريفا تراوح بين ١٢ــ١٠٠م³/ث (شكل رقم ٦د).

ويمثل الفيضان الذي حدث بين ٥و٩ كانون الأول عام ١٩٨٠ هذا النوع من الفيضانات المتوسطة والتي تراوحت قيمتها بين ١٢ــ١٠٠م³/ث. وقد بدأ هذا الفيضان بتصريف مقداره ١,٧م³/ث وفي اليوم الثاني ٦/١٢/١٩٨٠ وصل التصريف إلى ٥٨,٨م³/ث وانخفض في اليوم الثالث إلى ١٨,٢م³/ث وفي اليوم الرابع إلى ٦,٦٨م³/ث وعاد التصريف إلى وضعه الطبيعي في اليوم الخامس حيث سجل ١,٤م³/ث (شكل رقم ٦ب) وقد بلغت كمية المياه المنصرفة من النهر في الفترة ٦و٧و٨/١٩٨٠ حوالي ٢١,٦٨٩٨٥٦مليون م³.



شكل ـــ٦ــ فيضانات نهر الزرقاء

النتائج والتوصيات

يعتبر تصريف نهر الزرقاء انعكاساً لكميات الهطول وتذبذباتها وتغير مستوى الماء الجوفي خلال أشهر السنة وفصولها ويتميز التصريف المائي لنهر الزرقاء بمايلي:

١. التصريف المائي الأساسي لنهر الزرقاء يمتد لفترة أربعة أشهر من بداية شهر حزيران وحتى بداية شهر تشرين الأول. وذلك لأنه لا تسقط فيها الأمطار خلال هذه الفترة. ولذلك فإن التصريف هنا ينخفض إلى أدنى مستوياته.

٢. يبلغ معدل التصريف الأساسي لنهر الزرقاء ١,٠٧م/ث. وإن هذا المعدل يزداد في الفصول الرطبة وينخفض في الفصول الجافة.

٣. يتساوى التصريف الأساسي مع التصريف اليومي في فصل الجفاف، في الفترة الذي يعتمد في تغذيته على الماء الجوفي فقط، الذي يعتمد بدوره على كميات الأمطار.

٤. إن معدل التصريف اليومي (السنوي) لنهر الزرقاء يزيد على معدل التصريف الأساسي السنوي بمقدار ٠,٧٥م^3/ث.

٥. يصل أقصى معدل تصريف في شهر آذار حيث يبلغ التصريف ٣,٧٨م^3/ث،في حين يصل أدنى معدل تصريف يومي في شهر تموز حيث يبلغ ٠,٦٤م^3/ث.

٦. أكثر الفصول تصريفاً هو فصل الشتاء حيث بلغ ٣,٥٥م^3/ث، في حين سجل أدنى معدل تصريف في فصل الصيف حيث ينعدم الهطول ويعتمد النهر في تغذيته على الماء الجوفي ليسجل معدلاً مقداره ٠,٦٩م^3/ث في هذا الفصل.

٧. أكثر السنوات رطوبة سجلت تصريفاً مقداره ٥,٠٤م^3/ث، وذلك في العام المائي ١٩٨٠/١٩٧٩، في حين سجل أدنى تصريف عام ١٩٧٩/١٩٧٨ وكان مقداره

٠,٤٦م^{٣}/ث في فترة الدراسة البالغة ٢٣عاماً. حيث يتميز هذا التصريف بالتذبذب الشديد بين عام وآخر تبعاً لتذبذب كميات الأمطار الهاطلة التي تميز مناخ حوض البحر المتوسط شبه الرطب.

٨. تتميز الفيضانات شبه الكبيرة بقلة عددها حيث بلغت ٥فياضانات خلال ٢٣عاماً سجلت معدل تصريف أكثر من ١٠٠م^{٣}/ث خلال مدة الفيضان التي تبلغ في الغالب ٣أيام في حين تكرر حدوث الفيضانات الصغيرة لأكثر من ٩٢ مرة للفترة نفسها، والفيضانات المتوسطة التي تراوح التصريف فيها بين ١٢ــ١٠٠م^{٣}/ث،٥٢ فيضاناً.

٩. إن عمليات التحريج حتى الآن تعد غير كافية وعليه فإنه يجب زيادة المساحات المزروعة بالأحراج وذلك لزيادة نسبة الماء المتسرب إلى الماء الجوفي لتساعده في زيادة التصريف الأساسي واليومي على مدى أيام السنة.

١٠.بناء المدرجات والمصاطب الكنتورية في مختلف مناطق الحوض على المنحدرات التي قطعتها الأودية والروافد الثانوية لنهر الزرقاء من أجل تحقيق الهدف نفسه الذي تحققه زراعة الأحراج بالإضافة إلى زراعة هذه المدرجات بالأشجار الحرجية من أجل زيادة التغذية الضمنية ورفع عملية الارتشاح، ومنع عملية التخريش وفعالية التعرية وجرف التربة الهشة، حتى لا يفقد السد المقام على نهر الزرقاء قيمته العملية وبشكل خاص بفعل التصريف الصلب الناتج عن الفيضانات.

١١.هناك علاقة طردية بين كميات الأمطار الهاطلة والتصريف المائي لنهر الزرقاء،حيث يزيد التصريف المائي في فصل الشتاء على ٣م^{٣}/ث ويصل إلى أدنى حد له في فصل الصيف (٠,٦٤م^{٣}/ث) حيث يعتمد التصريف هنا على المياه

المترشحة للطبقات الحاوية على الماء من أمطار الموسم الماضي. حيث كان معامل الارتباط إيجابيا ومقداره (+٠,١٣).

١٢. يقل معامل التغير والانحراف المعياري لتصريف الأساس عنه للتصريف اليومي، ويعد السبب في ذلك إلى دور الأمطار الهاطلة في فصل الشتاء، وأوائل الربيع، حيث بلغ أعلى انحراف معياري للتصريف الأساسي ٣,٩٣ في شهر كانون الثاني، وكان الانحراف المعياري للشهر نفسه للتصريف اليومي (٠,٥١) وبلغ أعلى معامل تغير في شهر حزيران ٣٥٣,٥ للتصريف اليومي، وبلغ للشهر نفسه ٧٢,٤ وهو أعلى معامل تغير للتصريف الأساسي.

جدول رقم (١)

تصريف الأساس م٣/ث لنهر الزرقاء[٧] ٦٣ـ٦٤ /٨٧ ـ١٩٨٨

الشهر	تشر١	تشر٢	ك١	ك٢	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول
السنة												
٦٤/٦٣	١,٣٨	١,٥٥	١,٣١	١,٢	١,٧٨	٢,٢٨	١,٢٤	٠,٨٧	٠,٨٦	٠,٥٩	٠,٥٨	٠,٦٤
٦٥/٦٤	١,٤٦	٠,٩٦	١,٦٢	٢,٧٠	٤,١٥	٢,٦١	٢,٨٣	٢,٢٤	١,٨٧	١,٢٤	١,٢٨	١,٧٣
٦٦/٦٥	٠,٤٤	٠,٤٣	٠,٥٦	٠,٥٧	٠,٥٩	١,٠٠	١,١٠	٠,٤٨	٠,٧٩	٠,٦٦	٠,٦٣	٠,٦٩
٦٧/٦٦												
٦٨/٦٧												
٦٩/٦٨	٠,٩٢	١,٠٥	١,٤١	١,٧٥	١,٩٧	١,٧٧	٢,٤٨	١,٧٦	١,٢٥	٠,٩٩	٠,٧٨	١,٠١
٧٠/٦٩	١,١٤	١,٢٦	١,٢٧	١,٥٦	١,٥٧	١,٦٤	١,٤١	١,٢٠	١,١٤	٠,٩٧	١,٥٣	١,٦٧
٧١/٧٠	٠,٩٩	١,٠٨	١,٢٩	١,٣٦	١,١٥	٠,٩٨	١,٠٨	٠,٤٤	٠,٣٠	٠,٢٦	٠,٢٢	٠,٢٣
٧٢/٧١	٠,٦٥	٠,٨٦	١,٢٥	١,٣٥	١,٦٠	١,٢٣	٠,٨٤	٠,٤٠	٠,٢٤	٠,٢٦	٠,٤٢	٠,٤٢
٧٣/٧٢	٠,٤٢	٠,٦٣	٠,٥٩	٠,٧٤	٠,٧٧	٠,٧٥	٠,٥٠	٠,٥١	٠,٥٥	٠,٤٩	٠,٤٣	٠,٣٧
٧٤/٧٣	٠,٣٨	٠,٧٠	٠,٧٤	٠,٨٩	١,٢١	٢,٩٥	٢,٩٢	١,٥٨	٠,٩٧	٠,٧٥	٠,٦١	٠,٦٢
٧٥/٧٤	٠,٤٦	٠,٨٨	١,٣٣	١,١٥	١,٤٨	١,٣٤	٠,٧٨	٠,٤٢	٠,٢٨	٠,٢٤	٠,٢٦	٠,٢٧
٧٦/٧٥	٠,٢٧	٠,٦٣	١,٠١	١,١٧	١,٢٥	١,٤٩	٠,٦٠	٠,٥٤	٠,٤٤	٠,٤١	٠,٣٧	٠,٣٣
٧٧/٧٦	٠,٤٢	٠,٥٥	٠,٦٩	١,٠٩	١,٠٠	١,٠٢	٠,٦٢	٠,٤٣	٠,١٧	٠,١٢	٠,١٨	٠,٢٦
٧٨/٧٧	٠,٥٧	٠,٤٤	١,١١	١,١٠	٠,٩١	١,٠٩	٠,٦٣	٠,٣٣	٠,٠٧	٠,١٢	٠,١٣	٠,١٥
٧٩/٧٨	٠,٢٤	٠,٣٥	٠,٨٣	٠,٦٩	٠,٥٣	٠,٥٠	٠,٢٦	٠,١١	٠,١٣	٠,١٤	٠,٥٩	٠,١٥
٨٠/٧٩	٠,٩١	٠,٩٣	١,١٦	١,٣٨	٢,٠٤	٥,١٧	١,٢٨	٠,٩٧	٠,٩٠	٠,٨٥	٠,٧٩	٠,٧٣
٨١/٨٠	٠,٥٤	٠,٧١	١,٩٥	١,٧٥	٢,٠٥	١,٧١	١,٠٩	٠,٨٩	٠,٦٥	٠,٧٠	٠,٨٢	٠,٧٢
٨٢/٨١	٠,٨٠	٠,٩٧	٠,٩٤	١,١٣	١,٩٣	١,٦٩	١,٥٦	١,١٣	٠,٦٩	٠,٦٢	٠,٦٣	٠,٥٨
٨٣/٨٢	٠,٦٧	٠,٩٢	١,١٩	١,٨٦	١,٨٩	٣,٠٣	٢,٢٥	١,٦٧	١,٩٤	١,٥٠	١,٨٨	١,٧٩
٨٤/٨٣	١,٢٥	١,٤٤	١,٣١	١,٤٤	١,٢٠	١,٠١	١,٣٢	١,٢٧	٠,٩٦	٠,٧٣	٠,٨٧	٠,٩١
٨٥/٨٤	٠,٩٧	١,٤٩	١,٣٨	١,١٩	٢,٢٠	٢,٤١	١,٩٢	١,١٠	٠,٥٠	٠,٤٢	٠,٤٠	٠,٦٧
٨٦/٨٥	٠,٨١	٠,٩٨	١,٢٤	١,٦٤	١,٧١	١,٣٦	١,٠٨	١,٠١	٠,٨٤	٠,٨٩	٠,٧٩	٠,٩٦
٨٧/٨٦	٠,٦٧	١,٤١	١,٥٩	١,٥٩	١,٦٨	١,٣١	٠,٦٨	٠,٧٦	٠,٧٦	٠,٧٧	٠,٧١	٠,٧٧
٨٨/٨٧	١,٥٠	١,٣٢	١,٧٨	٢,٤٠	٣,٧٠	٣,٥٦	١,٩٦	١,٦٥	١,٢٥	١,١٢	١,٢٣	١,٥٥
المحموع	١٧,٩١	٢١,٥٤	٢٧,٥٥	٣١,٥٢	٣٨,٢٨	٤١,٩	٣٨,٣٤	٢٢,١٢	١٧,٥٥	١٤,٨٤	١٥,٩٩	١٧,٣٣
المتوسط	٠,٧٨	٠,٩٤	١,٢	١,٤	١,٦٦	١,٨٢	١,٢٣	٠,٩٦	٠,٧٦	٠,٦٤	٠,٦٨	٠,٧٥
الانحراف المعياري	٠,٣٧١	٠,٣٥٣	٠,٤٤٠	٠,٥١٠	٠,٩٢٦	١,٠٧٦	٠,٦٤٤	٠,٥٣٨	٠,٥	٠,٣٧٢	٠,٣٧٠	٠,٤٣٣
معامل التغير	٤٧,٥	٣٧,٥	٣٦,٧	٣٦,٤	٥٨,٣	٥٩,١	٥٢,٣	٥٥	٧٢,٤	٥٨,١	٥٤,٤	٥٦,٤

[٧] المصدر: سلطة المياه، بيانات التصريف لمحطة جرش.

* لم يتم تسجيل التصريف للعامين المائيين ٦٧/٦٦ و٦٨/٦٧ *.

جدول رقم (٢)

تصريف الأساس م٣/ث لنهر الزرقاء(٧) ٦٣ــ٦٤ /٨٧ ــم١٩٨٨

الشهر	تشر١	تشر٢	ك١	ك٢	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول
السنة												
٦٤/٦٣	١,٦٦	١,٩٩	٥,٩٦	٣,٠٣	٥,١٩	٣,٤٣	١,٤٧	٠,٨٧	٠,٨٦	٠.٥٩	٠,٥٨	٠,٦٤
٦٥/٦٤	١,٤٦	٠,٩٦	٤,٧٨	٧,٤٤	٤,٩٦	٢,٦١	٤,٠٧	٢,٢٤	١,٨٧	١,٢٤	١,٢٨	١,٧٣
٦٦/٦٥	٠,٩٢	٠,٤٣	٠,٥٦	٠,٥٧	٠,٥٩	٧,٤١	١,١٠	٠,٨٤	٠,٧٩	٠,٦٦	٠,٦٣	٠,٦٩
٦٧/٦٦												
٦٨/٦٧												
٦٩/٦٨	٠,٩٢	١,٨٤	١,٥١	٢,٤٥	٢,٦١	١٠,٥٢	٢,٤٨	١,٧٦	١,٢٥	٠,٩٩	٠,٧٨	١,٠١
٧٠/٦٩	١,٩١	١,٣٦	١,٢٧	٢,٢٣	١,٦٢	٢,٩٢	١,٤١	١,٢٠	١,١٤	٠,٩٧	١,٥٣	١,٦٧
٧١/٧٠	٠,٩٩	١,٠٨	١,٣٠	٢,٠٣	١,١٥	١,٣٧	٩,٣٤	٠,٤٤	٠,٣٠	٠,٢٦	٠,٢٢	٠,٣٣
٧٢/٧١	٠,٦٥	٠,٨٦	٢,٨٤	١,٥٠	٢,٠٤	١,٧٨	١,٧٠	٠,٤٠	٠,٢٤	٠,٢٩	٠,٤٢	٠,٤٢
٧٣/٧٢	٠,٤٢	٠,٩٥	٠,٥٩	١,٥٨	٠,٩٤	١,٢٣	٠,٥٠	٠,٥١	٠,٥٥	٠,٤٩	٠,٤٣	٠,٣٧
٧٤/٧٣	٠,٣٨	١,٢٢	٠,٨٦	٢٠,٠٣	٩,٥٥	٤,٥٧	٢,٩٢	١,٥٨	٠,٩٧	٠,٧٥	٠,٦١	٠,٦٢
٧٥/٧٤	٠,٤٢	٠,٩٦	١,٤٠	١,١٥	٤,١٣	١,٨٣	٢,٧٢	٠,٤٢	٠,٢٨	٠,٢٤	٠,٢٦	٠,٢٧
٧٦/٧٥	٠,٣٢	٠,٦٨	١,٠١	١,٢٧	١,٤٢	٤,٦٣	٠,٦٠	٠,٥٤	٠,٤٤	٠,٤١	٠,٣٧	٠,٣٣
٧٧/٧٦	٠,٤٢	٠,٥٩	٠,٦٩	١,٢٣	١,٢٢	١,٢١	٠,٧٢	٠.٤٣	٠,١٧	٠,١٢	٠,١٨	٠,٢٦
٧٨/٧٧	١,٠٩	٠,٥٦	٢,٠٧	٢,١٢	١,٠٢	٢,٥٠	٠,٦٣	٠,٣٣	٠,٠٧	٠,١٢	٠,١٣	٠,١٥
٧٩/٧٨	٠,٢٤	٠,٣٥	١,٢٧	١,٤٧	٠,٥٨	٠,٦٥	٠,٢٦	٠,١١	٠,١٣	٠,١٤	٠,١٥	٠,١٥
٨٠/٧٩	٥,٤٤	١٥,٧٦	١٤,٣٦	٥,٥٢	٣,٢٧	١٠,٧١٠	١,٣١	٠,٩٢	٠,٩٠	٠,٨٥	٠,٧٩	٠,٧٣
٨١/٨٠	٠,٥٤	٠,٧١	١١,٠١	١,٩٩	٣.١٦	٢,١٧	١,٤٠	٠,٨٩	٠,٦٥	٠,٧٠	٠,٨٢	٠,٧٢
٨٢/٨١	٠,٨٠	٠,٩٧	٠,٩٤	١,١٣	٣,٣٥	٢,٠٠	٧,٠١	٤,٦١	٠,٦٩	٠,٦٢	٠,٦٣	٠,٥٨
٨٣/٨٢	٠,٨٢	١,٢٤	١,١٩	٤,٠٢	٦,٧٤	٨,٩٢	٢,٢٥	١,٩٥	١,٩٤	١,٥٠	١,٨٨	١,٧٩
٨٤/٨٣	١,٢٥	١,٤٥	١,٣١	١,٩٨	١,٥٥	٢,٤٣	١,٣٢	١,٢٧	٠,٩٦	٠,٧٣	٠,٨٧	٠,٩١
٨٥/٨٤	١,٥٤	٣,٥١	٣,٣٤	١,١٩	١٠,٣٥	٣,٥٢	١,٩٢	١,١٠	٠,٥٠	٠,٤٢	٠,٤٠	٠,٦٧
٨٦/٨٥	٠,٨١	٠,٩٨	١,٣٢	١,٨٣	٢,٩٩	١,٣٦	١,٧٢	١,٠١	٠,٨٤	٠,٨٩	٠,٧٩	٠,٩٦
٨٧/٨٦	١,٠٩	٨,٧١	١,٨٤	٧٨ ٢	١,٧١	١,٤٠	٠,٧١	٠,٧٦	٠,٧٦	٠,٧٧	٠,٧١	٠,٧٧
٨٨/٨٧	٦,٩٦	١,٣٢	٢,٢٢	٤,٣٧	١٥,٤٨	٧,٨٩	٢,٠٤	١,٦٥	١,٢٥	١,١٢	١,٢٣	١,٥٥
المجموع	٣١,٠٩	٤٨,٢٨	٦٣,٦٤	٨٥,٩١	٨٧,٠٦	٤٩,٦	٢٥,٨٣	١٧,٥	١٤,٨٧	٤,٨٧	٤,٨٧١	١٥,٦٩١
المتوسط	١,٣٥	٢,١	٢,٧٦	٣,١٧	٣,٧٣	٣,٧٨	٢,١٥	١,١٢	٠,٧٦	٠,٦٤	٠,٦٨	٠,٧٥
الانحراف المعياري	١,٦١	٣,٣٧	٣,٣٥	٣,٩٣	٣,٦٩	٣,٣٨	٣,١	٢,٨٧	٢,٦٩	٠,٢٧	٠,٤٥	٠,٥
معامل التغير	١١٩,٢	١٦٠,٤	١٤٥,٦	١٢١,٥	٩٩,١	٨٩,٥	١٤٤,٢	٢٥٦,٢	٣٥٣,٥	٥٧,٥	٦٦,٣	٦٨

---

(٧) المصدر: سلطة المياه، بيانات التصريف لمحطة جرش.

" لم يتم تسجيل التصريف للعامين المائيين ٦٦/٦٧ و٦٧/٦٨ ".

جدول رقم (٣)

معدلات الأمطار الشهرية للفترة ١٩٦٦ـ١٩٨٩[٨]

	محطة الجامعة الأردنية	محطة مطار عمان
تشرين الأول	١٢,٧	٨.٨
تشرين الثاني	٤٥,٩	٢٦
كانون الأول	١٠٠,٢	٥٣,٢
كانون الثاني	١١١	٦١,٥
شباط	١٠٢,٤	٥٦,٢
آذار	٩١,٥	٥٦,٧
نيسان	٢٧,٤	١٥,١
أيار	٣,٢	٢,٣
حزيران	ـ	ـ
تموز	ـ	ـ
آب	ـ	ـ
أيلول	٠,٣	ـ
المعدل	٤٩٤,٦	٢٧٩,٨

[٨] دائرة الأرصاد الجوية ــ نشرة البيانات المناخية، (١٩٦٦ـ١٩٨٩) عمان، المملكة الأردنية الهاشمية.

المراجع

1- Shehadeh, N. (1983), The climet of Jordan in past and present, Int. Conf. Of history and Archaealogical of Jordan-Amman. p. 28

2- Burdden, D.J. (1959) Handbook of the geology of Jordan, Government of H. K. of Jordan, Amman. pp. 11-15

3- Felter, JR.W. (1980) Applied Hidrology, London. P.52

4- Farhan, Y. (1985) Factors affective the estimated total runoff for surface water catchments in east Bank of Jordan, Bei. ZURHHYDROLOGIE, Vol. 2 .p.457

5- Grabs, W.E. (1985) hydrological characteristics of Runoff Regim in SE Nigeria. The IMO River basin. Bei., ZURHHYDROLOGIE, Vol. 2. P.153

6- Charlston, C.W. (1983) Drainage density and stream flow, U.S. al. Surf. Prof., Pap, 422-c, 8pp.

٧-سلطة المياه، التصريف المائي للأحواض المائية، (١٩٦٣ـ١٩٨٨) عمان المملكة الأردنية الهاشمية.

٨-دائرة الأرصاد الجوية ــ نشرة البيانات المناخية، (١٩٦٦ـ١٩٨٩)، عمان المملكة الأردنية الهاشمية.

تاريخ ورود هذا البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٠/٧/٢٩

أساليب التوثيق الحديثة

الدكتورة خيال الجواهري
قسم المكتبات ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

الموضوع يتضمن المقدمة ثم أهمية استعمال التقانة الحديثة، والتي تعد من المتغيرات الجذرية والمهمة في العصر الراهن، ولا سيما في مجال المعلومات والتوثيق كان ذلك نتيجة حتمية لنمو السريع والمتزايد في تدفق المعلومات، وفرة المقالات والبحوث والدراسات، فاستخدمت الوسائل الحديثة في حفظ المعلومات بدلاً من استخدام الوسائل التقليدية، نظراً لأهميتها ومزاياها المفيدة مما يترك أثراً إيجابياً في تطور الخدمة المكتبية تجاه المجتمع، ومساهمتها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بشكل غير مباشر، وذلك بتوير المعلومات والإحصاءات وتلبية احتياجات الباحثين والمختصين والعلماء والدوائر الرسمية بالمعلومات الدقيقة، واسترجاعها بأسرع وقت مما يجعل علم التوثيق علماً قائماً بذاته وله تقنياته، هذا بالإضافة لدخول التوثيق عالم الإلكترون والكومبيوتر والاتصالات اللاسلكية الأمر الذي عزز فيه دور الوثائق في المجتمع.

أما مفردات المحاضرة هي:

*التعريف بالوثائق والتوثيق **Documantation** ، وأهم البيانات المطلوبة في التوثيق على بطاقة خزن المعلومات. ثم التعريف بالتكشيف وهو مصطلح جديد الاستعمال في التوثيق، وهو تحليل الوثيقة ومحتواها الموضوعي.*

أما أساليب التوثيق الحديثة فهي على نوعين:

١ ــ المصغرات (المايكروفورم)

٢ ــ الحاسب الالكتروني (الكومبيوتر)

١ ـ المصغرات، تعريفها، أنواعها، الأجهزة المختلفة لمصغرات، وهي عديدة.

٢ ـ الحاسب (الكومبيوتر) تعريفه والعمليات التي يقوم بها لتوثيق المعلومات. ودخوله الخدمة المكتبية في مسألتين أساسيتين هما:

أ ـ الإدارة والخدمة المكتبية بأنواعها من تزويد، وفهرسة، وتصنيف، وتكشيف.

ب ـ الاسترجاع الذي يكون على نوعين: الإعارة والمراجع.

ومن أمثلة التكشيف الآلي هي المكانز الحديثة والمتعددة المجالات، والأمثلة عليها، وهي المكنز العربي، ومكنز اليونيسكو، ومكنز السكاني المتعدد اللغات.

وأخيراً مكنز المصطلحات في مؤسسة شومان في عمان ودبي، ومن الممكن الاشتراك به مستقبلاً، وأخيراً أهمية هذه التقانة في مجال الوثائق والتوثيق، وأولها السرعة، واختصار الوقت، وسرية العمل في المؤسسات، كذلك سهولة نقلها من مكان إلى آخر.

وأخيراً لا تحتل مساحة مكانية كما هو في الكتب والدوريات.

المقدمة:

منذ النصف الثاني من القرن العشرين قد شهد العالم مستوى عاليا من التطـــور فـــي ميدان الوسائل المستخدمة لتخزين المعلومات بشكل منظـــم واســترجاعها بصــورة سريعة وفي أعقاب ذلك النمو السريع والمتزايد في تدفق المعلومات، والذي جاء نتيجة حتمية لذلك الكم الهائل من المقالات والبحوث والدراسات والاكتشافات الجديـــدة فـــي الموضوعات وتنوعها.

لقد لعبت الوسائل الحديثة في حفظ المعلومات في المكتبات وذلك بدلا مـــن اســتخدام الوسائل التقليدية دورا مهما وإيجابيا في تطور الخدمة المكتبية إزاء المجتمع وتفعيــل الإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

إن تزويد الباحثين والمختصين والعلمـــاء والدوائـــر الرســمية بالمعلومـــات الدقيقـــة والإحصاءات المنظمة واسترجاعها بأسرع وقت، كان وما يزال يسهم إسهاما"فعالا"فـي المواد وفي بلورة وصوغها أفضل التقارير التي من شأنها رصد الواقع بدقة ووضـــع الحلول الناجمة لتجاوز ما تعانيها من مشكلات وصعاب.

وهذا ما تطمح إليه المكتبات وتسعى لتقديمه للباحث والقارئ من خلال تنفيذ مهماتـــها تجاه المجتمع.

هذا على صعيد العالم، ترى ماذا عن موقع المكتبات من أساليب لعلنا نغـــالي بمكانـــة التوثيق الحديثة وأهميتها ؟.

إذا قلنا :إنها ما تزال في مراحلها الأولى من هذا الاســـتخدام وذلـــك لأســباب فنيـــة واقتصادية. ومن هنا نلاحظ أن الكثير من المكتبات في البلاد العربيـــة تشــكو مـــن الضعف بسبب اعتماد الوسائل التقليدية قي خدماتها للقراء. وهذا ما يبعث على الأسف ولا سيما ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين حيث يشهد العالم نهوضا" تقنيـــا"

في شتى المجالات وخصوصا" في مجال حفظ المعلومات بواسطة الأشـــرطة. وبمـــا يجعل عالم التوثيق عالما" قائما" بذاته وذا تقنيات. هذا فضلا" عن دخول التوثيق عـــالم الإلكترون والكومبيوتر والاتصالات اللاسلكية الأمر الذي عزز فيه من دور الوثـــائق في المجتمع وزاد من قدرتها لتواكب التطورات الحديثة.

من هنا تبرز أهمية أساليب التوثيق الحديثة وأهميتها في النهوض بمكتباتنا وتقيم أفضل الخدمات للمؤسسات والأفراد. وهذا هو موضوع بحثنا عسى أن نوفـــق فـــي تناولـــه وتقديمه.

ما التوثيق:

الوثائق هي أوعية المعلومات الورقية من كتب ودوريات ونشرات وحوليات وصحـــف وخرائط يرجع إليها الإنسان لزيادة المعلومات بالإضافة إلى المواد الأرشيفية الصادرة عن أجهزة الدولة المختلفة مثل القرارات والتشريعات.

أما التوثيق فهو عملية جمع المعلومات وتسجيلها وتنظيمـــها وفـــق أســـاليب حديثـــة. ومصطلح التوثيق Documentation هو من المصطلحات العلميـــة الحديثـــة ولـــه تعريفات عديدة منها:

١-التوثيق شكل من أشكال العمل الببليوغرافي الذي يستخدم وسائل وأدوات متعـــددة مثل: الكشافات والمستخلصات والمقالات الببليوغرافية، إضافة إلى الوسائل والطـــرق التقليدية الأخرى مثل: التصنيف والفهرسة، وذلك لجعل المعلومـــات ســـهلة المنـــال والوصول إليها سهل أيضا".

٢-"التوثيق هو تحليل ونقل وتجميع وتصنيـــف الوثـــائق واســـتعمالاتها" والمقصـــود بالوثائق هنا جميع أشكال المعرفة البشرة المسجلة.

أما أهم البيانات المطلوبة في التوثيق على بطاقة خزن المعلومات هي:

١-نوع الوثيقة (مقالة، ودراسة، وبحث، وكتاب، ومحضر جلسات، وتقارير).

٢-الموضوع الأساسي للوثيقة. ٣-عنوان الدورية أو الكتاب.

٤-عنوان المقالة. ٥-المؤلف أو الكتاب.

٦-التاريخ. ٧-الناشر.

٨-المستخلص. ٩-المفتاح للمصطلح.

١٠-لغة التوثيق.

التكشيف: Indexing :

هو مصطلح جديد الاستعمال في التوثيق وهو تحليل الوثيقة ومحتواها الموضوعي،وفيما يرتبط مع رغبات المستفيد والتعبير عن ذلك التحليل بأقل ما يمكن من رؤوس الموضوعات أو المواصفات، والتكشيف هو عملة تحليل موضوعي لكتاب أو دوريه(صحف، مجلات) أو وثيقة ذو غاية و هدف من أجل توصيل المعلومة للقارئ بأسرع وقت. (انظر شكل رقم ١).

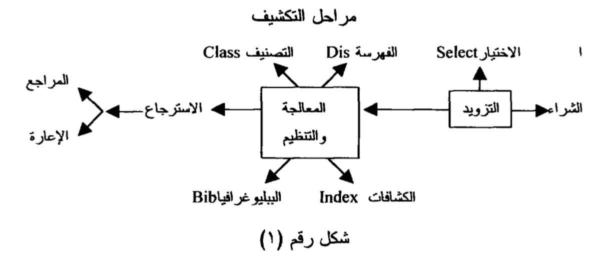
ويتم ذلك باختيار كلمات مختصرة ومصطلحات يتم تحديدها وفق نوع المادة. وهو علم وفن يتطلب ممن يقوم بهذا العمل أن يكون على دراية بالمكنز المستخدم أولاً،والموضوع المحلل ثانياً، ولغة التوثيق ثالثاً. هذا من الجانب العلمي.

أما التكشيف بوصفه فناً فإنه عملية فهم الجوانب المطلوبة لحاجات القراء[1].

وتعيين الواصفات (المصطلحات) المناسبة في تسلسل منطقي.

[1] التحليل الموضوعي والتكشيف /علي سليمان الصوينع.. مكتبة الإدارة مج١٣ ع١ (١٩٨٧) ص٢٨.

مراحل التكشيف



شكل رقم (١)

مصادر التوثيق في المكتبات، تكون عادة متنوعة وحسب المواد هي:

١. الكتب
٢. الدوريات
٣. القوانين والتشريعات
٤. التقارير
٥. النشرات
٦. الوثائق الأخرى

والتكشيف في مجال الكتب نوعان هما:

أ ـ كشاف مجرد Specific index وهو كشاف لأي كتاب يحتوي على الأسماء والمفردات وموضوعات خاصة بالمحتوى. وتدرج فيها الأفكار الرئيسية التي تضمنها النص وتكون من كلمة أو كلمتين.

ب ـ كشاف تحليلي Reltive index ويتم فيها تفريع المداخل الرئيسية التي عولجت في صفحات متعددة وكثيرة إلى مداخل فرعية، تعطي تفصيلاً أكثر تحليل أموضوعياً وأشمل للجوانب المختلفة للمداخل الرئيسية مثال:

مكتبات	الإعارة
إدارة	أنظمة
تصنيف	تبادل
توثيق	تعاون
فهرسة	قوانين

تكشيف الدوريات:

وتعد مهمة في الوقت الحالي لاحتوائها على المقالات الحديثة والدراسات ولصدور أعداد دورية كثيرة يمكن حصرها من خلال كشاف لمساعدة الباحث. أما عناصر المدخل في كشاف الدوريات (بخصوص المقالة في الكشاف) هي: اسم المؤلف، وعنوان المقالة الرئيسي، وبيان المسؤولية، وعنوان الدورية كاملاً، ورقم المجلد (اليوم والشهر والسنة) أي التاريخ ثم عدد الصفحات.

٣ ـ تكشيف الصحف وهي على نوعين:

أ ـ كشاف النص: ويكون بوساطة ما يسمى Kwic index وهو اختصار للكلمات Key word in content ، ويعتمد هذا الكشاف على الكلمات المفتاحية الهامة في عنوان ما.

تأثير المخدرات في المجتمع السوري ١ـ مخدرات ٢ ـ سوريا

ب ــ كشاف الكلمات المفتاحية خارج السياق Kwoc وهو اختصار للكلمـــات Key word out in content ويختلف عن سابقه بأن يوضع المصطلح على أنـــه مدخـل على رأس كل العناوين وترك العنوان مكتوبا بصورة دائمة حسب الترتيب الطبيعـــي لصورته الاعتيادية.

تأثير المخدرات في المجتمع السوري ــ المخدرات.

وسائل التقنية الحديثة

توصل العالم منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى تطورات كبيرة فـــي ميــدان الوسائل المستخدمة لتخزين المعلومات بشكل منظم واسترجاعها بصورة سريعة.

وأخذ باستعمال الوسائل الحديثة في حفظ المعلومات واسترجاعها بدلا مـــن اســتخدام الوسائل التقليدية نظرا لأهميتها والمميزات المفيدة.

أما المكتبات العربية ما تزال في المراحل الأولى من هذا الاستخدام وذلك لأسباب فنية واقتصادية. حتى أن كثيرا من المكتبات العربية الآن تشكو الضعـــف فـــي اســتعمال الوسائل التقليدية لقرائها.

ومن أهم أنواع التقنية الحديثة هي:

١ ــ المصغرات (المايكروفورم)

٢ ــ الحاسب اللالكتروني (الكومبيوتر)

المصغرات الفلمية:

هو ذلك النوع من التصوير الدقيق أو التصوير، التحميض، الطبع، وفق مقاييس معينة ولا يمكن الاطلاع عليه بالعين المجردة، أو الحصول على نسخ ورقية منه، إلا بوساطة أجهزة قراءة أو طباعة خاصة.

ظهرت المصغرات في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فقد نجح العالم الإنكليزي جون بنيامين دانس في عام ١٨٣٩ في إنكلترا من اختراع آلة تصوير استخدم فيها الإمكانات الفنية وتوصل فيما بعد إلى إنتاج أول مصغر فيلمي، وفي عام ١٩٣٦ كان قد أنتج إدوين باترسون ولأول مرة مصغرات فيلمية لاستخدامها في حفظ الوثائق، حتى عام ١٩٣٨ كانت البداية الفنية لإنتاج المصغرات الفلمية.

أنواع المصغرات:[٢]

١ ـ الأفلام المصغرة المصورة (المايكروفلم):

وهي عبارة عن فلم شفاف يتكون من سلسلة متتابع من الصور الفوتوغرافية المصغرة لا يمكن قراءتها بالعين المجردة. ويستوعب الفلم الواحد المئات من الصفحات الورقية وكل صورة أو إطار من هذا الفلم تمثل صفحة أو صفحتين من جريدة إلخ... ويلف هذا الفلم على بكرة خاصة ويطلق عليه الفلم الملفوف (Roll Film). ويبلغ طوله ١٠٠قدم. أما عرضه فيكون ١٦ملم أو ٣٥ملم.

ومن الأنواع الأخرى للمايكروفلم الكاسيت Casete والكارترج Cartridge وهذه عبارة عن أفلام أيضاً ولكنها محفوظة داخل أغلفة بلاستيكية محكمة. وفلم الكاسيت

---

[٢] التقنيات الحديثة في المكتبات/ عامر ابراهيم قنديلجي. ـ تونس: المجلة العربية للمعلومات، مج٢ ع(١٩٨٠) ص٥٧

يحتوي على بكرتين بدلاً من واحدة حيث يمكن قراءة المعلومات ولف الفلم من بكـرة إلى أخرى.

٢ ـ البطاقات المصغرة الشفافة (المايكروفيش) Microfiche

وهي عبارة عن بطاقة سطحية مستطيلة الشكل (١٠٥×١٨٤) ملم مـن فلـم شـفاف تحتوي على أطر تمثل صوراً مصغرة مرتبة بشكل أفقي وعامودي وتستوعب البطاقة الواحدة ستين صفحة أو أكثر من الكتاب أو الدورية. وتمتاز البطاقـة الشـفافة عـن المايكرفلم بإمكانية كتابة عنوان المطبوع المراد تصويره وتصغيره مع كافة البيانـات الضرورية كافة في الجزء العلوي من البطاقة وإمكانية قراءتها بالعين المجردة.

٣ ـ البطاقات المصغرة المعتمة Micro-Opeque وتشبه هذه البطاقات إلى حد كبير البطاقات المصغرة (المايكروفيش) من حيث الحجم والشكل وترتيب الصور المصغـرة ولكنها تختلف عنها بكونها مصورة على سطح غير شفاف وإمكانية التصويـر علـى الوجهين.

٤ ـ الحوافظ Micro-Jaket ونحصل على هذا النوع من المصغرات بعد تقطيع الفلم المصغر الملفوف إلى شرائح طولية تعبأ داخل حبوب بلاستيكية لحفظها في تسلسل.

٥ ـ الشرائح المركبة على البطاقات المثقبة Aperture Card وتشبه هذه البطاقـات إلى حد كبير البطاقات المستعملة في الحاسب الإلكتروني (الكومبيوتر) ولكنها تختلـف عنها بوجود فتحة مستطيلة بحجم معين تكفي لتثبيت شريحة من مايكروفلم فيها.[1]

الأجهزة المختلفة المستخدمة في إنتاج المصغرات الفلمية:

---

[1] المصدر السابق نفسه

١ ـ أجهزة التصوير وتشمل على نوعين:

أ ـ أجهزة التصوير الدوارة Rotary camera حيث يتم التصوير لكل صفحة مـراد تصويرها أو تغييرها والفلم يتحرك، وتتميز هذه الكاميرات بالسرعة العالية مع إمكانية تصوير وجهي الورقة في آن واحد متجاورين أو واحدا بعد الآخر.

ب ـ أجهزة التصوير الثابتة Planatary camer هنا يتم التصوير وكل من الصفحة المراد تصويرها أو تصغيرها إلا أنه في حالة ثبات وتمتاز هذه الكاميرا بالدقة والكفاية في التصوير إلا أنه يعاب عليها البطء مقارنة بالنوع الأول.

٢ ـ أجهزة التحميض والتجفيف:

أ ـ الإظهار وهنا يتم معالجة المادة المصورة التي تعرضت للضوء في محلول يسمى محلول الإظهار ويحولها إلى صورة مرئية.

ب ـ التثبيت Fiscation وهنا يتم تثبيت الصورة المرئية بوساطة محلول خاص.

جـ ـ الغسل Washing وهنا الانتهاءبعد عملية التثبيت يجب التخلص مـن المـواد الكيماوية العالقة بالصور الفوتوغرافية.

د ـ التحميض والتجفيف Draying وهي أجهزة تحتوي على بكرات وأنابيب خاصـة تقوم بتحميض الفلم ثم تجففه ويخرج الفلم من الجانب الثاني للاستعمال.

٣ ـ أجهزة القراءة Readers وهي عبارة عن أجهزة بأشـكال وأنـواع مختلفـة الحجم منها:

أ ـ أجهزة قراءة الأفلام المصغرة (المايكروفلم) Microfilm Reader وتكون علـى أنواع.

ب ـ أجهزة قراءة البطاقة الشفافة Microfiche Reader

جـ ــ أجهزة قراءة البطاقة والأفلام المصغرة Microfilm micro Render

د ــ أجهزة قراءة الشرائح المركبة على بطاقات مثقبة Aperture card

هـ ــ أجهزة قراءة الحوافظ Micro-Jacets reader

و ــ أجهزة القراءة والطباعة Reader printers

٢ـ الحاسوب (الكومبيوتر) Computer

وكما هو معروف تجاريا الكومبيوتر من أحدث التقنيات في العصر الراهن ومن ميزاته أنه يسهل تخزين المعلومات الخاصة بموجودات المكتبة وكذلك استرجاعها وخصوصا في مجالات موضوعية متعددة أو قوائم لمؤلفين معينة أو ببليوغرافيا متخصصة. ومن ميزاته أنه يفيد المستفيد بمعلومات في أقصر وقت والإجابة عن أسئلته أو طلباته بدقة متناهية.

ما الحاسوب:

هو جهاز إلكتروني يستقبل البيانات Data ثم يقوم عن طريق الاستعانة ببرنامج خاص Program بعملية تحريك هذه البيانات وتشغيلها لكي تخرج وتسترجع في النهاية على شكل نتائج أو إجابات.

والبرنامج الخاص عبارة عن تعليمات مفصلة توضع على مراحل وخطوات واحدة بعد الأخرى في كيفية إجراء عملية تشغيل البيانات وتحريكها. والشخص الذي يقوم بهذه العمليات المفصلة يسمى Programer ، يتميز الحاسب الذي في الأصل جهاز حساس أن يقوم بالعمليات الحسابية بوجود ذاكرة أو وحدة تخزين للمعلومات في أثناء العمل والتشغيل وحفظها لفترة من الزمن حتى يحين ضرورة إعادتها أو استخدامها، ويمتاز

بالدقة والتنظيم للمعلومات بالإضافة إلى أنه تمتاز بالسرعة الفائقة. وذلك من خلال مراحل ثلاث هي:

١ ــ عملية الإدخال Input وصف الوثيقة

٢ ــ المعالجة Processing إعداد الملفات

٣ ــ الاخراج Out put صياغة الاستفسار وفيها يتم تصنيف الطلب

كما اعتمدت المكتبات الكبيرة حالياً في خدماتها للقراء من جهة ولتنظيم ومعالجة عدة عمليات فنية للخدمة المكتبية الداخلة على الحاسب الآلي وهي:

١ ــ التزويد

٢ ــ الاعارة بنوعيها

٣ ــ الببليوغرافيا

٤ ــ الفهرسة والتصنيف

٥ ــ التكشيف

٦ ــ الأدلة والكشافات

والتكشيف الآلي أو الكومبيوتر من أحدث التقنيات في العصر الراهن ومن ميزاته أنه يفيد المستفيد بمعلومات في أقصر وقت ممكن وبدقة متناهية (مكتبة الأسد).

وهو على نوعين رئيسيين لهذا الشكل من أشكال الفهارس وهما:

١ ــ البطاقات تكون فيه صورة على المصغرات الفلمية مثل: الميكروفلم أو الميكروفيش.

٢ ــ المعلومات تكون فيه مخزنة في الحاسوب.

بصورة عامة اعتمدت المكتبات الكبيرة حالياً في خدماتها للقراء من جهة ولتنظيم العمليات الفنية الداخلية على الحاسب الآلي.

حيث يقوم بعدة عمليات هي:

١ــ التزويد الاختيار التسجيل Selected

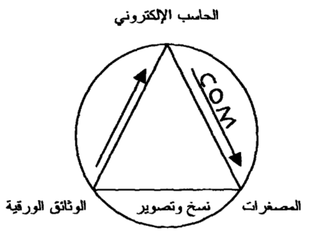
٢ــ الفهرسة و التصنيف Description and Classification

٣ــ الإعارة بنوعيها Leading

٤ــ التكشيف Indexing

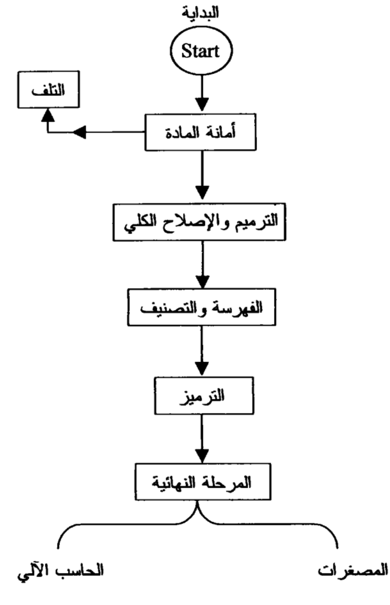
٥ــ الببليوغرافيا Biblograti

٦ــ الأدلة و الكشافات انظر الشكل رقم (٢). Catalag



الشكل رقم (٢)

والمصغرات تعد النوع الأول في الفهارس الآلية والفهارس المصغرة لم تنتشر إلا بعد أن أصبح انتاجها ممكناً كمستخرجات الحاسوب COM وتعني Coded Operation Microfilm حيث كان الناتج الرئيسي للحاسوب في بداية استخدامه للمكتبات الكبيرة على شكل لفافات طويلة من الورق.



شكل رقم (٣)

يكون ذلك بتوافر عاملين أساسيين هما الوثائق الورقية وتشمل المراسم والتشريعات والقرارات والمحاضر كافة (ما عدا وثائق المحاسب) وتوافر المعلومات الخاصة بموضوع ما. (انظر الشكل رقم ٢)

والحاسب الآلي الذي يقوم بعملية توفير وتنظيم بعد فرز الوثائق الصالحة من غير الصالحة ثم تصنف هذه الوثائق وتفهرس وتعمل لها الإشارات وتسجيل البطاقة لكل وثيقة ووضع الرقم نفسه علىالبطاقة والمصغر في آن واحد تكون النتيجة هي المصغرات الفيلمية التي بدورها تحتاج إلى نوعين من الإجراءات هي:

١ـ توفير أجهزة قراءة للفلم الصغير

٢ـ توفير أجهزة قراءة للفلم الكبير

٣ـ توفير قراءة للميكروفلم أو الميكروفيش الخ.

وبعد ذلك تذهب المصغرات إلى مكان الأمانات لكي تحفظ من جهة أو يكون باستنساخ هذه المصغرات وتصويرها عند الحاجة وعودتها ثانية لوثائق ورقية. (انظر شكل رقم٤).

التوثيق الميكروفلمي:

يعد هذا المصطلح من المصطلحات المكتبية الحديثة، وأخذ يعد على أساسها أنه أداة لحفظ المعلومات وتسجيلها واسترجاعها ويسمى بالإنكليزية (Micro grafic) ويعرف التوثيق الميكروفيلمي بأنه الإجراءات والمتطلبات الفنيةوالتقنية كافة التي تعامل بها المعلومات لغرض تحويلها... من وعائها الورقي إلى وعائها الفيلمي المصغر غير المقروء بالعين المجردة. من أهم ميزاته هي:

١ ـ التوفير في المساحة المكانية　　٢ ـ السرعة وسهولة الاسترجاع

٣ ـ حماية الوثائق من التلف　　٤ ـ سهولة تبادلها

إجراءات التوثيق الميكروفلمي:

١ ــ مرحلة الإعداد الفني: ويشتمل على المواد المطلوب تصويرها ثم تنظيمها وفق أسس علمية تؤمن سرعة تعرفها واستخدامها بعد تصويرها.

٢ ــ مرحلة التحويل التصويري: وتشمل على عملية التصوير الميكروفلمي، وما يتبع من ذلك تحميض للأفلام. كذلك تقطيعها.

٣ ــ مرحلة الحفظ والاستخدام: وتشمل هذه المرحلة على حفظ المواد المصغرة وتداولها من قبل المستفيدين أو تسويقها.

أما أهم مرحلة تأتي بعد ذلك هي إعادة المعلومات واسترجاعها والبيانات المصورة ميكروفلميا من الشكل غير المقروء بالعين المجردة إلى الشكل المقروء بالعين المجردة. وذلك باستعمال أجهزة خاصة لقراءة الميكروفلم مع أجهزة الطبع. (انظر شكل رقم ٣)

أهم طرائق استرجاع المعلومات المصورة على الميكروفلم:

١ــ الطريقة اليدوية (أجهزة القراءة، والطبع)

٢ــ الاسترجاع المرمز Coded Retrieval والتي تثبت في أثناء مرحلة التحويل التصويري.

٣ــ الاسترجاع الآلي للمعلومات المخزونة في ذاكرة الحاسوب.

أهمية الوسائل الحديثة:

تكمن أهمية السائل الحديثة بعدة مزايا هي:

١ــ اختصار الوقت

٢ــ الاقتصاد في المساحة المكانية

٣ــ السرية والأمانة لقرارات ومحاضر الجلسات

٤ــ حفظها من السرقة والحرائق والتلف

٥ــ استرجاعها عند الحاجة وبسرعة

٦ــ إعادة نشرها بعدة نسخ

٧ــ سهولة نقلها من مكان إلى آخر (تداولها).

المكنز: Thesauri

تعريفه:

هو قائمة أو دليل أو معجم مصطلحات أو برنامج موضوعي هجائي، يشتمل على الواصفات أو المصطلحات التي تستخدم في تكشيف الإنتاج الفكري وتحليله في مجال من المجالات المعرفة المتعددة. والفرق بينه وبين قائمة رؤوس الموضوعات، هو أن المكنز يصمم أساسا لمشروعات التكشيف التي تعتمد على الحاسبات الآلية.

وهو لهذا يصلح لتكشيف مصطلحات الدوريات. بينما تصلح قائمة رؤوس الموضوعات للكتب. وإن كان هذا لا يمنع من إمكانية استخدامه في تكشيف الكتب.

وعلى هذا فالمكنز هو قائمة بالواصفات وعلاقاتها الترادفية والهرمية والاتصالية، التي تكفل التكشيف واسترجاع المعلومات ويكون ترتيبه إما هجائيا او في ترتيب هرمي.

يتكون التكشيف بصورة أساسية من المراحل الثلاث التالية:

١ــ تفحص الوثيقة وتقرير محتواها الموضوعي.

٢ــ تحديد المفهومات الرئيسية الموجودة في الموضوع.

٣ــ التعبير عن هذه المفاهيم بمصطلحات لغة التكشيف. (١)

العناصر اللغوية وهي:

- الواصفات Description
- المصطلحات المتساوية
- الزوائد، السوابق
- الكلمات الوسيطة

مثال: إن شخصا أراد بناء مكنز عن "الري" وجمع تشكيلة من المصطلحات على بطاقات الري (وتجمع البطاقات في مجموعة لفئة من النوع نفسه) وتوجد مجموعة لأنواع الري، وأخرى لأنواع المحاصيل التي تروى، وثالثة لأنواع التربة، ورابعة للمناطق المناخية، وخامسة للإطار... إلخ.

بعد تحديد الفئات، تكون الخطوة التالية وهو تنظيم كل فئة إلى وضع هرمي وفق معظم الحالات يمكن أن تكون الفئة الكاملة منظمة بصورة نافعة في هرمية كبيرة واحدة مثل المحاصيل التي تقسم إلى أنواع رئيسية، وأنواع فرعية.

المحاصيل الفواكة والحمضيات: البرتقال الليمون الكريب فروت وهنا تأتي علاقة الجنس/ النوع.

إذ أن البرتقال نوع من الحمضيات، والحمضيات نوع من الفواكة والفواكة نوع من المحاصيل. وبعد إعداد الهرميات بصورة ترضي المكشف يقلب التصنيف ليكون

---

(١) الفهرسة الموضوعية/ محمد فتحي عبد الهادي ــ القاهرة: مكتبة غريب، ص١٩٣

المكنز هجائيا فيصبح كل مصطلح مدخلا وتبقى علاقاته الهرمية التـــي يعــبر عنـــها مصطلح ضيق م ض.

وبما أن الليمون يبين أن الحمضيات هي مصطلح عام يجـــب أن يتبيــن الحمضيــات مصطلح الليمون كأحد المصطلحات الضيقة.

المحاصيل والفواكه والحمضيات: البرتقال الليمون

عند بناء المكانز لأنظمة المعلومات لابد من اتخاذ بعض الإجراءات التنظيمية والفنيــة كما يلي:

١ــ بيان أهداف المكنز

٢ــ التغطية الموضوعية

٣ــ تحديد مصطلحات الموضوع

٤ــ بيان العلاقات بين المصطلحات

٥ــ طريقة عرض المصطلحات وتنظيمها

٦ــ إجراءات التحديث والتحرير والتصحيح والحذف والإضافة

هناك جانبان لإنتاج المكانز:

الجانب الأول:

وهو الفكري ويعتمد على العلاقات الموضوعية للمصطلحات التي تختــار مـــن قبــل المكشف.

الجانب الثاني:

وهو التنظيمي ويتمثل بالإجراءات الناجحة للحاسب الآلـي وهـي الدقـة والسـرعة والمراجعة للعلاقات والإحالات وكذلك طباعة المكنز حسب أشكاله المختلفة.

أمثلة عن المكانز

١ ـ المكنز العربي:

مكنز الجامعة في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، أسس من أجل أن يكون مرشدا للمكشفين في مركز التوثيق والمعلومات في الأمانة العامة، ودليلا لكل المكشفين فـي أرجاء الوطن العربي. وكما ورد في الدليل العملي للتحليل الموضوعي والتكشيف.

يتكون مكنز "الجامعة" من أربعة أقسام باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية:

١ـ القسم الأول: السرد الهجائي

٢ـ القسم الثاني: السرد المصنف

٣ـ الكشاف بالكلمات المفتاحية خارج السياق

KWOC (Key Word Out of Content)

٤ـ الكشاف الهجائي للمصطلحات باللغتين الأخريين.

٢ ـ المكنز السكاني المتعدد اللغات:(١)

المكنز ليس متخصصا بالسكان وإنما يعكس مجالات العلوم الاجتماعية وكذلك العلـوم الطبية وعلم الوراثة مثل تنظيم الأسرة.

(٢) المكنز المتعدد اللغات: نادر الفرجاني. ـ ط٢ ـ تونس: جامعة الدول العربية، ١٩٨٨.

وبما أنه سبق أن صدر عن مركز التوثيق والمعلومات بالأمانة لجامعة الدول العربيــة فقد أصبح بعض التنسيق بينه وبين مكنز الجامعة في مجال المصطلحات المشـــتركة، واحتوى هذا المطبوع على ٢٨٢٣ واصفة و ٣٦٧ لا واصفة.

ترتيب المكنز: يضم المكنز ثلاثة أقسام رئيسية هي:

١ ــ القائمة الهجائية Al-Phtetical thesaurus

رتبت الواصفات ضمنها ترتيبا هجائيا ومقابلها باللغة الإنجليزية والفرنســـية، ورقــم الوجه الذي تنتمي إليه بالتبصرة إن وجدت وذكر علاقتها مع مجموعة المصطلحـــات وحيث تحيل اللاواصفات إلى واصفات.

٢ ــ العرض الموضوعي للواصفات ويحتوي على قسمين:

أ ــ الملخص الوجهي: Subject categor fields

ب ــ القائمة المصنفة: Descriptor croups

وقد رتبت فيها الواصفات بمقتضى الحقول الموضوعية التي تنتمي إليها.

٣ ــ كشاف الكلمات المفتاحية داخل السياق Kwic , Index

ويشمل على ترتيب هجائي للمركبات الدالة للواصفات واللاواصفات العربية ومتبوعــة برقم الوجه الذي تنتمي إليه.

واعتمد الترتيب الهجائي العربي على الشيفرة العربية الموحدة اسمو ٤٩٩ كذلك اعتمد الترتيب في المكنز مبدأ كلمة وليس حرفا حرفا.

هذا ويهدف إلى عدة غايات وهي:

أ ــ توحيد تقانات التكشيف والاسترجاع في نظم المعلومات السكانية.

ب ــ يكون أحد العناصر الأساسية لإنشاء قاعدة شبكة المعلومات السكاني في الوطن العربي.

جـ ــ إعطاء النموذج للعمل العربي الموحد في حقل السكان.

استخدامه:

يستخدم لأغراض متعددة، فهو أداة للتكشيف الموضوعي للوثائق قبل تخزينها في قواعد المعلومات. كذلك يستفاد منه في استرجاع المعلومات إلى جانب أنه وسيلة علاقة لغوية بين المصطلحات العربية وما يقابلها من مصطلحات اللغات الأخرى.

٣ ــ التجربة الثالثة: (١٩٧٧) Unesco Thesaurus

صدر هذا المكنز عن اليونيسكو في تونس: ١٩٨٦ ترجمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لكي يستخدم في تحليل واسترجاع المعلومات والوثائق التي تمثل أنشطة اليونيسكو وهو ذو مجلدين.

الأول: يشتمل على:

١ــ المقدمة: تتناول هدف المكنز، تاريخ المكنز، الموضوعات المغطاة ومصادر المصطلحات مع ملاحظات على بناء المكنز، وكيفية استخدامه.

٢ــ المكنز المصنف وهو مكنز كامل.

٣ــ كشاف التبادل.

٤ــ العرض الهرمي

الثاني: يشتمل على:

المكنز الهجائي ويغطي المجالات الرئيسية الثلاثة: التربية، والثقافة ،والعلوم انظـــر. المكنز السكاني المتعدد اللغات.

لنشاط اليونيسكو، بما يتفق وأهداف المنظمة العربية للتربية والثقافـــة والعلـــوم هـــذا بالإضافة إلى وجود المكنز الأجنبي في مجالات متخصصة ومتنوعة وأولها في مجـال العلوم التطبيقية ومجالات التنمية الاقتصادية والاجتماع ومكنز قومي آخر في مجـــال العلوم السياسية.

٤ ــ التجربة الرابعة:

بعنوان المكنز الواسع: مؤسسة عبد الحميد شومان، مركز جمعة الماجد للتراث والثقافة، بلدية دبي.(١)

يعد هذا المكنز مركز عدة مكانز تم تعريبها إلى مكانز متخصصة، جمع من المكـــانز الأساسية التي خضعت للتعديل هي:

مكنز الجامعة، مكنز البنك الإسلامي، مكنز اجروفوك، مكنز المياه الدولي.

يعد حجم المكنز واحدا من أضخم المكانز في العالم.

يشتمل المكنز على (٤٧٣٠٦) مصطلحات منها:

٢٤٣٨٢ واصفة

١٢٩٢٤ لا واصفة

وتضمن على ٨٥٧٠ لا واصفة إنجليزية و٢١٥٩ لا واصفة بالفرنسية.

---

(١) المكانز: أنواعها: محاضرة/يسرى أبو عجمية. ــ دمشق: ندوة المكتبات في بلاد الشام، ١٩٩٥.

المركز لهذا المكنز بنيت له قاعدة بيانات باستخدام برنامج Minisis في مؤسسة عبد الحميد شومان. وسجل على شريط ممغنط حسب المواصفات اسمو (٥٧٨).

التغطية: يغطي المكنز حقول المعرفة (موضوعيا) جميعها وقد تم تقسيمها إلى ٢٧ وجها.

أجزاء المكنز:

١ ـ القسم الرئيسي: يتضمن واصفات ولا واصفات في تسلسل هجائي حسب الشفرة العربية الموحدة اسمو ٤٤٩ مع إغفال ال التعريف.

المداخل نوعان هي:

مدخل الواصفة و مدخل اللاواصفة

٢ ـ اختيار الواصفات: تم اعتماد المبادئ الأساسية الخاصة بالمكنز في اختيار الواصفات وحسب أسس معينة.

١) أبو عجمية، يسري.

المكانز: أنواعها: محاضرة. ــ دمشق: ندوة المكتبات في بلاد الشام، ١٩٩٥.

٢) الشامي ، أحمد، محمد.

المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات: إنكليزي ــ عربي الرياض: دار المريخ، ١٩٨٨ ــ ص١٢٠٦.

٣) الصوينع، علي سليمان.

التحليل الموضوعي والتكشيف ــ الرياض:مكتبة الإدارة، مج١٣ ع١ (١٩٨٧) ص٢٨.

٤) عبد الهادي، محمد فتحي

الفهرسة الموضوعية ــ القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩١ ــ ص٢١١، ٤٢٤.

٥) فرجاني، نادر.

المكنز السكاني متعدد اللغات: الصورة العربية. ــ ط٢. ــ تونس: جامعة الدول العربية، ١٩٨٨ ــ ص٣٢٢.

٦) قنديلجي، عامر ابراهيم.

"التقنيات الحديثة في المكتبات" ــ تونس: المجلة العربية للمعلومات، ١٩٨٠ ــ ص ص٢٧ ــ ٧٦.

تاريخ ورود هذا البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٨/٦/١٩٩٦

فلاديمير نابوكوف بين النار الشاحبة للشرق وبين ضوء الغرب

الدكتور محمود سلامة
كلية الآداب ــ قسم اللغة الإنكليزية
جامعة البعث

الملخص

تعالج هذه المقالة موضوعاً تاريخياً وسيرة ذاتية للروائي الأمريكي نابوكوف من خلال اثنتين من رواياته وذلك للتأكد بأنه لا يزال روائياً روسياً على الرغم من تأكيداته العديدة بأنه أمريكي. في الواقع إن مسألة وضع مثل هذا الموضوع في مكانه الصحيح يتوجب الكثير من الاعتناء وإن فحص مثل هذه العلاقات بين الكاتب وحياته الاجتماعية والإيديولوجية والفكرية يظهر بدون أي شك أنه صعب. يبدو أن نابكوف مثال يحتذى للروائي الغامض والمتشتت من الداخل بين ماضيه في روسيا وحاضره الحالي في الغرب إن كان ذلك الغرب في أوروبا أو أمريكا. يظهر نابكوف من خلال رواياته أنه كاتب ينقد المظاهر الاجتماعية والأدبية بينما لا يزال يحتفظ بالروح الخيالية والحنين إلى روسيا وأيامها أثناء طفولته. يبدو أن نابكوف ومن خلال هذه المقالة لا يزال يعيش بين الغرب والشرق متنقلاً بأفكاره ونقده اللاذع لكل من الغرب والشرق وذلك من خلال بطل رواية لوليتا همبرت وكذلك من خلال الشاعر الأمريكي جون شيد.

يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الإنكليزية في الصفحات (41 - 21) من هذا العدد.

السرد القصصي والبناء الدرامي: نظرية شكسبير في الحكاية والقصة والحبكة

د. توفيق يوسف
قسم اللغة الإنكليزية ــ كلية الآداب
الجامعة الأردنية ــ عمان

الملخص

يهدف هذا البحث إلى جمع ملاحظات شكسبير عن الحكاية والقصة والحبكة من خلال استعراض شامل لأعمال الكاتب المسرحية. وبعد دراسة تلك الملاحظات ينتقل الباحث إلى تبويبها وتقسيمها إلى مجموعات تتناول كل مجموعة موضوعاً معيناً يتعلق بالسرد القصصي أو بالبناء المسرحي، أو كليهما معاً. بعد ذلك يقوم الباحث بإجراء مقارنة عامة بين آراء شكسبير وآراء معاصريه ومن سبقه من أمثال أرسطو وهورس ثم يستعرض آراء شكسبير النقدية في ضوء النظريات النقدية الحديثة. ويخلص الباحث إلى أن ملاحظات شكسبير النقدية يمكن أن تقوم بدور هام في إثراء نظريات النقد الحديثة لما تحتويه من معلومات قيمة عن السرد القصصي والبناء الدرامي.

يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الإنكليزية في الصفحات (81 - 43) من هذا العدد.

العالم كرغبة

الدلالات الباطنية للمنظور الروائي في رواية

Pride and Prejudice

الدكتور محمود خربطلي
قسم اللغة الإنكليزية ـــ كلية الآداب
جامعة اليرموك

ملخص

تمتاز كاتبة الرواية الإنجليزية Jane Austen بقدرتها على دراسة تناقضات الشخصية الإنسانية بتركيزها على العوامل التي تجعل الإنسان يغفل عن أخطائه وعيوبه. وفي روايتها الشهيرة Pride and Prejudice تعمد إلى الإيحاء الخفي لهذه الأمور عن طريق الاستخدام الذكي للمنظور الروائي فتراها أحياناً تدخل النص لتعلق على مشهد ما ونراها طوراً تبتعد عن النص تاركة القارئ ليمعن الفكر فيما يقرأ وهنا تظهر الأسس الفكرية لهذه الكاتبة. وبهذه الطريقة أيضاً تستطيع أن تحقق إنجازين هامين في فن الرواية: السخرية المسرحية والغموض الروائي.

يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الإنكليزية في الصفحات (103 - 83) من هذا العدد.

رسائل الدكتوراه والماجستير

السناد، جلال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. عادل العوا.

الموضوع: تطور السلطة الأبوية في الأسرة العربية نموذج ديرالزور.

L'evoulution de l'autorite paternelle de la famille Arab model Deir al – Zoor.

يحتل موضوع الأسرة مكاناً هاماً في الدراسات الاجتماعية، ويتضح ذلك من خلال الأبحاث الكثيرة التي ألفت في هذا الموضوع، أو في المكانة المميزة التي يمثلها موضوع الأسرة في الأنساق السوسيولوجية النظرية، وتأتي الأهمية الخاصة لهذا الموضوع من أهمية الأسرة بصفته مؤسسة أولية أو جماعية لسائر المؤسسات والجماعات الموجودة في المجتمع.

وقد تطورت الأسرة عبر المراحل التاريخية من مشاعية إلى محددة ومن ممتدة إلى نووية وقاد التغير الجديد للأسرة، وازدهار التصنيع واتساع التعليم ودخول المرأة مجالات الإنتاج ومشاركتها مادياً في تكاليف الأسرة من دخلها الشخصي الشهري من العمل، قاد إلى تفكك بنيان الأسرة الممتدة واتساقها ونظمها، وسلطتها وهيمنتها،ووظائفها إذ تحطمت أسطورة الزواج المبكر والزواج من ابن العم وتعدد الزوجات وأصبح الزواج مطلب السعادة الشخصية والتضامن والتكافل بين الزوجين كما أصبح يتم على أساس العنصر الرومانسي (الحب والجاذبية المتبادلة، واقرار المساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات، وخاصة فيما يتصل باتخاذ القرارات المتعلقة بتقرير مصيرهما المشترك. ثم إن كثرة حالات الطلاق والانفصال تدل على تطورالأمزجة والعلاقات الفردية المفتوحة التي تربط بين الزوجين معاً. ونجم عن زحف الأسرة النووية وتولى تلك الوظائف مؤسسات ومنظمات متخصصة: (الجامعات، المدارس، الجمعيات، رياض الأطفال) أن تحطم ثالوث الوظائف الأسرية الدينية والاقتصادية والقضائية، وأخذت السلطة الأبوية تنهار وتتحطم قيمها ورموزها

نتيجة التطور الذي أصاب المجتمع، وانعكس على الأسرة وأصبحت السلطة غير ذات فائدة وإطاعتها غير واجبة وفرض لازم مثلما كان في السابق، وانتشرت روح التمـرد على الأسرة ومفاهيمها وسلوكياتها ورموزها وعاداتها وتقاليدها وقيمها من قبل الأبنـاء الذين بدؤوا بتشكيل عالم خاص متفرد يتحكم هو نفسه بآلياته وتركيباته الخاصة.

هذا لباب ماعالجته الرسالة بالدقة العلمية والوضوح المرموق.

عربي كاتبي، محمد عزت، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. خالد ناصيف.

الموضوع: اتجاهات طلبة جامعة دمشق نحو مسائل الزواج وتنظيم الأسرة (دراسة ميدانية).

Attitudes des etudiants de l'universite de Damas pour les problemes du mariage et l'organisation de la famille (etude de terrain).

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على موضوع الزواج باعتباره أحد مظاهر الحياة الاجتماعية المهمة، إن لم يكن أهمها على الاطلاق، حيث تتمحور حوله منظومة من الطقوس والأعراف والعادات والتقاليد التي تسعى لتنظيمه وتحديد أشكاله واتجاهاته في إطار منظومة من العقائد والقيم السائدة في المجتمع.

ومن أبرز مظاهر عادات الزواج التقليدية: الزواج المبكر، الزواج المتأخر وتعدد الزوجات، وكثرة الأولاد، وغلاء المهور....

وغني عن البيان أن عادات الزواج وقيمه تخضع لعملية التغير التي تخضع له الثقافة وغالباً ماتبدأ عملية التغير الثقافي بالتغير الذي يتم في عمق الاتجاهات نحو منظومة القضايا الثقافية ومنها العادات والتقاليد الخاصة بالزواج. لقد بدأت بعض العادات الاجتماعية بالانحلال تحت تأثير التغيرات التكنولوجية الثقافية الجارية، وبدأت بعض القيم بالظهور على أثر اختفاء بعض القيم الاجتماعية القديمة. والسؤال المحوري الذي تطرحه هذه الدراسة هو "ماموقف الشباب الجامعيين في اتجاهاتهم نحو عادات الزواج التقليدية ومظاهرها الاجتماعية". هل يؤمن الشباب حقاً بالتقاليد الاجتماعية الخاصة بالزواج؟ هل هناك من توجهات جديدة أو قيم جديدة تتصل بعادات الزواج؟ هذه التساؤلات تشكل الإطار العام لإشكالية هذا البحث ومسألته.

بركة، خلود، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. محمد وحيد صيام.

الموضوع: فاعلية تسجيلات الفيديو في تدريس الفيزياء للصف الثالث الإعدادي (دراسة تجريبية في مدارس محافظة دمشق).

Efficacy of Video Recording in Physic's Teaching in Preparatory 3 – d Form.

يواجه طلاب الصف الثالث الإعدادي صعوبات في فهم موضوعات مادة الفيزياء التي تدرس غالباً باعتماد الطريقة التقليدية، حيث يتم شرح التجارب شرحاً شفهياً وباستخدام السبورة الطباشيرية، مما يؤدي إلى عدم قدرة الطلاب على استيعاب المفهومات والنظريات الفيزيائية.

ويهدف البحث إلى التحقق من فاعلية تسجيلات الفيديو في تدريس مادة الفيزياء،وافترضت الباحثة أن تدريس موضوعات الفيزياء باستخدام تسجيلات الفيديو أكثر فاعلية من طريقة العرض العملية، والطريقة التقليدية.

اعتمد البحث منهجاً تجريبياً مقارناً، حيث درست الموضوعات لعينة تجريبية باستخدام تسجيلات الفيديو، ولعينة ضابطة أولى بطريقة العرض العملية، ولعينة ضابطة ثانية بالطريقة التقليدية، وكشفت نتائج الاختبارات عن تفوق طلاب العينة التجريبية حيث حقق (٨٥%) من الطلاب (٥٠%) فما فوق من الدرجات، وذلك مقابل (٧٩%) من طلاب العينة الضابطة الأولى حصلوا على(٥٠%) فما فوق من الدرجات، و(٤٤%) من طلاب العينة الضابطة الثانية حصلوا على (٥٠%) فما فوق من الدرجات، كما أظهر استطلاع آراء الطلاب عن اتجاه إيجابي نحو استخدام الفيديو في التدريس، وتم تصميم مخطط نظامي للتدريس بوساطة الفيديو.

حمد، إنصاف، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

إشراف: أ.د. محمد بديع الكسم.

الموضوع: منطق جون ستيوارت مل.

J.S.Mill's Logic.

يهدف البحث إلى دراسة الكيفية التي تمت بها إعادة تقديم المنطق التقليدي عند ج.س.مل من المنظور التجريبي، خاصة وإن هذا الجانب من منطق مل قد جرى تجاهله على حساب تسليط الضوء على الجانب الاستقرائي وطرق البحث الأربعة التي ارتبطت باسمه، ويتألف البحث من مقدمة وخاتمة وستة فصول.

يعالج الفصل الأول المرتكزات المعرفية التي انطلق منها "مل" في تقديم المنطق ويتطرق إلى نظرية المعرفة التجريبية، ثم يقدم التصور العام للمنطق عند "مل" مبيناً تقدير مل للمنطق القديم، ومكانه من منطق الحقيقة عنده.

ويقدم الفعل الثاني نظرية الحدود عند "مل"، مبتدئاً بمبررات دراسة الحدود أو الأسماء كما يسميها مل. ثم يورد تقسيماتها وأنواعها: العامة والمفردة، العينية والمجردة،التضمنية واللاتضمنية، السالبة والموجبة، النسبية والمطلقة، مع إبراز أهمية معالجته للنوعين الأول والثالث.

يتضمن الفعل الثالث المقولات عند مل، أو كما يسميها: "الأشياء المشار إليها بالأسماء" لأن السماء عنده هي دائماً أسماء لأشياء وليس لأفكارنا عن الأشياء، ويقدم قائمة المقولات عند مل والمتضمنة المشاعر، والجواهر، والصفات.

ويبحث الفصل الرابع في نظرية القضايا عند مل، ويتضمن الحديث عن الرابطة ودورها والقضايا وأنواعها: السالبة والموجبة، البسيطة والمركبة، الكلية والجزئية، ثم

يتطرق إلى الفرق بين القضايا اللفظية والقضايا الواقعية، ومضمون كل منها وأنـــواع التقريرات التي تقدمها.

وأفرد الفصل الخامس لنظرية التعريف والتصنيف عند مل، إذ أنه يعـــالج التصنيـــف وعلاقته بالتسمية، والمحمولات الخمسة، ثم ينتقل إلى التعريـــــف وصلتـــه بـــالتحليل وأنواعه مبيناً أن التعريف هو دائماً للاسم، لكنه يكون مؤسساً على معرفـــــة الأشـــياء المطابقة للاسم.

أما الفصل السادس فقد خصص لدراسة الاستدلال القياسي عند مـــل، وتميـــيزه عـــن الاستقراء، متضمناً تحليل القياس، ودراسة المبدأ المؤسس عليه، ونقده، ومشيراً إلـــى قيمة القياس ووظائفه ورده إلى استدلال من جزئي إلى جزئي، والعلاقة بين الاســتنتاج والاستقراء.

وتحاول الخاتمة تقييم الآراء التي قدمها مل عن مسائل المنطق، ومقدار نجاح محاولته في إعادة ارتباط المنطق بالوقائع.

علي محمد، محمود، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ.د. فاطمة جيوشي.

الموضوع: الحرية في التربية في فكر جان جاك روسو.

Liberty in education in J.J. Rousseau's thought.

تضمنت هذه الدراسة تعريفاً بجان جاك روسو ومؤلفاته، وتحليلاً للإطار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي أحاط به، ودراسة للحرية في عصر التنوير منذ انطلاقة النهضة العلمية في القرن السادس عشر وتطوراتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وتحليلاً للحرية عند أبرز فلاسفة التنوير، وتحليلاً للحرية السياسية كما تجلت في مؤلفات روسو السياسية والاجتماعية وخاصة في "العقد الاجتماعي" حيث وضح الباحث الصلة بين السياسة والتربية وبالتالي بين الحرية السياسية والتربوية في مؤلفات روسو، ودرس الباحث فلسفة روسو التربوية والمبادئ التي توجهها. وحلل نظام الحرية في تربية اميل في حلقاته المتتالية من ولادة الطفل حتى بلوغه سن الرشد. حيث بين تجليات الحرية في الدور الأول من حياة الطفل،وتجلياتها في الدور الثاني الذي يمتد حتى سن الثانية عشرة من عمر الطفل، وتجلياتها في التربية العقلية التي تمتد من سن الثانية عشرة إلى سن الخامسة عشرة، ودرس الباحث تجليات الحرية في التربية الأخلاقية والدينية لاميل موضحاً منطلقاتها وأبعادها وجوانبها. ثم درس الباحث الحرية في تربية المرآة عند جان جاك روسو،وتناقضاته ومقدار تجليها في مفهوم الحرية في التربية، وقيمة أفكار روسو في ميدان الحرية في التربية، وأهم نقاط القوة والضعف في نظام الحرية في التربية عند روسو، أخيراً وضح الباحث أثر روسو في الفكر الفلسفي والسياسي والتربوي اللاحق له.

سباهي، أحمد، كلية التربية، قسم علم النفس، جامعة دمشق.

إشراف: أ.د. مالك مخول.

الموضوع: المشكلات النفسية المتصلة بحضانة الطفل وبالأعباء الأسرية لـدى الأم العاملة، وأثر هذه المشكلات في إنتاجها (دراسة ميدانية في معامل الألبسة التابعة لوزارة الصناعة في القطر العربي السوري).

Psychological Problems Connected with Child-Care and Family Chores Pressure Suffered by Working Mothers and the Effect of These Problems on their Productivity (Field Study on the Factories of Ready – Made wear of the Ministry of Industry in the Syrian Arab Republic).

١ــ أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

(أ) تحديد المشكلات النفسية المتصلة بحضانة الطفل لدى الأم العاملة.

(ب) تحديد المشكلات النفسية بالأعباء الأسرية لدى الأم العاملة.

(ج) تحديد العلاقة بين المشكلات النفسية (موضوع البحث) وإنتاج العاملة الأم.

٢ــ منهج البحث: استخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته، وسعيه وراء تحديد المشكلات النفسية والترابط بينها وبين الأعباء الأسرية وحضانة الطفل وكذلك في دراسة الفروق في مستوى وجود هذه المشكلات بين الأمهات انطلاقا من متغيرات محددة، وكذلك في سعيه وراء بيان أثر المشكلات (موضوع البحث) في إنتاج العاملة الأم.

٣ــ أدوات البحث:

(أ) العينة: أجريت دراسة المشكلات النفسية على سبع عينات، وبلغ عدد أفرادها ٤١٥ أما، وأجريت دراسة أثر المشكلات النفسية (موضوع البحث) في إنتاج الأم

العاملة على أربع عينات، وبلغ عدد أفرادها ٢٣٩ أماً. وقد زادت نسبة التمثيل في العينات جميعها على (١٠%).

(ب) أدوات جمع البيانات: استخدم الباحث أسلوب المقابلة في جمعه لبياناته، وذلك في خطوات البحث كافة، باستثناء دراسة العلاقة بين مستويات إنتاج العاملات ومشكلاتهن، والدراسة التبعية لأثر المشكلات في إنتاج العاملة الأم حيث اعتمدت هاتان الدراستان سجلات الإنتاج واستجابات العاملات للمشكلات.

٤ــ **النتائج:** أظهرت نتائج البحث معاناة الأم العاملة من مشكلات نفسية ترتبط بحضانة الطفل، وكذلك بالأعباء الأسرية التي تتحملها. وقد بدت المشكلات المتصلة بحضانة الطفل أكثر حدة من المشكلات المتصلة بالأعباء الأسرية.

وأظهرت النتائج تأثر إنتاج الأم من حيث سرعته وجودته سلباً في المشكلات النفسية التي تعاني منها، وكان أثر المشكلات المتصلة بحضانة الطفل في إنتاج العاملة الأم كبير الشدة، أما أثر مشكلات الأعباء الأسرية في ذلك الإنتاج فقد كان متوسط الشدة.

علي، عقل عبد الله، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ.د. صالحة سنقر.

الموضوع: مشكلات تدريس التربية القومية الاشتراكية في المرحلة الإعدادية في القطر العربي السوري.

Teaching problems of socialist national education in predatory school in Syria.

((تدريس التربية القومية في القطر العربي السوري ودوره في إعداد الجيل العربي الاشتراكي)).

إذا كانت التربية كما يراها المفكر العربي ساطع الحصري هي: أن تنشئ الفرد قوي البدن حسن الخلق صحيح التفكير محباً لوطنه معتزاً بقوميته مدركاً واجباته، مزوداً بالمعلومات التي يحتاج إليها في حياته، أدركنا الأهمية الكبيرة للتربية في كل مجتمع لأنها تعنى بالعنصر الأساسي في المجتمع وهو الإنسان ولكي يكون هذا المجتمع سليماً وقوياً وجب عليه إعداد أفراده الأعداد الذي يحقق له هذه القوة وتلك السلامة وبطبيعة الحال فان أي تنمية اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أساسها وهدفها الإنسان لأنه يمثل (عنق الزجاجة في عملية التنمية في كل مجتمع في وقتنا الحاضر......) وإذا نظرنا للتربية في ضوء الوظيفة التي تؤديها للأمة (فإننا نجد أن هذه الوظيفة تتعلق بصميم الكيان الذي تقوم عليه الأمة) أي أمة من الأمم ومن هذا المنطلق فان كل المجتمعات وحتى البدائية منها لم تترك تربية أفرادها تتجه حسب المصادفة والأهواء لأن في ذلك ضرراً كبيراً عليها وعلى كيانها بل عمدت إلى التخطيط لنوع التربية التي تريد تكوين الأفراد بموجبها واعتماد السبل والطرائق المساعدة لذلك ولما كانت أغراض التربية تختلف باختلاف المجتمعات ودرجة تقدمها والظروف الاجتماعية والدينية والسياسية التي تحكمها لحظنا تبايناً في أنماط التربية القومية بين مجتمع وآخر

ففي حين كان الغرض من التربية في الصين اعداد القادة من خلال تزويدهم بالمعارف القديمة التي تتصل بنظام المجتمع وصلات أفراده بعضهم ببعض كان الغرض من التربية اليونانية إعداد الفرد لذاته ليصل إلى درجة الكمال الجسمية والعقلية كما كان الغرض من التربية في مصر إعداد الفرد دنيوياً ودينياً... أما الغرض الأساسي في التربية الإسلامية فيتلخص بأنه ديني دنيوي معاً من خلال إعداد الإنسان المؤمن بخالقه والقادر على كسب عيشه) وهكذا نجد أن التربية تختلف باختلاف نمط الحياة الذي يسود الجماعة) أو المجتمع عبر العصور. ومع تطور المجتمعات تطورت التربية وفق النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي فوجدت التربية الإقطاعية والبرجوازية والرأسمالية والاشتراكية إذ اتفقت هذه التربية مع نمط العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة في هذا المجتمع أو ذاك وبما يحقق أهداف هذا المجتمع وفلسفته بدءاً من انتشار عصر القوميات في أوربا حتى نشوء الفكر الاشتراكي وظهور الدول الاشتراكية وبديهي أن الأمة العربية لم تكن بمعزل عن هذه التطورات لاسيما في ظل سيطرة استعمارية على مقدرات الوطن العربي وسعي العرب لتحقيق تحررهم منها وكان لابد لهم في حال كهذه من البحث عن أهم سبل تحررهم ومن هنا بدأت دعوات المفكرين العرب للوحدة العربية بوصفها الوسيلة الأهم في تحرير الأمة العربية وتصاعدت الدعوة القومية العربية مع بدايات القرن الحالي مع تعاظم حركات التحرر العربية وأصبح من الجلي لجميع هؤلاء المفكرين القوميين أن الحاجة ملحة لتربية قومية عربية تسهم في تحقيق الوحدة العربية وفي القطر العربي السوري على وجه التحديد تصدى لهذا الأمر ومنذ بداية أربعينيات هذا القرن حزب البعث العربي الاشتراكي بوصفه حزباً قومياً اشتراكياً بمبادئه وأهدافه هذا الحزب الذي بدأ نشاطاً مكثفاً منذ بدايات تأسيسه لتعزيز الحس القومي وفعل كل ما من شأنه التأسيس لوحدة عربية مستقبلية هدفها لم شمل العرب في دولة واحدة ولما كانت التربية هي السبيل لتكوين هذه المفاهيم من خلال الدور الذي تضطلع به في

إنشاء الجيل العربي القادر على تحقيق هذه الأهداف فقد حرص دستور الحزب علـــى تأكيد أهمية التعليم وجعله وظيفة من وظائف الدولة وحدها ولذا فقد ألغـــى مؤسســـات التعليم الأجنبية والأهلية كلها ولإيمانه بالدور الكبير الذي يؤديه المعلم فقد حصر مهنة التعليم وكل ماله مساس بالتربية في مرحلة التعليم ماقبل الجامعي بالمواطنين العـــرب والمتفحص لمواد دستور حزب البعث العربي الاشتراكي يتبين له تأكيدها على الطـابع القومي الاشتراكي.

علي خليل، لؤي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

إشراف: د. علي دياب.

الموضوع: الدهر في الشعر الأندلسي (عصر المرابطين والموحدين).

Time in Andalousian Poetry (Al Murabitin and Al-Muwahidin period).

لعل ارتفاع نسبة حضور الدهر في دواوين شعراء عهدي المرابطين والموحدين أن يكون هو الدافع إلى إقامة مثل هذه الدراسة، إذ كان لزاما عليها أن تجد لهذه الكثرة ما يسوغها. وقد أدى البحث عن هذا التسويغ إلى إثارة مسار آخر للبحث يحاول فيه أن يتلمس الفروق بين حضور الدهر في نصوص شعراء الأندلس أبناء الحضارة الإسلامية وحضوره في نصوص شعراء الجاهلية. وهذان المساران فرضا على الرسالة أن تتشعب في أربعة شعاب، الأول منها يحاول أن يدرس الأطر التي شكلت ظاهرة الشكوى من الدهر، إذ هي الأكثر بروزا في النصوص، فدرس الإطار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والنفسي وأطر أخرى لها تأثير خاص في الظاهرة. والثاني يحاول أن يبحث عن تجليات الدهر بين النصوص فينظر في ألفاظه ومعانيه وتردده بين المواضيع وأبرز سماته. والثالث انفرد لدراسة علاقة الدهر بالشاعر التي تكاد تنحصر بين الصراع والشكوى، وخصص الفصل الأخير لدراسة إمكانية وجود ملامح خاصة لشعر الدهر، إن صحت تسميته كذلك!

الحمادي، سعيد، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. أحمد كنعان.

الموضوع: الجوانب التربوية في شعر معروف الرصافي.

The Educational Aspects in Maarouf Alressafi's poetry.

ولد الشاعر معروف الرصافي في بغداد عام ١٨٧٥، تعلم في الكتاب، عمل معلماً في المدارس الابتدائية والإعدادية ودور المعلمين، ثم عمل مفتشاً للغة العربية، كما عمل في الصحافة. اتخذ الرصافي الشعر وسيلة لغايات وأهداف إنسانية واجتماعية وتربوية. أحب الرصافي الصراحة في القول والحرية في العمل وكانت فلسفته تنطوي على روح من السمو والصفاء والرفق والعطف على البائسين. لقد شارك الرصافي في بناء ثقافة الأجيال العربية من خلال قصائده، واهتم بمختلف مجالات التربية البدنية والعقلية والفنية والعلمية والاجتماعية والإنسانية والخلقية.

لقد تضافرت عوامل عديدة في تكوين فكر الرصافي التربوي منها: العامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. للرصافي عدد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة في السياسة والأدب واللغة والعلوم والتربية.

وقد أبرز البحث، ونتيجة تحليل المضمون، أهم الجوانب التربوية في شعر الرصافي،وكانت على النحو التالي:

التربية العلمية ١٦,٥%

التربية الفنية ١٥,١%

التربية القومية والوطنية ١٣,٨%

التربية الاجتماعية ١٣,٨%

التربية البدنية ١٢,٨%

التربية الخلقية ١٢,٢%

التربية العقلية ٩,٢%

التربية الإنسانية ٧,٣%

وانتهى البحث إلى اقتراح الإفادة من آراء الرصافي التربوية على مختلف الأصعدة.

جلطبي، ربيعة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. فيصل سماق.

الموضوع: ((صورة الأرض في رواية المغرب العربي بحث في الدلالة الاجتماعيـــة والجمالية)).

"L'image de la terre dans le Roman Maghrebin.

حاولنا في بحثنا المعنون بـــ ((صورة الأرض في رواية المغرب العربي: بحث فـــي الدلالة الاجتماعية والجمالية)) تقديم حل نظري لإشكالية العلاقة مابين الإنتاج الروائي والواقع راصدين طرق تجليات الواقع داخل الأدب الروائي،وخصصنا تحليل ذلك في مقدمة نظرية. وفي القسم الأول من هذه الأطروحة جمعنـــا صـــورة الأرض وعـــالم الريف في المغرب العربي المستعمر من خلال نصوص روائية مكتشفين حجـــم مـــا مثلته الأرض، هاجسا مركزيا في سيكولوجية الكتاب لما تجسده من وجـــود وكينونـــة الأنا، وان النماذج التي وقع اختيارنا عليها سواء أكانت في هذا القسم أم في الأقســـام الأخرى مكتوبة باللغتين (العربية والفرنسية).

وعرضت في القسم الثاني الصورة الروائية للأرض في ظـــل مرحلـــة الاســـتقلالات الوطنية لبلدان المغرب العربي، وخلصنا إلى نتائج تبين ظهور لغة أو قاموس لغـــوي جديد.

وفي هذا السياق درسنا نماذج روائية متعددة.

وتوصلنا في القسم الثالث، ((الصحراء من الكتابة بعين الآخر إلى معاناة الأنا)) إلـــى تحليل جملة من النصوص الروائية ظلت فيها الصحراء موضوعـــا ومجـــالا مغريـــا للكتابة والفن. وقد قدمت هذه الكتابات والأعمال الفنية بشكل عام المغـــرب العربـــي كصحراء يتحقق فيها الشرق الجديد.

وعرضت في القسم الرابع الأطروحة جملة من الأفكار النظرية والتطبيقية حول سلطة البصر أو العين في تشكيل صورة الأرض. فإذا كان غالبية الكتاب المغاربة من أصل ريفي، فان هذا الأصل حاضر كنداء حار للطفولة المتحركة في مجال الريــف إلا أن هذه الحركة كثيراً ماتكون فاقدة تفاصيل صور الأرض، فيكون الكاتب منطلقــاً مــن رؤية مدينية كنتيجة للقطيعة والانفصال، كما نلاحظ أن الأبطال والشخوص الروائيــة تتكلم لغة أخرى.

ثم جمعنا في الخاتمة جملة من النتائج والخلاصات والأسئلة التي تفتح المجــال نحــو بحث أو بحوث جديدة.

الأطرش، ريم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة الفرنسية.

إشراف: أ.د. راتبة سمارة.

الموضوع: دور الترجمة في تعليم اللغات الحية.

Le Rôle de la Traduction dans la Didactique des langues vivantes.

يتألف هذا الموضوع من ثلاثة أقسام:

أعرض في المقدمة منهجية البحث وعناصره ومتنه.

ـ القسم الأول: عبارة عن ثلاثة فصول، في الفصل الأول أتحدث عن أنواع الترجمة وأهدافها وهي الترجمة التربوية والترجمة المهنية. وفي الفصل الثاني أتحدث عن طرائق تعليم اللغات وعن تاريخها واستخدم الترجمة فيها، ومنها الطرائق التقليدية والشفوية والسمعية ـ البصرية والوظيفية وغيرها. وفي الفصل الثالث أتحدث عن تعلم اللغة الأجنبية وتعلم اللغة الأم.

ـ القسم الثاني: أفرده لتصنيف أخطاء المتعلم في مجال الصوتيات والصرف والنحو والثقافة ولتوضيح مدى التقارب والتباعد بين اللغة الأم واللغة الأجنبية.

ـ القسم الثالث: أطرح منظوراً جديداً في تعليم اللغات يتضمن الفصل الأول فيه العودة من جديد إلى الترجمة في الطرائق التواصلية لتعليم اللغات ثم غايات الترجمة ودورها خلال مرحلتي دراسة اللغة المبتدئة والمتقدمة بالإضافة إلى أنماط الترجمة في التعليم وتتضمن الترجمة التفسيرية (المفردات والبنى والتراكيب) والترجمة لسبر الاكتساب اللغوي (مستوى التلقي والتعبير عند المتعلم). ثم الاستعانة بتقنيات التدرب على الترجمة المهنية من أجل تعليم اللغات. وفي الفصل الثاني أقترح تدريبات في الترجمة متدرجة حسب مستويات تعليم اللغة، تهدف إلى:

(١) المساعدة على الفهم.

(٢) الرفع من مستوى التعبير.

(٣) إغناء المعارف الثقافية للمتعلم.

السويد، محمود، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية.

إشراف: أ.د. مزيد اسماعيل نعيم.

الموضوع: منهج الرازي في تفسيره الكبير لغويا ونحويا.

The Style of Al-Razi with his Grand Explaining, language and Grammatical.

تتضمن الرسالة ستة فصول، خصص الفصل الأول لحياته وعصره، فهو من مدينة الري واسمه محمد بن عمر، عاش اضطرابات عصره ومفارقاته. ولم يثنه ذلك عن طلب العلم بل خلف آثارا علمية كثيرة. وكان الفصل الثاني لمذهبه اللغوي، فقد ضبط الكلمة بذكر وزنها أو بوصف حركات حروفها او بذكر صيغتها وشرحها ذاكرا جذرها وكل ما يتعلق بها من ذكر أسباب تسميته المفردة.

كذلك اشار إلى فروق الدلالة بين المفردات المتشابهة وتأثر الكلمة بما يضح إليها وذكر بعضا من طرائق العرب وسننهم في التعبير وأوضح المعاني التي بحثها بذكر آراء اللغويين لها. ولقد فسر آيات القرآن الكريم بالرجوع إلى لغات القبائل مختارا أفصحها وأشهرها، ووجد في كتابه شروحا لمفردات قلما يرد لها معان دقيقة في كتب التفسير الأخرى. وحوى الفصل الثالث الأصول الأولى لدلالة الكلمات وتطورها والتفسير الاشتقاقي لها بالإضافة إلى موقف الشارح من الدخيل في لغة القرآن. وقد قاد هذا إلى الحديث عن تطور الدلالة من حيث التعميم والتخصيص والنقل وظاهرة المجاز لدى الباحثين الأوائل بالإضافة إلى الرازي الذي شرح الاستعارة والتشبيه والكناية وجميع علاقات المجاز المرسل.

وقد تعرض الفصل الرابع إلى منهج الرازي في السماع ومايقود ذلك إلى الحديث عن اللهجات والقليل النادر والشاذ والضرورة الشعرية وموقفه من القراءات ومدى احتجاجه بالحديث الشريف. وكذلك مذهبه في القياس.

وكان الفصل الخامس للبحث في العامل والعلة والإعراب. وقد خصص الفصل السادس لدراسة مظاهر صرفية من إدغام المثلين والمتقاربين وشؤون الهمزة في تفسير الرازي وتضمنت الرسالة خاتمة وفهارس لكل ماسبق.

الحليبي، خولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

إشراف: أ.د. عبد اللطيف عمران.

الموضوع: فن المناظرات في الترسل الأدبي في القرن الثالث للهجرة.

L'art des duels en lettres litteraires dans le troisieme siecle de l'higere.

جادل القرآن الكريم مخالفيه جميعهم، ودل خطابه لهم على مدى رقي هذا العقل المتلقي لهذا الأسلوب. ثم رافقت المناظرة مراحل العصر جميعها، وعبرت عن منعطفاته الحادة في مناحيه الفكرية والفنية كافة، ودفعت بعجلة الكثير من العلوم خطوات إلى الأمام لما تبديه من مقدرة جدلية فذة في التحليل والربط والقياس. ولم تكتف المناظرة بحدود مجالس التناظر الارتجالية بل اخترقتها لتستقر في أساليب كثير من الكتب والمؤلفات. والترسل كان أحد الأنواع الأدبية التي امتدت يد المناظرة إليها،وصورة من الصور التي حاولت التعبير من خلالها على الرغم من قوانينه الصارمة التي تبرزه كفن نثري مستقل. وهكذا جملت بعض الرسائل هذا الفن الذي عبر من خلالها عن مقدرة مؤلفيها في إبراز هذه العقلية الجدلية في تناول الموضوعات الأدبية ضمن منهج خاص تسير عليه.

المنفي، أحمد ضاهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا.

إشراف: أ.د.م. علي عبد الله الجباوي.

الموضوع: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ــ دراسة وتحقيق.

Kharidet al-Adjaib and Feridet al-Gharaib research and revision.

تتألف الأطروحة من جزأين: يضم الجزء الأول ثلاثة فصول هي:

!ــ حياة المؤلف.

٢ــ نبذة عن الواقع التاريخي، والاقتصادي، والاجتماعي لمصر وبلاد الشام في عصر المماليك.

٣ــ دراسة مخطوطة خريدة العجائب وفريدة الغرائب.

ففي الفصل الأول: أزحت الغموض الذي يكتنف شخصية مؤلف "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" سراج الدين عمر بن الوردي، وأظهرت أن بعض كتب التراجم القديمة والمعاصرة خلطت بينه وبين المؤرخ المشهور، زين الدين عمر بن الوردي،المتوفى عام ٧٤٩هـ.

وفي الفصل الثاني: تحدثت عن الواقع التاريخي والاقتصادي، والاجتماعي لمصر وبلاد الشام في زمن المماليك، حيث تمكنت التعرف على الواقع الحقيقي للمنطقة من الناحية العسكرية والاقتصادية من خلال دراسة الحملات العسكرية التي شنها المماليك، والحملات التي شنت عليهم، ودراسة أسعار الذهب، والقمح، والشعير، خلال قرن كامل وذلك بالاعتماد على ثلاثة مصادر رئيسية هي: كتاب السلوك للمقريزي. وكتاب إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ لابن حجر العسقلاني وكتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.

وفي الفصل الثالث: قمت بدراسة لما جاء في المخطوطة من معلومات إلى جانب دراسة الفكر الجغرافي عند ابن الوردي، مما أعانني على إلقاء الضوء على فكر ابن الوردي الجغرافي، أهو أصيل أم تكرار لمن سبقه في هذا المجال؟.

وفي القسم الثاني قمت بتحقيق ماجاء في المخطوطة، حيث اتبعت المنهج العلمي الذي يقوم على المقارنة بين المخطوطات، وتصحيح الألفاظ المسحقة، وتصحيح الأخطاء اللغوية الواردة في المتن، وضبط الأعلام، وترجمتها، وشرح الألفاظ الغامضة، وتعريف المواقع الجغرافية، مما أعطى نص المخطوطة الوضوح بعد إبعادي الأخطاء اللغوية التي وردت في المتن والتي كان قد وقع بها النساخ وأكسبت ترجمتي للأعلام الذين وردت أسماؤهم في مخطوطة ابن الوردي إلى جانب تحديد المواقع الجغرافية التي جاءت فيها المخطوطة وتسميتها زيادة في الوضوح، إذ يمكن اعتمادها أحد المصادر الجغرافية والتاريخية التي تتطرق إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة زمن المؤلف.

حمد، إسعاف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم الاجتماع.

إشراف: د. سليم بركات.

الموضوع: وسائل الاتصال الجماهيري ودورها في عملية التنمية الاجتماعية، دراسة ميدانية لدور الإعلام السوري في معالجة قضايا التنمية الاجتماعية.

Mass commanication and it'srole in the social development.

تتناول هذه الدراسة دور وسائل الاتصال الجماهيري في عملية التنميـــة الاجتماعيـــة عموما، ودور الإعلام السوري في معالجة قضيتين من قضايا التنمية الاجتماعية همـــا (تنظيم الأسرة ومحو الأمية) خصوصا، وذلك في خمسة فصول وخاتمة.

حاولت في الفصل الأول بيان مداخل عملية التنمية ومفاهيمها ومقوماتها ومعوقاتها.

وتحدثت في الفصل الثاني عن الاتصال الجمـــاهيري: تعريفـــه وخصائصـــه وأهـــم نظرياته.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه دور الإعلام في التنمية أي كيف يمكن للإعلام أن يؤثر في عملية التنمية.

وفي الفصل الرابع حاولت تحليل مضمون بعض المواد الإعلامية المقدمة في وســـائل الإعلام السوري (إذاعة ـ تلفزيون ـ صحافة) والمعنية بتنظيم الأسرة ومحو الأمية.

وخصص الفصل الخامس لتحليل النتائج اجتماعياً وإحصائياً.

وجاءت الخاتمة تلخيصاً لأهم نتائج البحث.

محمد الحسن، رجاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم الاجتماع

إشراف: أ. م. د. كامل محمد عمران.

الموضوع: اتجاهات الشباب في سورية نحو تنظيم أوقات الفراغ "نموذج مدينة دمشق".

The directions of the youth in Syria toward organizing free time (Damascus city pattern).

شملت دراسة "اتجاهات الشباب في سورية نحو تنظيم أوقات الفراغ، "نموذج مدينة دمشق" مدخلا منهجيا وبابين رئيسين يتضمنان معا ثمانية فصول.

وقد عرضت في المدخل المنهجي إشكالية البحث وأهميته، واستعرضت بعض الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الرسالة، ثم انتقلت إلى الباب الأول فخصصته للإطار النظري للبحث وتضمن ثلاثة فصول، تحدث الفصل الأول عن معنى الاتجاه وطبيعته ومحدداته، والفصل الثاني تناول مفهوم الشباب وخصائصه ودوره، والفصل الثالث تحدث عن معنى وقت الفراغ وخصائصه وأهميته.

أما الباب الثاني فقد كرسته للدراسة الميدانية، ويتضمن خمسة فصول، يبحث الفصل الرابع في منهج الدراسة الميدانية من خلال تحديد افتراضات الدراسة ثم تحديد المفاهيم والتعاريف الأولية وأسلوب الدراسة الميدانية وخصائص العينة، ثم الدراسة الإحصائية وأنهيت هذا الفصل بصعوبات العمل الميداني.

وبحثت في الفصل الخامس بقليل من التفصيل في تأثير المحددات الهيكلية، وفي الفصل السادس تناولت تأثير بعض المؤسسات الاجتماعية (كالأسرة، ومنظمات الشباب). والفصل السابع تحدثت بمزيد من التفصيل في أشكال تنظيم أوقات الفراغ

ووسائله، وماهي النشاطات التي يمارسها الشباب في أوقات الفراغ، وفوائـــد تنظيـم أوقات الفراغ، والعقبات التي تمنع من تنظيم أوقات الفراغ.

أما الفصل الثامن والأخير فتناول تأثير بعض الاتجاهات الأخـــرى علـــى اتجاهـات الشباب كتأثير التفوق، وإنجاز العمل، واهتمام الفرد بالصحة.

وأنهيت البحث لعرض ماتوصلت إليه الدراسة من نتائج، وأخيرا المقترحات.

16. The Madwoman in the Attic: The Woman Writer and the Nineteenth Century Literary Tradition (New Haven: Yale Univ. Press, 1979), P.142.

17. Gilbert and Cubar, P.143.

18. Newton, P.73.

Received 22-11-1990.

NOTES

1. Jane Austen," in Jane Austen: Acollection of Critical Essays, ed. Ian Watt (Englewood Cliffs: Prentice-Hall, Inc. 1963), P. 23.

2. Jane Austen, Pride and Prejudice (New York: Dell, 1959), P. 27. All Subsequent references to this novel will be taken from this edition, and page number will be cited in parentheses in the text.

3. See his "Introduction" to pride and prejudice (New York: Dell, 1959).

4. Wayne Booth, "Control of Distance in Jane Austen's Emma," in his The Rhetoric of Fiction (Chicago: Univ, of Chicago Press, 1961). P.255.

5. Peter L. P·rger and Thomas Luckmann, The Social Construction of Reality: A Treatise in The Sociology of Knowledge (New York: Anchor, 1967), P.29

6. Berger, P.29

7. Berger, P.30

8. Light and Bright and Sparkling: Irony and Fiction in Pride and Prejudice, "in Jane Austen: A collection of Critical Easays, P.71.

9. Women, Power and Subversion: Social Strategies in British Fiction, 1778-1860 (1981, New York: Methuen, 1985), P.79.

10. Newton, P.79.

11. Newton, P.81. (The emphasis is mine)

12. Newton, P.81

13. The Rhetoric of Fiction, P. 225.

14. Jane Austen and Her Art (Oxford: Oxford Univ, Press, 1939),P.163.

15. Jane Austen and Her Art, P.163.

an end to conjectures; thus, she has the last word whereby she exercises her authority of omniscience, "He [Wickham] bore with philosophy the conviction that Elizabeth must now become acquainted with whatever of his ingratitude and falsehood had before been unknown to her"(PP.280-81).

The truth is out. Elizabeth, after all, has been right, but only by chance. This is the essence of Austen's comedy, laced as it is with scepticism and cynicism. Her characters live in a world, benevolent and fartherly, where mistakes are not only tolerated and laughed at,but they turn out good, where hasty self-willed judgments prove correct and where dreams, seeing the light of day, come true. But such a conception of the world comes about only after sustaining smoothly and, as it were, naturally the delicate balance of dramatic irony and mystery, after allowing the cynical reader the amusing advantage of seeing Elizabeth blunder in a struggle between her desire and reality without ever coming to a full knowledge of herself, all this being achieved by Austen's control of point of view.

(i.... he has been profligate in every sense of the word. That he has neither integrity nor honour. That he is false and deceitful, as he is insinuating" (P.285). Such categorical judgment is unwarranted by the available evidence. Wickham's falling reputation drags down all aspects of his character and serves to show the fickleness of public opinion. However, the narrator is doing her job. No matter how uncertain Wickham's share of responsibility is, he begins to fall, in our esteem, and Darcy rises steadily, although what he does to save the family from any long-lasting shame springs from his overpowering love for Elizabeth Bennet and not from any genuine sentiments of benevolence. Now we are ready to believe that in the past Wickham was more of an offender than a victim, more to blame than to pity.

More testimony follows to settle the question. This comes in a conversation between Elizabeth and Wickham in the wake of which the narrator delivers her perfectly-timed exposition. Paradoxically, it is Wickham who brings up the subject, as if he himself were seeking some form of explication and self-renunciation and Elizabeth takes it up and pursues it a little bit too assertively, speaking, as she says, from authority. Consequently,Wickham is exposed. He concedes one point after another until finally with Elizabeth's hand offered in patronizing reconciliation he kisses it affectionately, though hardly knowing "how to look" (P.328). He has apparently earned his absolution,and we have seized our much-needed evidence. This is when the mystery begins to clear up, but we still have our own misgivings. After all, Mr. Cardiner describes Darcy as "sly" (P.324) in his handling of the Wickham / Lydia case, and his now-expected proposal to Elizabeth is tantalizingly delayed for reasons to be known later on, a fact, which fills Elizabeth with apprehension. But the proposal comes in time and the wedding is now settled. Elizabeth is to become the mistress of Pemberley, and her dreams are to be fulfilled, it is at this point that the narrator speaks, putting

eulogy which seems to contradict what «we know of the man. But Elizabeth's mind works in another direction, "What praise is more valuable than the praise of an intelligent servant" (P.254)? Who has said anything about Mrs. Reynolds' intelligence? Would a servant, particularly an "intelligent" one, speak ill of her master in front of total strangers? Besides, a servant is more likely to tolerate her master's idiosyncracies due to her inferior position, financial pressures, and the force of habit. Sober Mr. Gardiner attributes the laudation to "family prejudice" (P.253), and the narrator to pride or attachment" (P.252). Mrs. Reynolds, however, claims that she says "no more than the truth, and what everybody will say that knows him" (P.252). In the context of the novel, she is somehow wrong. Is it really true that he is misunderstood because he does not rattle like other people? At the beginning of the novel, he rattles uncivilly and unabashedly about Elizabeth while standing within earshot from her, and with Miss Bingley he is equally imprudent. So, the housekeeper's testimony is to be held suspect, and particularly so because her praise is often hyperbolic, often phrased in the superlative, "I am sure I know none so handsome" (P.251), "If I was to go through the world, I could not meet with a better" (P.252),"... he was always the sweetest-tempered,, most generous-hearted boy in the world" (P.252). This last judgment, specifically, is refuted by what he himself says about his childhood. Thus, although Pride and Prejudice seems to unfold in two opposite directions, one nullifying all of Elizabeth's prejudices, and the other emphasizing the morally efficient power of love, a careful study of point of view would resolve the apparent ambivalence, revealing the masterfully-maintained balance of dramatic irony and mystery.

But such balance is to give way gradually to the novelistic resolution. The elopement works against Wickham without throwing much light on the past because here Lydia is equally culpable. But, unlike Jane, Elizabeth, still persisting in self-willed convictions, takes the incident as further proof of her opinion that

comfortable. At the end of the novel he outlines his own history,portraying himself as selfish, proud, overbearing, and egoistic in spite of all the good principles he imbibed in his childhood. By extolling him, Elizabeth is bowing to the demands of her vanity and the exigencies of her vulnerable self. Moreover, her comments give permanence to her subjective restructuring of the world. Wickham, hearing all this, is greatly alarmed and discomfited. Although his responses could hint at his apprehension that Elizabeth may have had access to the whole truth' other interpretations undermine our conclusion, since he might be sensing that he is losing an admirer to his old enemy, a loss which endangers his vanity. This is especially true because he tries to "engage her in the old subject of his grievances" (P.242), but it is she who checks his attempt, a move which betrays her fear of what may be the whole truth in opposition to her subjective reality. Her blindness refuses to give up, and the reader never rests assured of the whole matter. On the contrary, he feels that her critical mind is submitting to her will to believe, that her "self" is driving back all forces that may threaten its autonomy.

So, from his prestigious position the reader looks at Elizabeth,amused at her wilful assumptions. The dramatic irony and the mystery still persist, going hand in hand. Her blindness continues and is shown at pemberley. It is true that her pride, one force in the painful dialectic within her, makes it difficult for her to go into the estate before ensuring that the family is not at home, but once there, she is taken by the beauty of the sublime landscape, a fact which reveals her romantic spirit and also her worldly ambitions. She sighs in regret, "And of this place. I might have been mistress" (P.250). But she soon saves herself from regret by checking her fantasies, though in retrospect, when everything is settto her advantage, she cannot underestimate the influence of Pemberley, which is now to become another factor in her blindness. Mrs. Reynolds offers the test in her ardent eulogy on her master, a

granted everything he has said in his letter and who still regrets that "had she chosen it, she might by this time have been presented to her (Lady Catherine") as her future niece" (P.21). This attitude is Elizabeth's defens'e mechanism against a reality that, after all, may be harshly antagonistic, for what chances does she have of ever seeing Darcy again? And nothing in the world would make her act by conscious design. Her desire may be great, but her pride remains strong. She has to live in the throes of an agonizing dialectic without suffering a breakdown. Hence, the need arises for some mutual concessions as the occasion requires, with the least permanent damages. The self has to manage its own affairs the best it can. This is the form of its autonomy.

And the narrator has to manage the affairs of her house of fiction by maintaining its formal balance "of dramatic irony and mystery the longest she can. While Elizabeth continues to believe what she has willed to be true, the narrator delays her direct exposition of the facts, though she relies on certain clues that gradually help us to build a case against Wickham, but never conclusively because other possibilities linger in the background. For example, when Wickham, now discarded by Miss King, tries to reinstate himself in Elizabeth's favor, she repugns him from a sense of pride, refusing to be a mere toy in his hands, and also from a desire to avenge her wounded vanity. And there is no better way to convey her message than to sing Darcy's praise, though succinctly and even cryptically. Although "Darcy improves on accquaintancc" (P.41), he remains the same "inessentials" (P.41). Such commendation is greatly the offspring of her new bias. In essentials Darcy, as everyone knows,is proud. It is difficult to draw the line between his, and, for that matter, anybody's, character and behavior, between essence and manners. The testimony of the narrator and the experience of most of the characters underline this opinion, as we have seen,despite his professed excuse that he improves on getting to know people because he overcomes his reserve and feels more

"(P.219),metonymically of "her Darcy." Her desire is still working in disguise.

As Sandra M. Gilbert and Susan Guber argue with respect to Northanger Abbey, one can say that as the narrator withdraws gradually from Pride and Prejudice, Elizabeth sets out on a story of her own making. She ceases to be a character in a fictional work and becomes "the heroine of her own life story... (Able to author herself, and thereby define and control reality."[16] If the terror of a gothic story "results when a woman is made to disregard her personal sense of danger, to accept as real what contradicts her perception of her own situation,[17] the case of Elizabeth is just the opposite. She embraces as real her own sense of reality that proves to be more or less beneficial, but only at the hands of a benevolent narrator, a sense that bears an affinity with Coleridge's primary imagination, "the living Power and Prime Agent of all human Perception." She wakes up and finds it true. And it is this sense that defuses and mollifies Darcy, who has all the making of a gothic hero: arrogant, rigid, overbearing, manipulative, and egoistic. But all this takes place with Austenian irony that accords well with her comic view of the world, for it is the manipulation of the narrator that by saving Elizabeth makes her the mistress of pemberley and "essentially an Austen fantasy, a fantasy of power."[18] But this has to wait, and in the meantime Elizabeth has to realize that she is in the realm of probability, and, for that matter, lost opportunity.

Elizabeth, thus, has reconstructed the world for any future contingency. For the present, she has to be on her guard lest she should fall into naive optimism or painful remorse. For this reason,her feelings towards Darcy vary. Sometimes she blames him, sometimes herself, "His attachment excited gratitude, his general character respect; but she could not approve him; nor could she for a moment repent her refusal, or feel the slightest inclination ever to see him again" (P.222). It is very difficult to understand these sentiments coming from a woman who has just taken for

In the light of available facts, though not of subjective fiction-making, Elizabeth's reaction is exaggerated, overflowing its objective correlative. She grows "absolutely ashamed of herself of neither Darcy nor Wickham could she think, without feeling that she had been blind, partial, prejudiced, absurd" (P.218). Then she concludes, "How despicably have I acted!..... How humiliating is this discovery! Yet how just a humiliation..... Till this moment, I never knew myself" (P.218). Such feelings are all praiseworthy, but she fails to see through them, to pose them as objects to be scrutinized. She feels justly ashamed because she unconsciously wants to as a justification of what may follow. Until this moment she has not known herself only in one sense. In another sense she may be now as ignorant of herself as ever. She has swung from one pole of prejudice to another. This is perhaps Jane Austen's conception of the victory and autonomy of the self. This is her view of the primacy of desire over intellect, hence the impossibility of a really reasonable judgment. Reason becomes, thus, not an actual presence but an aspiration and a goal. And, if desire did not have its way it would wreck Elizabeth's self, creating havoc and stifling equanimity. Her suffering is as much needed as her "discovery." The former changes the self in what amounts to a catharsis, the latter changes reality. She is, thus, saved. Blake comes readily to mind in his proverbs on desire, "He who desires and acts not,breeds pestilence," and "Sooner murder an infant in its cradle than nurse unacted desires." The germ of thought for both writers may be the same, but the approach is different. One is a cautious, ironic observer, the other, an impassioned, revolutionary worshipper of the new god. And we have to read the novel with the spirit of the writer, to borrow one of Pope's dicta. So, after Elizabeth has constructed reality according to her desire, her personal mood is one of settled reconciliation with the whole world, but also of looking forward to the future as it might have been and as it still may be. Colonel Fitzwilliam is "no longer an object" (P.219) to care about. She can think only of "her letter

credence and that it would embarrass her anyway. One may also suspect that he would be able to get confirmation from his cousin due to the kind of relation that exists between them. With all this barred from Elizabeth's mind, Wickham is categorically indicted and his past conduct thrown into a new perspective. She is struck by his impropriety and indelicacy in revealing the affair to a stranger, by the inconsistency of his professions with his behavior,by his avoiding Darcy and spreading the matter only after his opponent has left the neighborhood. All of this, of course, is circumstantial. It is wish-fulfilling speculation made to carry the personal conviction of truth, of Elizabeth's will to believe.

The reader, by extricating himself from the web of novelistic sympathy can see what Elizabeth is blind to, her own "self." It seems that Jane Austen had her theory of literary decorum where the mode of writing determines the mode of reading. Her ironic narrative calls for amused, critical reading where aesthetic distance is maintained. This is required of Austen's reader in connection with the Darcy/Wickham case. At best, the contest is a draw, but Elizabeth turns it into a great victory for Darcy. Mary Lascelles sees the whole episode as contrived with the "author" acting as Deus ex machina. "anxious to get on with the story."[14] She adds,"And perhaps it may be the same pressure that hastens Elizabeth's complete acceptance of its [the letter's] witness."[15] The implication is that such a change cannot be accepted in terms of reason and sound judgment. However in Elizabeth's opinion she has managed to do all this with the light of reason, while, in fact, she has constructed everything in accordance with the dictates of her desire, or, to put it in another way, as her unconscious mind deems fit. This is the gist of Elizabeth's encounter with the self, with interiority. Her "self" is too muddled and too overwhelmed by desire to be able to sort out available facts to get to the truth. But Elizabeth is blind to all this. Her desire has taken over the governance of her "self".

acquitting him. There being no witnesses in her defendant's favor no "substantial good" (P.216) in him, and no evidence to refute Darcy's charges, she endorses her plaintiff's position. The question is would she find evidence to acquit Darcy if she considered him guilty in the first place? Thus, from an either/or attitude to Petitio principii she muddles unconsciously the whole matter, thinking that she is being rational. For example, Colonel Fitzwilliam, whose testimony is invoked in Darcy's letter, proves in Elizabeth's view to be by default an invaluable witness on his cousin's side since, as she ponders, she has "no reason to question" (P.216) his character. But she seems to have forgotten her late convictions and some of the most illuminating points about this 'character witness.' In hinting at Georgians's being troublesome and watching Fitzwilliam's reaction, she has been convinced that she has got "pretty near the truth" (P.196). Moreover, Fitzwilliam endorses her opinion of Darcy's stubborn manipulation of the people around him, though he attributes the tendency to human nature without denying his cousin's means which enable him to exercise it more forcefully. Besides, Fitzwilliam's confession of dependence gives him vested interest in the case and makes him an untrustworthy witness. Ironically, in justifying a poor man's pursuit of wealthy women he is more capable to plead for Wickham, "Our habits of expense make us too dependant, and there are not many in my rank of life who can afford to marry without some attention to money"(P.195). If Colonel Fitzwilliarm, the younger son of Lord- cannot afford that, Wickham should rest his case. His inconstancy is, a fortiori, solidly justified.

But Elizabeth- is arguing to believe not to arrive at truth. Consequently, she easily concludes that Darcy would not have referred her to' Colonel Fitzwilliam if he had not been assured of corroboration, an inference which can very plausibly be reversed undermined. Darcy would not have referred her to his cousin if he had not presumed that the reference would have an appearance of

also very subtly. We know what Elizabeth does not know even about herself, but still we do not know the whole truth.

Elizabeth's rising interest in the letter leads to her several perusals and to her revised evaluation of the situation, past and present. That her bias is still high can be seen from her reaction to the first case. Darcy 's account of the Bingley Jane affair she finds difficult to accept, although here he relates what has been talked about throughout the novel, especially in relation to Jane's reserve and the status of the family. The reader here cannot but feel Elizabeth's irrationality, and that's why he begins to break loose from her. Elizabeth's blindness notwithstanding, when she rereads Darcy's account of the Wickham issue with, as the narrator tellingly points out, "What she meant to be impartiality" (p215), she is seized by a tumult of emotions. She grows astonished, apprehensive, and horrified, all arising from a sense, hesitant at first but rapidly solidifying, that Darcy is, of at least may be, right. Like Jane in London, Elizabeth realizes that it is "impossible not to feel that there was gross duplicity on one side or the other" (P215). But feeling does not suffice for Elizabeth. If it did, the reader would not have to quarrel with her. Instead, she, refusing to suspend her judgment, engages in a hodgepodge of argumentative gimmicks and ratiocinative maneuvers. This, too, induces the reader to check his credulous inertia and to question his own premises by questioning the validity of her 'ratiocination.' It is true that the contest cannot be settled conclusively one way or the other in the absence of the omniscient narrator, but this in itself is illuminating under the circumstances. All that Elizabeth has at this point is Darcy's word and behavior against Wickham's. At present Darcy's behavior is hardly more favorable than his opponent's, except perhaps in the scale of Elizabeth's vanity, and that's why his word gains weight and substance, though the evidence is scanty. She readily feels that the affair is capable of a turn. Then taking Darcy a word for granted, she assumes Wickham guilty and dallies at

stroke of luck. If to these factors we add Elizabeth's vanity, we can understand her emerging interest in the letter. Darcy has frequently tickled her vanity in several ways, the proposal and the letter being major notes in this respect. As Reuben A. Brewer argues, "The conversations have been skilfully shaped to prepare us for Elizabeth's revised estimate of Darcy, for her recognition that Darcy regards her differently, and for her consequent 'change of sentiment' toward him." Elizabeth, however, is not fully aware of the change in her. At best, her new affection has been only subliminal, for her protestations during the heated proposal scene and her initial doubts after reading the letter manifestly testify to her strong aversion. Jane Austen here is embarking on an insightful probing of the working of the human subconscious. Elizabeth could be independent and even somehow rebellious, she could be critical of Charlotte for accepting Collins, but only within the limits that define her historical condition as a woman. Thus, as Judith Lowder Mewton argues Elizabeth's rebelliousness is greatly qualified, and her conservative homage for male power remains considerable,"Despite her intelligence, wit, and critical energies,she cares too much about male regard. As she herself is aware, after reading Darcy's letter, it is her vanity, her vulnerability to the good opinion of men, that has blinded her both to Darcy's character and to Wickham's."[9] with all this in mind, we are in a better position to detect, though not to condemn, "Elizabeth's qualified resistance to Darcy"[10], and her "unthinking vulnerability to male approval."[11] Thus, it might be partly true that "the multiple ironies which have characterized the first two thirds of the novel are suddenly dropped,"[12] but a more important irony is being woven, for here what seems to be in the making is a perfect balance of mystery and dramatic irony. This is Jane Austen's triumph as a novelist. It might be easy to sustain mystery, as Booth observes, "Mere mystification has been mastered by so many second rate writers."[13] And dramatic irony is not difficult to achieve, but Austen has been able to orchestrate an artistic harmony of both very smoothly, but

reason his proposal backfires though the feelings it expresses are sincere. Darcy does not appreciate that "in the face-to-face situation the other is fully real"[5] and he fails to receive and react to "the plenitude of symptoms of subjectivity present" in the situation. This is the form of His egoism. In a letter he can speak without being interrupted, questioned, and watched for non-verbal signs. Moreover, a letter has a better appearance of authenticity, an authority of credibility, ironically he has elected a mode of communication where, generally speaking, it is easier to sustain a lie and to prolong misunderstanding. Theoretically"... misinterpretation and 'hypocrisy' are more difficult to sustain in face-to-face interaction than in less 'close' forms of social relations."[7]

Above all, a letter has a permanence denied to spontaneous conversation, it can be pored conversation, and this is what Elizabeth does. Why she reads it with an "eagerness "(P.214) and "impatience" (P.214) that cloud her comprehension, in spite of her deep prejudices and nagging doubts, arouses our suspicions. Her unconscious mind seems to entertain other opinions. Offensive as Darcy seems to be in vilifying her family, she somehow unconsciously senses that there is a great amount of truth here. She herself has come to recognize the vulgarity of her younger sisters and mother. The Netherfield party she experiences the pangs of truth" To Elizabeth it appeared, that had her family made an agreement to expose themselves so much as they could during the evening, it would have been impossible for them to play their parts with more spirit, or finer success"(p120). She often blushes in embarrassment and endeavors to cover up her family's vulgarity. Equally important to our understanding of Elizabeth's interest is the fact that Wickham is now to be excluded from her sphere of affection, and for all her defense mechanisms she cannot forget very easily the insult he has dealt her. Darcy, therefore, is greatly aided by circumstances, and he wins his battle partly by a sheer

withdrawn. She is left to indulge in defence mechanisms. His motive is the lady's money not her person. Besides, she has never been in love with him, and their marriage would under the present circumstances be imprudent. In this way Elizabeth fortifies her vanity. With all this in the background, one may see that the timing of the visit to Hunsford is very significant. Darcy's impassioned declaration comes at a time when Elizabeth's prospects of marriage are very poor and even non-existent," In vain have I struggled, it will not do. My feelings will .not be repressed. You must allow me to tell you how ardently I admire and love you" (P.200). In brief, love has beaten his reason after a long battle.. Eros has won the day. Although the insult is too blatant for any spontaneous acceptance, she cannot deny that her vanity has been greatly flattered, ".... it was gratifying to have inspired unconsciously so strong an affection" (P.204). Her rancorous rejection taking him by surprise, his response is consequently too emotional and incoherent to make a lasting effect on her.

Thus, the letter of the next day, delivered in open nature outside the authority of conventional houses, gains added importance. As a form of communication, it is greatly illuminating. Firstly, it reflects a selfish concern for a forceful presentation which Darcy owes to his honor and reputation, as he says, even if in doing so he is likely to hurt Elizabeth's feelings. Secondly, it shows a respect for Elizabeth's opinion. Thirdly, it betrays his realization that he has failed at self-justification during the face-to-face confrontation, his avoidance of which reveals a mind which does not feel at ease with people, an opinion which he himself expresses. Thus, he and Wickham are set against each other in this regard. The latter shines in conversation and is very convincing in this rhetorical mode, whereas Darcy, as we have seen, is prone to get so emotionally indecorous as to offend his audience brazenly. For example, he snubs Miss Bingley, who tries to put on a show of intimacy with him while he is writing a letter to his sister. And for the same

equally capable of retaining them, is less certain" (P.111). But Darcy's refusal to pursue the matter seems to fix our convictions about the innocence of one and the guilt of the other. And, when Miss Bingley advises Elizabeth against Wickham's charges, we side with the authorial delegate and in unison admonish the supercilious woman, "Insolent girl . .. you are much mistaken if you expect to influence . . . [us] by such a paltry attack at this ...... [We] see nothing in it but your own wilful ignorance and the malice of Mr. Darcy" (P.114).

Booth argues in connection with Emma that Jane Austen sacrifices dramatic irony for mystery, and he comments that for many readers this choice is "the weakest aspect of this novel." In Pride and prejudice Austen has mystery in mind, but only partially. She apparently prizes this "detective" element of her fiction, though one may argue that for a critical reader the general tone of the nove: and the main drift of its plot seem to admit of both mystery anc dramatic irony. However, what is at stake here is the reader's minc and by extension the human mind. By being reticent on Wickham's "real" background, the narrator seems to humor the reader's dispositions, gratify his wishes, and compliment his "sound" judgment, only to smash them all and ridicule his self-complacence with the subsequent peripeteia. Thus, Pride and Prejudice proves to be richer and more complex than what has been hitherto assumed. Man's mental constitution is the target as Elizabeth is humiliated for her blindness. And Jane Austen, by withdrawing her narrator,has more in store for her reader, as we shall see later.

For blindness, though sometimes a prophet's is, in Austen's opinion, man's fate. Elizabeth and Darcy meet again at Hunsford after some important changes have taken place. Bingley has moved to London and decided to settle there for some time, thus severing his relation with Jane. But of more importance is the breach in Wickham/Elizabeth relation. Wickham is now pursuing a rich lady, and consequently his attentions to Elizabeth are

between him and Darcy, at which both change color, one turning white the other red. However, Wickham easily gains the hearts of all the ladies, including Elizabeth, who becomes his most outspoken devote being captivated by his numerous talents,especially by his conversational charm. She feels that "the commonest, dullest, most threadbare topic might be rendered interesting by the skill of the speaker"(P.95).

Wickham's rhetorical power is soon put to the service of what seems to be a just disclosure of Darcy's cruelty, but, before we are given any glimpses of its true nature, toward the end of the novel,what evidence do we have as readers or does Elizabeth have as a character to believe him? The narrator is silent here and consequently we are left to 'grope for the truth in the dark. Elizabeth, whose feeling for Darcy is still fragile and shallow,snatches at this slanderous report against a man who has slighted her cold-bloodedly and got away with it,though,admittedly, we all believeit because we have been shown the malicious power of wealth and social position. Additionally, the message is carried to our hearts and to Elizabeth's by Wickham's apparently genuine protestations of suffering, to say nothing about his glamor and cogency. Thus, due to the silence of the narrator to the already offered statements about Darcy's pride, and to the belief that the narrator has delegated her authority to Elizabeth, we soon embrace Wickham's story and fully understand why at the Netherfield party, "Attention, forbearance, patience with Darcy,was injury to Wickham" (P.108). Resolved against any conversation with Darcy, Elizabeth "turns away with a degree of ill-humor,which she could not wholly surmount even in speaking to Mr. Bingley, whose blind partiality provoked her" (P.109). In short,she is "determined to hate" (P.l09) Darcy, to stifle whatever regard she has for him, even against Charlotte's advice and his cautioning comment, "Mr Wickham is blessed with such happy manners as may ensure his making friends--whether he may be

her subtlety is at its finest and her irony at its cruelest. The case most directly affected, almost moulded, by her method is the triangle of love formed by Elizabeth, Darcy, and Wickham,particularly as the woman's emotions take root, grow,and undergo change. This love triangle definitely constitutes the shaping principle of the novel, informing both its plot and theme. That Elizabeth's early prejudice against Darcy is well-founded is attested by his general conduct, his remarks at the Meryton assembly, and the narrator's statement, "He was ... haughty,reserved, and fastidious, and his manners, though well bred, were not inviting"(P.39). This is a judgment of character and of behavior. However, on seeing her more frequently, Darcy gradually begins to appreciate her charms, though he is torn between love and social values, two basic influences that alternately claim his soul's allegiance, until he, feeling "the danger of paying ... (her) too much attention" (P.38), abnegates his passion for his class deity. Elizabeth's attitude softens after the great concern he shows her, and the change, sincere as it is, fails at this stage, to develop beyond amusement or mild regard. Even these are too frail to take root. Toward the end of her stay at Netherfield she looks forward to her return, rejoicing "in the hope of being at home again in a day or two" (P.74).

Such is the state of things between parcy and Elizabeth when Wickham makes his impressive appearance. Collins has already aroused new emotions and concerns as to keep the Darcy/Elizabeth relation somehow in the background for the time being. Wickham soon brings it to the foreground. He has more direct impact on the relation partly because, unlike the self important person, he has all the bearing to emulate Darcy for Elizabeth's heart. It is here that the control of distance becomes significantly functional, for beyond a mere description of what physically happens we are denied any flashback on Wickham's character and history. No sooner do we first see him than we are cast into the mystery of the encounter

by moulding, or at least by influencing, his attitude from the very beginning. However, this narrative technique is suddenly checked,for what follows is a domestic scene shown dramatically with no interference on the part of the narrator except at the end when she gives, in addition to some factual information, some comments easily inferable from the text. Such a method is significant because it suggests to the reader that the narrator's perspective is akin to his, a suggestion which by repetition grows to a conviction.

Such technique is carried further with the introduction of Elizabeth Bennet, whose opinions frequently carry great weight as they are corroborated by facts and by the narrator. The case of Collins illustrates what I mean. Judging from his letter, Elizabeth, shocked by Collins' "extraordinary deference for Lady Catherine, and his kind intention of christening, marrying, and burying his parishioners wherever it were required" (P.84), observes' that he is "an oddity" (P.84) and that "there is something very pompous in his stile" (P.84). She then wonders if. He could be "a sensible man"(P.84). To all this the father agrees, and the opinion is borne out by the text of the letter itself, and then by the narrator herself who echoes her two "reasonable" characters with, of course, the addition of factual information not accessible to them, "Mr. Collins was not a sensible man" (P.89). His upbringing and early fortune under the patronage of Lady Catherine de Bourgh "made him altogether a mixture of pride and obsequiousness, self-importance and humility" (P.90). In this way, Elizabeth seems to pose as her creator's fictional mouthpiece, so that when later on the narrator begins to withdraw from the work, with the moments of silence becoming more recurrent and longer and the comments scarcer and scantier, we may look for Elizabeth to guide or confirm our interpretation, snugly trusting to our simplistic assumptions.

It is at this point that the control of point of view begins to serve the writer's thought, her subversive undercurrent of meaning. Here

Speculating on what Jane Austen could have achieved had she lived longer, Virginia Woolf says, "She would have devised a method, clear and composed as ever, but deeper and more suggestive, for conveying, not only what people say, but what they leave unsaid; not only what they are, but ... what life is".[1] Speculation left aside, one may still see that a great deal of meaning in Jane Austen is submerged under a placid surface, that she already has a method of suggesting the deeper strata of the self. One aspect of her method is the control of point of view. The case of Pride and Prejudice is very illuminating in this respect. Although the novel seems to instruct the protagonist in the classical virtue of rational judgment based on self-knowledge and the supression of passion, there is an undercurrent of cynicism. The novel suggests with savage irony and by a masterful control of the narrative point of view that desire remains the motive force governing understanding when appearances bespeak the opposite, that at the moment of self-discovery the protagonist is plunged into another phase of self-ignorance, that, in short, the classical dictum "Know thyself" is an impossibility.

The range of the narrator's role in the novel is delineated in the first chapter. The opening paragraph suggests the kind of close reading required to appreciate Austen's novel. It combines the irony of the "universally acknowledged truth"[2] with tautology, since "a single man" must be "in want of a wife" (p27). The second paragraph is both an elucidation and a comment on reality. The truth is "so well fixed in the minds of the surrounding families, that... such a man is considered as the rightful property of some one or other of their daughters" (p27). Here is one of a large number of commercial images which, as Mark Schorer argues, pervade Austen's novels. The metaphor underscores a paradox of acquisitive society. Moreover, it serves to restructure reality for the reader. Jane Austen, by passing judgment on the mores of her world, puts it in a critical perspective, in this way she starts to manipulate the reader

The World as Desire The Thematic Undertones of Point Of View in Pride and Prejudice

Dr. Mahmoud Kharbutli
Department of English – Faculty of Letters
Yarmouk University

Abstract

Jane Austen's subtley cannot be overemphasized, and she does not lack the means to put it into effect in her attempt to speak her mind not only about human nature but also about life itself. In her well - known novel pride and prejudice Jane Austen makes use of point of view to achieve her purpose in this respect. By varying narrative distance she manages to suggest that the classical dictum "know thyself" is a virtue rarely, if ever, reached. At the very moment of what seems to be self - discovery, the protagonist slips into another phase of self - ignorance. What directs this process is man's desire, the need to mould and see the world in a way that would alleviate frustration and expedite self - appeasement.

11. See in particular Robert Scholes, Structuralism in Literature (New Haven and London: Yale University Press, 1974), p. 80 see also Jonathan Culler, Structuralist Poetics (London, Mlebourne and Henley: Routledge and Kegan Paul, 1975) pp. 205-224.
12. For more on Genette's concepts see Wayne C. Booth. The Rhetoric of Fiction (Chicago & London: The University of Chicago Press, 1983), pp. 437-441 2nd ed. First Published 196
13. Shlomith Rimmon-Kenan, Narrative Fiction: Contemporary Poetics (London: Methuen, 1983), P. 121.
14. R. S. Crane, ed. Critics and Criticism (Chicago: The University of Chicago Press. 1963), p. 66. First published 1952.
15. Shlomith, Narrative Fiction, P. 34.
16. The idea of linear, -unidirectional time is traditionally associated with Heraclitus and repetitive, circular time with Nietzsche and Borges.
17. Quoted by Shlomith, Narrative Fiction, P. 53.
18. See Percy Lubbook, The Craft of Fiction (New York: Viking Press, 1963). First published 1921; see also Booth. Rhetoric of Fiction.
19. Madeleine Doran, Endeavours of Art: A Study of Form in Elizabethan Drama (Madison: The University of Wisconsin Press, 1964), p. 260.
20. Madeleine Doran, pp. 260-261.

Received 3-6-1996.

Notes

1. See in particular J. W. H. Atkins, English Literary Criticism: The Renaiscence (London: Methuen, 1947), pp. 246-254; E. C. Pettet, "Shakespeare's Conception of Poetry," Essays and Studies 3 (1950), pp. 29-46; David Kleing The Elizabethan Dramatists as Critics (New York: Philosophical Library 1963) pp. 243-305; Kenneth Muir, Shakespeare the Professional and Related Ideas (London: Heinemann, 1973), pp. 22-40; Anne Righter, Shakespeare and the idea of the Play (London: Ohatto & Windus, 1962); B. L. Joseph, Elizabethan Acting (Oxford: Oxford University Press 1964); Ekbert Faas, Shakespeare's Poetics Cambridge: Cambridge University Press. 1986).
2. Atkins, p. 246.
3. The Winter's Tale, V, I, 28-29. All quotations from Shakespeare's plays are from William Shakespeare: The Complete Works, ed. Peter Alexander (London & Glasgow: Collins, 1960). Subsequent references to this edition will be indicated in my text.
4. A critical commonplace in Shakespeare's time apparently drawn from Horace's Ars Poetica.
5. Faas. Shakespeare's Poetics. p. 15.
6. See Faas, p. 15.
7. Sir Philip Sidney, "An Apology for Poetry," Elizabethan Critical Essays, Vol. I, ed. G. Gregory Smith (London: Oxford University Press, 1964), p. 164. 2.,vols. First published 1904.
8. Sidney, pp. 172, 189, 199.
9. Edwin Muir, The Structure of the Novel (London: 1928), p. 16.
10. E. M. Forster. Aspects of the Novel (London: Penguin, 1974) p. 87. First published 1927.

own and are largely in line with modern narratology and dramaturgy. Indeed, they may ultimately prove to be indispensable to modern and contemporary poetics, particularly reader-oriented studies and audience-response theories. It may perhaps sound amazing to say that most of modern techniques such as foreshadowing, flashback, anticipation, ellipsis, retrospection, suspense, selectivity, telling, showing, unity and continuity, etc. can easily be traced back both in theory and in practice to as far back as Shakespeare and even earlier to Homer, Aristotle and Horace. Above all, Shakespeare's conception of the inextricable relationship between storytelling and playmaking will remain one of the great landmarks in the history of poetics.In the final analysis, "playmaking, involves a special restructuring and a careful reorganization of the raw material offered initially by a "tale" or a "story". And by the same token, dramatic plotting is subsumed within the more inclusive idiom of "storytelling". In this way "playmaking,," and "storytelling" become inextricably intertwined and "plot" (originally a feature of "playmaking") becomes also a feature of "storytelling" side by side with "tale" and "story".

Undoubtedly, Shakespeare is not trying to put forward a theory. Nevertheless, the informative passages cited in this paper indicate orimply that something valuable is being said about the nature and characteristics of the terms under discussion and of the relationship between them.

begins at the beginning and proceeds straight through in chronological order until the end."[19] Indeed, the examples she gives from Shakespeare's practice are telling enough.[20]

In the speeches of several prologues, epilogues and choruses we sense the genial co-operation between the audience and the play, when we find the playwright using the greatest part of these speeches to introduce the audience to the world of the play by providing them with the general or specific antecedents that may be indispensable for their understanding of what happens in it. On the other hand, some pieces of information are held back from the audience presumably to maintain the audience's interest and to give them a more active role in the dramatic performance. Before the action of Troilus and Cressida begins, the audience has already been given hints about the background to the Trojan War but the anxious spectators of Pericles have to wait for some time before they are able to know the hero's fate.

Othello's speech about the stories he had been telling to the infatuated Desdemona (Othello, I, iii, 128-169) unmistakably demonstrates Shakespeare's theory and practice of good storytelling. Briefly speaking, Othello's life story includes strange and striking events recounted from beginning to end, one after another in a strictly sequential order. The reciprocal co-operation between Othello and Desdemona, the narrator and the listener, leads to the success of the narrative. As Othello wins Desdemona's attention and sympathy by his moving stories, so does Desdemona become the originator and the mover of the narration by her curiosity and attentiveness.

The foregoing discussion clearly demonstrates Shakespeare's genuine interest in the art of storytelling from its most primitive stage to its highest level of refinement and sophistication where the primitive tale and the sequentially-ordered story are taken over by the causal and intellectual plot. Actually, almost all Shakespeare's views and ideas about storytelling and playmaking are distinctly his

a long period of treating the text as an autonomous object, has recently begun to stress the mutual relation between the text and the reader and to give greater importance to the reader's response to literary works.

In practice, Shakespeare, as well known, often borrowed the material of his plays from different kinds of tales, chronicles and stories, historical and otherwise. He is also well known for the free use he made of his sources in that he usually modified, supplemented or changed his source material to suit his own artistic and rhetorical purposes. Quite often, the original tale or story was not well plotted and Shakespeare had to make some selection, pruning, addition and restructuring to turn narrative or historical material into dramatic presentation. In Julius Caesar, for instance, the playwright telescopes the month between February 15 and the Ides of March (March 15) into 8 single day. And in Pericles, where dramatic presentation modulates between "narration" and "action", he compresses the events of a fourteen-year gap between Acts III and IV in a limited number of lines. Similarly, in The Winter's Tale, the sixteen-year lapse between Acts III and IV is summed up in scarcely a dozen lines of narrative before reverting to a "scene" or "action" pace for the rest of the play. Moreover, in most of his plays Shakespeare achieves greater complexity by the intermixture of fictional characters and situations and material adapted from the source. Even more Characters and situations carried over from one work to another sometimes unergo a radical change, obviously to fit the particular artistic conception of the new work. The Antony of Julius Caesar, who is hardly compatible with the figure of Antony and Cleopatra, is a good case in point.

On another level, Shakespeare does not always follow the in medias res beginning to which he refers in one of his plays. Though there are cases where the action begins at a later stage in the events such as The Tempest and Troilus and Cressida, a typical Elizabethan play, as Madeleine Doran had observed, "generally

employing the wonderful sagacity of which he is master, by filling up these vacant spaces of time with his own conjectures' and then leave him 'a space of twelve years' in which to exercise his talents."(17) The same technique is now frequently repeated by modern poetics under the new labels of "omission" and "ellipsis". Actually, when Shakespeare asks the audience to fill up the blanks in the story, he seems to be not only trying to defend his own dramaturgy but also advocating a basic principle that should be manipulated, if need be, particularly when there is a long story duration.

Moreover, Gower's remark about "action" not conveniently conveying what has been told by him in a few lines contains a very significant observation about what modern narratology may refer to as "acceleration" and "deceleration" of pace in storytelling. In modern terms, Gower is saying that "narration"' takes him only a short space in the text to relate a long period of story-time whereas "action" takes him a long space in the text to present only a short period of story-time. In fact, this disparity between the decelerated pace of action" and the accelerated pace of "narration" has its modern equivalents in such dichotomies as "scene" vs. "summary" or "showing" vs. "telling" theme that has been extensively discussed by a host of modern critics most notable of whom are Percy Lubbock and Wayne Booth.(18)

In the area of reader's or audience's response Shakespeare's remarks stress the importance of the reciprocal co-operation between the narrator and hearer, the play or the playwright and the audience. The remarks refer to the features of the narration process and emphasize the importance of providing some information and the necessity of holding back some pieces of information. Above all, they underline the significance of filling up some unavoidable gaps in the story - a process that requires the full co-operation, the active participation of the audience. Undoubtedly, such an attitude is congruent with the new orientation of modern poetics which, after

Shakespeare's conception of the characters of a story, especially historical stories, as if they were real people greatly resembles the "realistic" approach to character whose best and perhaps extreme example is A. C. Bradley, who treated Shakespeare's characters as if they were our neighbours and friends. However, Shakespeare's mimetic theory of character is diametrically opposed to modern semiotic theories whose "purist" approach almost denies character modelled on a traditional view of man and treats character as a "performer" or as an "agent" subordinate to action."(15) Although the remarks dealing with characters in a story may reveal that Shakespeare conceived of character as an integral constituent of a story, they do not elaborate on the main elements we now associate with characterization.

Time is not only a recurrent theme in Shakespeare's works, it is also considered a constituent factor of story and plot alike. The remarks referring to the chronological order of story and its overall continuity point to a linear time with one event following another in a unidirectional order. On the other hand, the remarks hinting at circular action suggest that Shakespeare viewed time in a story as being circular as well, i. e. events turning full circle, repetition within irreversible change(16).

In modern terminology the in medias res technique mentioned in passing in one remark results in a discrepancy between the chronological or natural order of story and the "artificial" order of plot. Consequently, a play begins at a point in the story before earlier events of the story have been introduced. Again, there are no further details about the possible advantages of such a device or of the possible effects emanating from it.

When Shakespeare, assuming the mask of Time or Chorus, speaks of time-gaps in the story that have to be filled up by the audience, he is actually stressing a major technique in storytelling and playmaking reiterated later by Henry Fielding when the narrator in Tom Jones "makes a point of giving the reader 'an opportunity of

(or fable) as the narrated events in their chronological order, and plot (or sujet) as the narrative in its logical and intellectual order[11].

However, in some respects Shakespeare's views may seem at variance with modern critical theory. Apart from the difference, between the Anglo-American conception of story and plot (to which Shakespeare's views belong) as compared with Genette's three levels of histoire, récite and narration,[12] there is a clear difference regarding the resolution at the end of a literary work. As we have seen, Shakespeare's remarks refer to a more or less definitive solution which makes sense of the work as a whole. Such a view is somewhat opposed to the argument put forward by "deconstructionalists" which stresses the perpetual oscillation between various possibilities instead of a definitive closure at the end of a literary text:

> Some texts (mainly modern) seem designed so as to prevent the formation of any 'finalized hypothesis' or overall meaning by making various items undermine each other or cancel each other out, without forming neatly opposed possibilities. This phenomenon, highly cherished by post-structuralists (or deconstructionalists), is referred to as 'undecidability' or unreadability' and taken to be characteristic of literature at large.[13]

Unfortunately, Shakespeare does not speak of the various types of plot possible such as Aristotle's simple and complex plots or crane's plots of action, of character, and of thoght.[14] Nor does he deal with his own main plot and sub-plot or the multiple plot, all of which he is the undisputed master. He does not even say anything about the features of what may be called "circular" plot except in the oblique hints he makes in Edmund's and Cassius's remarks in King Lear and in Julius Caesar as referred to earlier.

The allegiance of story to life-likeness and to truth as suggested by the remarks we have discussed marks a preliminary step towards plot, for story already presents events selected largely in accordance with a simple narrative logic that discards a great deal of irrelevancies and impossibilities. A plot, consequently, is a further sifting and a more rigorous selection and arrangement of appropriate events in accordance with the rules of intelligence and good construction. Thus, if story is seen as the raw material of a play and as one step higher than the tale, plot is viewed not only as the organizing principle (the story or tale as artistically told), it is also the most refined form of dramatizing or telling a tale or a story. And if tale or story presents events from beginning to end in their sequential order, plot plunges in the middle of the story and develops or "grows" according to the needs of rigorous selection and careful construction.

Such views are not really different from those we often encounter in modern narratology. "The term plot," writes Edwin Muir, "designates for everyone ... the chain of events in a story and the principle which knits it together."(9) And for E. M. Forster, a story is " a narrative of events arranged in their time-sequence" while plot is "also a narrative of events, the emphasis falling on causality."(10) Obviously, Shakespeare had distinguished between story and plot more or less in the same way Forster and Muir, among many others, did after him except perhaps that Shakespeare was referring to the story of a play while the others were dealing with story in a novel or in narrative fiction and adheres to a chronological order of presentation, Shakespeare was actually drawing attention to a basic difference between the two terms, which is obviously similar not only to Forater's and Muir's views but also to the principles of modern critical theory worldwide. As well known, both Anglo-American criticism and the bulk of modern European poetics, especially Russian Formalists, see story

plot as a maze was then a commonplace(5). Moreover, Ben Jonson discussed the nature of dramatic plot in terms of protasis, epitasis and catastrophe and described the ideal plot as one which "being compos'd of many parts ... beginnes to be one, as those parts grow, or are wrought together."(6) Earlier, Sidney had talked of the difference between poetry and history in more or less Aristotelian terms and in a way which recalls Shakespeare's later comments on the relationship between history and playmaking.(7) Sidney had also referred to the alluring effect of tales, distinguished between "reporting" and "representing" and condemned the then common violation of the three unities as a gross absurdity.(8) But despite all this, Shakespeare's views are characterized by their dissent from rather than their allegiance to Renaissance critical theory. Indeed,they are distinctly his own and mark an obvious advance on what had been expressed before.

To recapitulate, let us review the main points in our discussion trying to see them in the light of modern critical theory, especially narratology, and to illustrate a few examples from Shakespeare's own dramaturgy.

Apparently, the critical remarks we have surveyed cover a wide-ranging area of storytelling stretching from the old tale. passing through the more advanced story and ending with plot, the most complex form of both narrative and dramatic arts.

Taken as a whole, the remarks point to Shakespeare's deep awareness and understanding of both storytelling and playmaking. They suggest that the tale is the most primitive, the most ancient form of storytelling and show that both tale and story are two forms of narrative with the main difference being that the one is often unbelievable and untrue while the other is frequently believable and true. They also indicate how tale and story become identical on some occasions and can, consequently, be used interchangeably.

IV

General Discussion and Conclusion

Undoubtedly, some of the remarks we have considered are reminiscent of classic literary theory as laid down first by Aristotle and later by Horace. Indeed, Aristotle's conception of the nature and the constituent elements of dramatic plots like Horace's injunction of ab ovo beginning for historical narrative and in medias res beginning for literary plots, were commonplace in Shakespeare's time. Apparently, Shakespeare was aware of those views and concepts and sometimes drew upon them when expressing his own. Nobody reading Shakespeare remarks outlined above can fail to recognize the parallels between Shakespeare's views about the beginning, the development, the ending and the construction of dramatic plot and Aristotle's ideas on the magnitude, the duration and the unity of a tragic plot and between them and Horace's time-sanctioned precept of plunge in the middle of the action. Nevertheless, Shakespeare's flexible and often oblique hints are distinct from Aristotle's formulae and Horace's dictums. Nor can the reader fail to discern the affinity between Aristotle's distinction between poetic plots and historical narrative and Shakespearels observations on the relationship between a historical story and a dramatic plot. But despite their treating almost the same subject, Shakespeare's remarks address different and new aspects of this old dichotomy, stressing in particular the merits and demerits of historical factualism and dramatic presentation and pointing to the inevitable gaps in the literary narrative as well as the two contrasting, though complementary techniques of "narrating" and "presenting" events.

Of course, other critics and writers of the Elizabethan period discussed such matters as the structure and unity of dramatic plot. As Ekbert Faas has pointed out, to describe the nature of a dramatic

For 'tis your thoughts that now must deck our kings,
Carry them here and there, jumping o'er times,
Turning th' accomplishment of many years
Into an hour-glass; for the which supply,
Admit me Chorus to this history,
who, prologue - like, your humble patience pray
Gently to hear, kindly to' judge,' our play

(Henry V, prologue, I, 28-34)

11. Prologue and epilogue: Both the prologue and the epilogue are super fluous appendages. However, a prologue may be used to introduce a play and to enlist the imaginative cooperation of the audience, and an epilogue may be added to enhance the success of a good play:

And wonder what they were and to what end.

Their shallow shows and prologue vilely penn'd.

(Love's Labour's Lost, V, ii, 304-305)

___Belike this show imports the argument [i. e. plot] of the play.

Enter Prologue.

___We shall know by this fellow: the players Cannot keep counsel, they'll tell all.

___Will 'a tell us what this show meant?

___Ay, or any show that you'll show him. Be not asham'd to show, he'll not shame to tell you what it means.

(Hamlet, III, ii, 135-141)

If it be true that good wine needs no bush, 'tis true that a good play needs no epilogue. Yet to good wine they do use good bushes; and good plays prove the better by the help of good epilogues.

(As You Like It, Epilogue, 3-6).

Last scene of all,
That ends this strange eventful history.
(As You Like It, II, vii, 163-164)

Here our play has ending.
(Pericles, V, iii, 103)

Pat! He comes like the catastrophe of the old comedy.
(King Lear, I, ii, 128)

Jack shall have Jill
Nought shall go ill.
(A Midsummer Night's Dream, III, ii, 461-462)

Our wooing doth not end like an old play:
Jack hath not Jill.
(Love's Labour's Lost, 862-863)

This day I breathed first. Time is come round,
And where I did begin there shrill I end;
My life is run his compass.
(Julius caesar, V, iii, 23-25)
The wheel is come full circle; I am here.
(King Lear, V, iii, 174)

Now take upon me, in name of Time,

To use my wings, Impute it not a crime

To me or my swift passage that I slide

o'er sixteen years, and leave the growth untried

Of that wide gaps, since it is in my pow'r

To overthrow laws and in one self-born hour

To plant and o'erwhelm custom.

....

Your patience this allowing,

I turn my glass, and give my scene such glowing

As you had slept between.

(The Winter's Tale, Iv, i, 3-17)

For 'tis your thoughts that now must deck our kings,

Carry them here and there, jumping o'er times,

Turning th' accomplishment of many years

Into an hour-glass.

(Henry V, I. Prologue. 28-31)

10. A play's ending: The ending of a play should contain an appropriate resolution which should not be dependent upon a last-minute surprise or an external coincidence as in the catastrophe of the old comedy. A play's ending may or may not be conventional: The wicked are not invariably punished and the good are not necessarily rewarded. By the end of the play events come full circle like the circular movement of Fortune's wheel:

... which is more

Then history can pattern, though devis'd

And play'd to take spectators.

(The Winter's Tale, III, ii, 33-35)

9. Time gaps: Since no story can be told without some omissions, time gaps may occur especially when dealing with long periods of time. Again, the audience are expected to fill in the gaps in the story by drawing upon their imagination, by receiving a summary of main events or simply by accepting the convention itself:

Be attent

And time that is so briefly spent

With your fine fancies quaintly eche.

(Pericles, III, Prologue, 11-13)

Only I carry winged time

Post on the lame feet of my rhyme;

Which never could I so convey

Unless your thoughts went on my way.

(Pericles, IV, i, Gower, 47-50)

I do beseech you

To learn of me, who stand I' th' gaps to teach you

The stages of our story.

(Pericles, IV, iv, Gower, 6-8)

entirety-factually and life-size. In such a case, the story has to be modified to give it a suitable "pattern" or shape and the audience's co-operation is essential for the success of the play:

But pardon, gentles all,
The flat unraised spirits that hath dar'd
On this unworthy scaffold to bring forth
So great an object. Can this cockpit hold
The vasty fields of France? Or may we cram
Within this wooden 0 the very casques
That did affright the air at Agincourt?
O, pardon! since a crooked figure may
Attest in little place a million;
And let us, ciphers to this great accompt,
On your imaginary forrces work.
(Henry V, I, Prologue. 8-18)

I humbly pray them to admit th' excuse
Of time, of numbers, and due course of things.
Which cannot in their huge and proper life
Be here presented.
(Henry V, V, Prologue, 3-6)

Those that come to see

Only a show or two, and so agree

The play may pass, if they be still and willing,

I'll undertake may see away their shilling

Richly in two short hours.

(Henry VIII, 19 Prologue. 9-13)

A play there is, my lord, some ten words long,

Which is as brief as I have known a play;

But by ten words, my lord, it is too long,

Which makes it tedious; for in all the play

There is not one word apt, one player fitted.

(A Midsummer Night's Dream, V, i, 61-65)

7. Presentation of events: The incidents of a play may be presented either through "action" or by "relat [ing]" them. "Narration" of some events may be an apt and convenient device in dramatic presentation:

I nill relate, action may

Conveniently the rest convey

Which might not what by me is told.

(Pericles, III, Gower, 56-57)

8. Treatment of a historical story: In presenting on the stage a story derived from history, it is impossible to present the story in its

But it was ... an excellent play, well digested
in the scenes, set down with as much modesty as
cunning. I remember one said there were no sallets
in the lines to make the matter savoury, nor no
matter in the phrase that might indict the author
of affectation; but call'd it an honest method, as
wholesome as sweet, and by very much more handsome
than fine.

(Hamlet, II, ii, 430-438)

And, I hope, here is a play fitted.

(A Midsummer Night's Dream, I. ii, 57)

6. Length and duration: A play should not be too long; it often contains events lasting two hours or so. A play can be both "brief" and "tedious" just because the parts are not "well fitted" or because the plot is not well proportioned:

___ ... it wants a twelvemonth an' a day,
And then 'twill end.
___That's too long for a play.

(Love's Labour's Lost, V. ii, 865-866)

Is now the two hours' traffic of our stage.

(Romeo and Juliet, I, Prologue, 12)

Two truths are told,

As happy prologues to the swelling act

Of the imperial theme.

(Macbeth, I, iii, 126-128)

A kingdom for a stage, princes to act,

And monarchs to behold the swelling scene.

(Henry V, I, Prologue, 3-4)

The dignity of this act was worth the audience,

of kings and princes.

(The Winter's Tale. V, ii, 77-78)

5. Constructing a play: A careful selection of appropriate events that fit the overall structure is essential in playmaking. Events should be probable and convincing and arranged in their suitable order. Scenes should be well-structured. Simplicity and naturalness are recommended and exaggeration should be avoided:

... starting thence away

To what may be digested in a play.

(Troilus and Cressida, I, Prologue, 28-29)

If this were play'd upon a stage now.

I could condemn it as an improbable fiction.

(Twelfth Night, III, iv, 121-122)

Knock at his study, where they say he keeps

To ruminate strange plots of dire revenge.

(Titus Andronicus. V, ii, 5-6)

Unfortunately, the rest of the remarks dealing with what we may call plot is not made directly through using the word plot but. Often occurs indirectly through the references to playmaking or storytelling in general. The following points, therefore, are a continuation of the aforementioned ones:

3. Beginning a play: In plotting a play, it is suggested, a playwright begins in the middle of the story and then takes the audience back to the beginning:

... our play

Leaps o'er the vaunt and firstlings of those broils,

Beginning in the middle.

(Troilus and Cressida, I, Prologue, 26-28)

4. Developing a play: A play, it is implied, should develop and move forward to its planned end. The plot should be of sufficient magnitude, capable of growth and development:

If he come not, then the play is marr'd; it goes

not forward, doth it?

(A Midsummer Night's Dream, IV, ii, 5-6)

It a purpos'd thing, and grows by plot.

(Coriolanus, V, iii, 122)

Plots have I laid, inductions dangerous.

(Richard III, I. i, 32)

Who cannot be crush'd with a plot?

(All's Well That Ends Well. IV, iii, 302)

Chief architect and plotter of these woes.

(Titus Andronicus, V, iii, 122)

As thou hast lent me wit to plot this drift.

(The Two Gentlemen of Verona, II, vi. 43)

2. Expectation and suspense: Plotting, it is indicated, involves rousing expectations and suspense:

... a good plot ... and full of expectation; an
excellent plot.

(1 Henry IV, II, iii, 19-20)

Thoughts tending to ambition, they do plot
Unlikely wonders.

(Richard II, V, v. 18-19)

But here must end the story of my life.

(The Comedy of Errors, I, i, 138)

Let me end the story.

(Cymbeline. V, V, 286)

III

Plot: Storytelling and Playmaking

1. Definition: In its literary sense, the word plot seems never to occur alone in shakespeare's works. Instead, it is invariably used with the dual meaning of a plotted stage play and the shrewd plotting of a historical action; in other words, a scheme plotted like a tragedy. The obvious implication, therefore, is that plot means the careful arrangement of the events and action (i.e. tale or story) of a play:

But mine is made the prologue to their play;

For thousands more that yet suspect no peril

Will not conclude their plotted tragedy.

(2 Henry VI, III, i, 151-153)

Why, my lord of York commends the plot and the general course of the action.

(1 Henry IV, II, iii, 22-23)

Our bending author hath pursu'd the story.
(Henry VIII, V, Chorus, 2)

Let us from point to point this story know,
To make the even truth in pleasure flow.
(All's Well That Ends Wel, V, iii, 318-319)

My lord, you told me you would tell the rest,
When weeping made you break the story off.
(Richard II, V, ii, 1-2)

... our humble author will continue the story.
(2 Henry IV, Epilogue, 27)

I'll hear you more, to th' bottom of your story,
And never interrupt you.
(Pericles, V, i, 163-164)

Why, here begins his morning story right.
(The Comedy of Errors, V, i, 355)

... now he begins the story.
(Othello, IV, i, 130)

This to hear
Would Desdemona seriously incline;
But still the house affairs would draw her thence;
Which ever as she could with haste dispatch,
She'd come again, and with a greedy ear.
Devour up my discourse. Which I observing,
Took once a pliant hour, and found good means
To draw from her a prayer of earnest heart
What I would all my pilgrimage dilate
Whereof by parcels she had something heard,
But not intensively.
(Othello, I, iii, 145- 155)

7. Chronology, continuity and consistency: A story is a continuous and consistent whole, with no digression from the main story line. It has a sequential order that traces events from beginning to end:

Her father lov'd me, oft invited me;
Still questioned me the story of my life
From year to year -the battles, sieges, fortunes,
That I have pass'd.
I ran through, even from my boyish days
To th' very moment that he bade me tell it.
(Othello, I, iii, 128-133)

A jest's prosperity lies in the ear

Of him that hears it, never in the tongue

Of him that makes it.

(Love's Labour's Lost, V, ii, 849-851)

... Which, part of it, I'll waste

With such discourse as, I not doubt, shall make it

Go quickly away ___ the story of my life.

(The Tempest, V, ii, 302-304)

This story shall the good man teach his son.

(Henry V, IV iii, 56)

6. Expectation and suspense: A story should contain the elements of expectation and suspense, thus making the hearer eager to know while holding back some information from him:

I long

To hear the story of your life, which must

Take the ear strangely.

(The Tempest V, i 312-314)

But what art thou whose heavy looks foretell

Some dreadful story hanging on thy tongue?

(3 Henry VI, II, i, 43-44)

4. Subject or theme: A story is viewed as having a theme or a subject to deal with:

Well, honour is the subject of my story.

(Julius Caesar, I, ii, 92)

... and the contents on the story.

(Cymbeline, II, ii, 27)

5. Audience's response and co-operation: A story, it is indicated, requires a storyteller and an audience or hearer whose reciprocal co-operation is indispensable to the success of the narrative. A story can have far-reaching effects on the audience and can be used to please, to teach, to induce, etc.:

And if thou tell'st the heavy story right,

Upon my soul, the hearers will shed tears.

(3 King Henry VI, I, iv, 160-161)

That book in many's eyes doth share the glory

That in gold clasps locks in the golden story.

(Romeo and Juliet, I, iii, 92-93)

When on my three-foot stool I sit and tell

The warlike feats I have done, his spirits fly out

Into my story.

(Cymbeline, III, iii, 89-91)

A woman's story at a winter's fire,
Authoriz'd by her grandam.
(Macbeth, III, iv, 64-66)

There was a lady once - 'tis an old story.
(Henry VIII, II, iii, 80)

3. People or characters: Characters or people in a story can be similar to people in real life, i.e. life-like:

Think ye see
The very persons of our noble story
As they were living; think you see them great,
And follow'd with the general throng and sweat
Of thousand friends.
(Henry VIII, I, Prologue, 25-29)

Thus far, with rough and all-unable pen,
Our bending author hath pursu'd the story,
In little room confining mighty men,
Mangling by starts the full course of their glory.
(Henry VIII, V, Chorus, 1-4)

___It is true.

(Measure for Measure, I, iv, 29-30)

... which makes her story true ....

(All's Well That Ends Well, IV, iii, 54)

... that former fabulous story.
Being now seen possible enough, got credit,
That Bevis was believ'd.

(Henry VIII, I, I, 36-37)

But all the story of the night told over,
And all their minds transfigured so together,
More witnesseth than fancy's images,
And grows to something of great constancy,
But howsoever strange and admirable.

(A Midsummer Night's Dream, V, i, 23-27)

... and go read with thee
Sad stories chanced in the times of old.

(Titus Andronicus, III, ii, 82-83)

Would well become

Vouchsafe to those that have not read the story
That I may prompt them.
(Henry V, V, Prologue, 1-2)

Think ye see
The very persons of our noble story
As they were living.
(Henry VIII, I, Prologue. 25-27)

When with his solemn tongue he did discourse
To love-sick Dido's sad attending ear
The story of that baleful burning night.
When subtle Greeks surprised King Priam's Troy.
(Titus Andronicus, V, iii, 81-84)

That's on some shallow story of deep love:
How young Leander corss'd the Hellespont.
(The Two Gentlemen of Verona, I, i, 21-22)

2. Credibility: A story is generally used to refer to plausible, convincing and true events. It is also occasionally used to designate some fabulous, unbelievable events just like those in the old tale:

___Sir, make me not your story.

9. Truth and Credibility: A tale may be true and credible especially if it tells the story of a person's life:

Who tells me true, though in his tale lie death,

I hear him as he flatter'd.

(Antony and Cleopatra, I, ii, 95-96)

Then speak again - not all thy former tale,

But this one word, whether thy tale be true.

(King John, III, i, 24-25)

II

Story: Storytelling

1. Definition: In its literary sense, the term story is used in Shakespeare to refer first, to factual or realistic details, especially in the form of an account of a person's life, a dynasty's or a nation's history and second, to imaginary events:

I long to hear the story of your life

(The Tempest V, I, 312)

But here must end the story of my life.

(The Comedy of Errors, I, i, 138)

And in this harsh world draw thy breath in pain,

To tell my story.

(Hamlet, V, ii, 340-341)

___0 thou art deceived. I would have made it short....

(Romeo and Juliet, ii, iv, 94-96)

Mark now, how a plain tale shall put you down.

(1 Henry IV, 11, iv, 247)

___An honest tale speeds best being plainly told.

___Then plainly to her tell my loving tale.

(Richard III, IV, iv, 358-359)

8. Continuity: A tale is a narrative whose success depends immensely on its continuity. Interruption or digression can harm a successful tale:

But art not thou thyself giddy with the fashion too,

that thou hast shifted out of thy tale into telling me

of the fashion?

(Much Ado About Nothing, III, iii, 129-130).

That no man enter till my tale be done.

(Richard II, V, iii, 37)

if you trouble him any more in's tale ....

(The Tempest, III, ii, 46)

To stale't a little more.

(Coriolanus, I. i, 87-90)

... as tedious as a twice-told tale

Vexing the dull ear of a drowsy man.

(King John, III, iv, 108-109)

6. Traditional formula: A tale often has a common pattern more or less true of all tales:

I could match this beginning with an old tale.

(As You Like It, I, ii, 105)

Like the old tale, my lord: 'It is not so, nor 'twas

not so; but, indeed, God forbid it should be so!

(Much Ado About Nothing, I, i, 186-188)

7. Brevity and simplicity: A short, brief tale is generally preferable to a long, tedious one and a plain, simple tale is more convincing than a complicated, tiresome one:

I will be brief, for my short date of breath

Is not so long as is a tedious tale.

(Romeo and Juliet. V, iii, 228-229)

___Thou desirest me to stop in my tale against the hair.

___Thou wouldst else have made thy tale large.

Like an old tale still, which will have matter to rehearse, though credit be asleep and not an ear open.

(The Winter's Tale, V, ii, 59-60)

If he be credulous and trust my tale,

I'll make him ----

(The Taming of the Shrew, IV, ii, 67-68)

5. Repetition: A tale is intrinsically repetitive and there can be many variants of the same tale. Repetition is often detrimental to the tale, making it tedious and boring:

... as an old tale new told

And, in the last repeating, troublesome,

Being urged at a time unseasonable.

(King John, IV, ii, 18-20)

Then he was urg'd to tell my tale again,

(Richard III, vii, 31)

For I will make him tell the tale anew.

(Othello. IV, i, 84)

I shall tell you

A pretty tale. It may be you have heard it;

But, since it serves my purpose, I will venture

And ere thou bid good night, to quit their griefs
Tell thou the lamentable tale of me,
And send the hearers weeping to their beds.
(Richard II, V, i, 43-45)

I could a tale unfold whose lightest word
Would harrow up thy soul ....
(Hamlet, I, V, 15-16)

That aged ears play truant at his tales,
And younger hearings are quite ravished.
(Love's Labour's Lost, II, i, 74-75)

And by relating tales of others' griefs
See if 'twill teach us to forget our own?
(Pericles, I, iv, 2-3)

4. Oral medium: A tale is basically something to be told and heard rather than read and written. It is an oral medium whose success depends on the narrator's voice and the audience's attentiveness:

Come, mistress, you must tell's another tale.
(Othello, V, i, 125)

The superstitious idle-headed eld

Redeiv'd, and did deliver to our age,

This tale of Herne the Hunter for a truth.

(The Merry Wives of Windsor, IV, iv, 35-37)

3. Effect: A tale can exercise a great effect upon the hearer, making him happy, sad, sympathetic, frightened, etc. It can also be a means of amusement and consolation:

I think this tale would win my daughter too.

(Othello, I, iii, 171)

And pray, and sing, and tell old tales ....

(King Lear, V, iii, 11)

My death's sad tale may yet undeaf his ear.

(Richard II, 11, I, 16)

Make my, aunt merry with some pleasing tale.

(Titus Andronicus, III, ii, 47)

Pray you sit by us,

And tell's a tale.

Merry or sad shall't be?

(The Winter's Tale, I, ii, 22-24)

Strong suspicion.[3]

.... and both as light as tales.

(A Midsummer Night's Dream, III, ii, 133)

Were it but told you, should be hooted at

Like an old tale.

(The Winter's Tale, V, iii, 116-117)

... it is a tale

Told by an idiot, full of sound and fury,
Signifying nothing.

(Macbeth, V, v, 26-28)

2. Origin: The tale, it is here suggested, is a primitive narrative that originated in ancient times when primitive man used to sit round the fire to recount marvellous, remote and fanciful events to amuse himself and to while away the long winter nights:

In winter's tedious nights sit by the fire

With good old folks, and let them tell thee tales
of woeful ages long ago betid.

(Richard II, V, i, 40-42)

This act is as an ancient tale new told.

(King John, IV, ii, 18)

Although Shakespeare did not deliver a prose exposition of how he wrote his works or of how he conceived of literature, there is a great number of remarks put into the mouths of his characters which may shed great light on the writer's craftsmanship and art. As a matter of fact, critics of different persuasions(1) have for long been hunting for and studying the myriad critical remarks in Shakespeare's works with a view to establishing a Shakespeare's critical theory which may, in the words of J. W. H. Atkins, "form a valuable counterpart to that contained in Aristotle Poetics."(2) Though these critics have contributed some illuminating and almost comprehensive studies of the critical remarks and hints in the Shakespearean scholarship which appears to be amenable to further exploration and that is Shakespeare's conception of storytelling and its relationship to playmaking. My approach to this subject is first to discuss the remarks on tale, story and dramatic plot and then to move on to consider the views they contain from the perspective of classical and modern poetics. The terms "tale", "story" and "storytelling"-are here used interchangeably and the two words "Plot" and "Playmaking" occasionally merge with the more general word "storytelling,".

Tale: Storytelling

Shakespeare's remarks about the tale may be summed up in the following points:

1. Definition: There is no clear-cut definition of this term but a possible definition can be pieced out from the below-mentioned remarks. A tale, they seem to suggest, is a narrative of unreal unconvincing events, something untrue, not to be taken seriously. It is not interested in telling the truth which makes it insignificant, even despicable:

> This news, which is call'd true, is so like
>
> an old tale that the verity of it is in

Storytelling and Playmaking: Shakespeare's Remarks on Tale, Story and Plot

Dr. Tawfiq Yousef
English Department
University of Jordan

Abstract

This paper deals with the critical remarks in Shakespeare's works relating to tale, story and plot. Its main objective is to compile the remarks about these critical terms with a view to formulating some general principles out of these remarks scattered throughout Shakespeare's plays. After examining the remarks, the researcher classified them into several categories with each category dealing with a distinct aspect of either storytelling or playmaking or both. The significance and validity of the critical views embodied in these remarks are then considered in the light of classical contemporaneous and modern critical theories. All the signs indicate that these views can be of crucial importance for modern narrative and dramatic theories alike.

Works Cited

Dipple, Elizabeth. *The Unresolvable Plot: Reading Contemporary Fiction.* London and New York: Methuen, 1988.

Foster, John Burt. *Nabokov's Art of Memory and European Modernism.* Princeton: Princeton Uneversity Press, 1993.

Nabokov, Vladimir. Loliti. London: Weidenfeld and Nicolson 1955.

-------- *Pale Fire.* London: Weidenfeld and Nicolson, 1962.

-------- *Speak, Memory: An Autobiography Revisited.* London: Weidenfeld and Nicolson, 1967.

-------- *Transparent Things.* New York: McGraw-Hill, 1972.

-------- *Strong* Opinions. New York: McGraw-Hill, 1973.

Waugh, Patricia. *Metafiction: The Theory and Practice of Self Conscious Fiction.* London and New York: Methuen, 1984.

Received, 11/12/1995

> still gray-eyed, still sooty-lashed, still auburn and almond, still Carmencita, still mine. (L 270-71)

As this passage clearly shows, once again Humbert is still selfish in his keen and obstinate stress that he owns and possesses Lolita as his property, nobody else's despite the fact of her being married to another man; he still dreams of his past wondering free spirit possessing anything it wishes within the boundless domain of his lost homeland. But the ethical lesson becomes clearer in the ways in which Humbert finally admits his guilt of a larger crime than the killing of Quilty - guilty alter ego. His cardinal crime is embodied in his irradicable selfishness and his deliberate act of absenting Lolita's voice from the concord of childhood I mentioned earlier. In this essay, even dehumanizing and trivializing her to a mere echo in his memory. Indeed, all this hightened the novel's original higher ethicality mid promotes Humbert's, or Nabokov's, or the reader's, original link with the pale fire of the past, even while living under the luminous, paler shadows of the present.

On another notable occasion, that is at the end; of Lolita's and Humbert's first trans-American journey, Humbert's narration, similarly slips into a kind of humiliating acknowledgement of his solipsistic devastation of both America and Lolita:

> And so we rolled East, I more devastated than braced with the satisfaction of my passion, and she glowing with health, her bi-iliac garland still as brief as a lad's, although she had added two inches to her stature and eight pounds to her weight. We had been everywhere. We had really seen nothing. And I catch myself thinking today that our long journey had only defiled with a sinuous trail of slime the lovely, trustful, dreamy, enormous country that by then, in retrospect, was no more to us than a collection of dog-eared maps, ruined tour books, old tyres, and her sobs in the night - every night, every night - the moment I feigned sleep.(L172)

This passage supports the earlier idea concerning the loss of the dream haven of America, the land of wonder and promise. Here Humbert's, and perhaps Nabokov's, promised dreams are no longer in America but in his old paradisal land of prerevolutionary Russia.

In his final meeting with Lolita, who at the age of 17 is no longer a nymphet, Humbert's narrow sexual obsession is totally replaced by a genuine love and moral apprehension of the person in front of him. This new but lost "virgin", now metamorphosed through poverty, marriage and pregnancy into sexless creature named Dolly Schiller, reminds us of the detailed loving attention Humbert owed her from the beginning:

> You may jeer at me, and threaten to clear the court, but until I am gagged and half-throttled, I will shout my poor truth. I insist the world know how much I loved my Lolita, this Lolita, pale and polluted, and big with another's child, but

by many writers beginning with John Donne and his new found land of precious and empire and ending with D.H. lawrence's free dream world is no longer there in Humbert's "black Humbert land". For Humbert, America has been the place where time becomes timeless, and where a new Eden could be realized. But ironically,America also becomes for him the place of madmen,psychopaths, men on the run, violent men, and great mischief makers. Humbert's America is no longer the free wonderland, but the confined imprisoned place where he could satisfy his vice. Thus, one can easily say that Lolita's death in a town of the remotest Northwest on her way to Alaska, the last American frontier, marks the end of that European myth which is called the "American Dream".

Thus, despite its fantastic and gamesome nature, *Lolita* has a strong sense of glorification, a moral apotheosis. Its ethical force is concretized in the transformation of the narrator/ Humbert, a persona whose desperate attempts to persuade the readers have been, from the beginning, in contradiction with his intention. Pleading his case throughout the novel, Humbert sheds his mask and intrudes into the narrative in a way to defend himself and to show the morality behind his self-loathing and guilt. Pari one of the novel ends abruptly in Chapter 33, where Humbert seems guilty and tries to demonstrate Lolita's dependency on him:

> In the gay town of Lepingville 1 bought her four books of comics, a box of candy, a box of sanitary pads, two cokes, a manicure set, a travel clock with a luminous dial, a ring with a real topaz, a tennis racket, roller skates with white high shoes, field glasses, a portable radio set, chewing gum, a transparent raincoat, sunglasses, some more garments - swooners, shorts, all kinds of summer frocks. At the hotel we had separate rooms, but in the middle of the night she came sobbing into mine, and we made it up very gently. You see, she had absolutely nowhere else to go. (L 140)

> brook, and one last cricket in the crisp weeds ... but thank God it was not that echo alone that I worshipped. (L 270)

The echo, of course, refers to the wasted life in pursuing Lolita and his romantic fantasies around her, as this passage clearly shows: he at last "knew that the hopelessly poignant thing was not Lolita's absence from my side, but the absence of her voice from that concord"(L 299), the concord of nature that the above passage embodies, the concord of childhood, of the past Russia, that he can never forget. The result of this personal fantastic pursuits costs a lot, mainly'the destruction of Lolita's life. Indeed, the readers of Lolita quickly become enchanted hunters of the cruel psychotic affair of Humbert Humbert and his nymphets, as well as hunters of the identity of the eerie man in the Aztec red car who invades the text during the first trans-American trip, pursuing the guilty abductor, Quilty, and then being pursued himself as the guilty kidnapper of Lolita. The pun here is intended on the name (Clare Quilty = clearly guilty) which shows the misuse of the letter q for.g

On a literary level, however, Lolita seems to reflect Nabokov's own past knowledge of literature, especially from Dante, Petrarch, Shakespeare, Sade, Lewis Carroll and Poe, particularly in their portrayal of the lost beloved (this image carries its full sense). As Dipple argues, "In *Lolita,* the literary world of the past exists an an ardent flame against which the American world is the pale fire and transparent thing of Nabokov's novel. The novel's deepest interest lies in its ability to rub against and reflect that remarkably complex literary past" (Dipple 77). Lewis Carroll's, 'wonderland' and probably the wonderlands of Nabokov's Russian literary masters contrast appropriately but negatively with Humbert solipsistic and imprisoning terrible land of low culture with pop and sex vulgarity. Indeed, the novel dramatically criticizes the hyper eroticism of the Western culture and its decadent sexuality. Thus, the dream and wonderland of the past is over in Humbert's vulgarized land. The land of freedom described

and faces she made, and the vulgarity, and the danger, and the horrible hopelessness of it all, I still dwelled deep in my elected paradise - a paradise whose skies were the colour of hell-flames - but still a paradise"(L 163). This "paradise", however, in which he dreams to live with Lolita, almost always reminds him of his "torn past": even his notes, narratives and tour books in the West are disorganized; they seem "almost a symbol of my torn and tattered past"(L 151). Humbert 's former wife, moreover, "showed a fierce insatiable curiosity for my past. She desired me to resuscitate all my loves so that she might make me insult them, and trample upon them, and revoke them apostately and totally, thus destroying my past"(L 79). Indeed, for Humbert, Lolita is a mere construction of his own imagination rather than a free individual:

> I delicately constructed my ignoble, ardent, sinful dream;and still Lolita was safe - and I was safe. What I had madly possessed was not she, but my own creation, another fanciful Lolita - perhaps, more real than Lolita; overlapping encasing her; floating between me and her, and having no will, no consciousness - indeed, no life of her own. (L 62)

For him she is dehumanized and becomes only like "words to play with"(L 33).

Throughout the novel Humbert seems to be daydreaming of Lolita and "she did haunt my sleep" and "appeared there in strange and ludicrous disguises"(L 248). In other words, with Lolita he seems to have totally been aware of "what to seek in the past. At the time I fell I was merely losing contact with reality"(L 249). But then Humbert, and in his typical contradictory mind, realizes later that he loves Lolita as she is, and not merely as the echo of the past, or the memory

> of the nymphet I had rolled myself upon with such cries in the past; an echo on the brink of a russet ravine, with a far wood under a white sky, and brown leaves choking the

> And all my Russian readers know that my old worlds - Russian, British, Gerrnan, French - are just as fantastic and personal as my new one is. (L 305)

But later on Nabokov stated very clearly his nostalgic attitude towards his lost Russian culture, Russian alphabet and dream world:

> My private tragedy, which cannot, and indeed should not, be anybody's concern, is that I had to abandon my natural idiom, my untrammelled, rich and infinitely docile Russian tongue for a second-rate brand of English, devoid of any of those apparatuses -the baffling mirror, the black velvet backdrop, the implied associations and traditions- which the native illusionist, frac-tails flying, can magically use to transcend the heritage in his own way. (L 307)

Reflecting his creator and from time to time, Humbert deploys in his narrative, although ironically in most cases, certain phrases that are reminiscent of Russian Communism such as the word "comrade". But, this in itself, can still be seen as a form of nostalgia for pre-revolutionary Russia, and as an escape from his "umber and black Humberland"(L 163), from the false "light" he thought he was after in the West.

Humbert's search for his lost nymphets, for his fantastic and personal world is echoed in his eccentric attitude towards time and the past. Humbert is attached to the past - indeed seems imprisoned within it-, to his childhood love-affair with "Annabel Lee"; and all his pursuits in life, psychotic seductions, and his enslavement of lonely and culturally vacant Dolores Haze are actually attempts to reconstruct the past and reinstate it in the present, and preserve into the future what was irretrievably lost from that past (the girl, the homeland). Despite all the torture Humbert has experienced with Lolita, she still remains for him the symbol of the lost paradisal past: "Despite our triffs, despite her nastiness, despite all the fuss

memories that still live with Nabokov and his protagonists. In this passage I have emphasized the words "light" and "shade" because they highlight the meanings of the title of this essay: Lolita = light,Western freedom,my lone light Lolita" (L 278); John Shade = shade, pale life of the East and imprisonment under Communism. Indeed the word "pale" is also constantly used in both novels, and it appears nearly on every page of Lolita.

Although Nabokov claims that *Lolila* is a soil of fantasy and is not political or ideological novel, yet it is closely related to questions of psychoanalysis, sociological political ideologies of different cultures. Indeed, Nabokov said that he has written most of the novel in 1934-35 in Berlin under the Nazi shadows. But he never allows ideological or political questions to appear clearly in his novels. Humbert Humbert, inspired by Poe's ideals, struggled throughout his life within certain boundaries, wasted his pre-Lolita time on marriage, idle philological pursuits, false academic research, nervous break-downs, and deceiving his psychiatrists. Humbert spends most of his life trying to satisfy his sexual needs which can be. seen as metaphors for his selfdiscovery, and for the recovery of the lost culture in both West and East. Indeed many readers thought of *Lolita* as a novel that draws on the big difference between the high culture of Europe (lost Russia) and the low culture of America. Nabokov himself defends this comparison by way of refusing to admit it:

> Another charge which some readers have made is that Lolita is anti-American. This is something that pains me considerably more than the idiotic accusation of' immorality.... 1 chose American motels instead of Swiss hotels or English inns only because 1 am trying to be an American writer and claim only the same fights that other American writers enjoy. On the other hand, my creature Humbert is a foreigner and an anarchist, and there are many things, besides nymphets, in which 1 disagree with him.

of the past with speculations about the hereafter," and with the problematic intention of changing his and his characters' social dilemmas (Foster 53).

This process of haunting memories is more vivid in *Lolita* (1955), Nabokov's best work of fiction and through which he has achieved his great reputation as an American novelist and with an American subject matter. Even in this novel, I would like to argue,Nabokov's memory is rooted in his lost domain of Russia in contrast with the American landscape. In order to establish himself as an American writer in the early 1950s, Nabokov looked back in the American literary history and found the most aesthetic American non-puritanical writer to immortalize young girls - Edgar Alan Poe. Poe's enchanting poem, "Annabel Lee," presents Nabokov with an ideal image of the traditional beloved girl from American literature, and Nabokov can endow his character Humbert Humbert with a real passion for this girl as his first love,his lost and occupied, land in the character of Lolita. Humbert meets and loves this girl, this land, and loses her before either of them is yet 13 years old. This loss can be seen on a realistic characterological level as a loss of love and any decent love-relation, thus Humbert's sexual illness can be psychologically justified. Early in the novel Hembert employs his "photographic memory"(L 41) in order to recast his lost happy days with some kind of nostalgia:

> As I look back on those days, I see them divided tidily into ample *light* and narrow *shade:* the light pertaining to the solace of research in palatial libraries, the shade of my excruciating desires and insomnias of which enough has been said. Knowing me by now, the reader can easily imagine how dusty and hot I got, trying to catch a glimpse of nymphets (alas, always remote). (L 34; italics mine)

This passages adumbrates what I have been trying to say throughout this essay, especially in relation to past Eastern

at various places he is constructed as a man wandering lonely from Zembla to the United States. This assassin is terribly ignorant of the language of Zembla and he is completely lost in both Zembla and the United States. Yet Gradus, in very mysterious ways,manages somehow to perform his deed and kills the poet. According to the people of "New Wye" he appears a madman, a lunatic who kills for no reason. This, in fact, may be true, but Nabokov allows another possibility in the way Kinbote/narrator is convinced that the assassin is an agent of the "Extremist" party of Zembla and Shade is only his accidental victim. Kinbote fabricates all sorts of' analysis to the reasons behind the killing of Shade but he was glad that he himself was spared as he is also threatened. The novel, nevertheless, ends with the same result: the mystery remains mysterious and the enigma of Shade's death remains enigmatic. Nabokov leaves the questions unanswered, and the nature of Kinbote remains also in doubt whether he is a mad professor or a king in disguise; and Gradus is also either a mindless psychotic or a purposeful murderer. Shade also is either the victim of petty accident or the man whose poetic talents have lead him to disasters by becoming close to a King/Kinbote. The heroine of the poem, moreover, may have killed herself or may have accidentally drowned. None of these mysterious events are definitely resolved; indeed, they defy resolution even Nabokov's choice of places is shrouded in mystery; indeed, all his fictional places, as one critic says, are "lands of reflections, rendered the more bizarre in this case by the fact that Nabokov's lost Russia cannot be recovered accurately or unironically; it can only be reproduced parodically by a frankly crazy commentator, whose heart's desire lies in a totally irrecoverable Zembla semblance"(Dipple 87). This, of course,means that Nabokov is fictionally and ideologically revisiting his lost history in Russia, his idyllic memories, which also imply that he never really lost touch with his roots even while he proclaims his American and Western inclinations. Indeed in this novel Nabokov, as Foster. argues, "interweaves haunting memories

Then, when he rereads it he discovers that "I liked it better when expecting less. And what was that? What was that dim distant music, those vestiges of color in the air? Here and there 1 discovered in it and especially, especially in the invaluable variants, echoes and spangles of my mind, a long ripplewake of my glory"(PF 297). Even if the poem is not what he thought about Zembla he believes it satisfies its goal since it probes his exilic, lost self. "My commentary to this poem, now in the hands of my readers, represents an attempt to soil out those echoes and wavelets of fire, and pale phosphorescent hints, and all the many subliminal debts to me"(PF 297). These "subliminal debts" seem to be concretized in the act of rewriting Shade's poem and reviving it to the readers. Kinbote pays his debt by leading Shade to his death and by finishing off his 999-line poem. This poem is broken off at the 999th line: Trundling an empty barrow up the lane"(PF 69) by Kinbot's own invitation of the poet to his house to have dinner. They walk across to the house and the assassin fires at Shade and the poem completes itself in a circular way: "I was the shadow of the waxwing ,slain" with which the poem begins"(PF 33).

Throughout the novel/poem there are, in fact, allusions to the lost feeling of belonging, to the search for a proper link with the society one has lost. This sense of lonelinees is emphasized by Kinbote as a reflection of his and Shade's exilic, and even suicidal,solitude from their own society:

> I wish to stress that cold hard core of loneliness, which is not good for a *displaced soul.* Everybody knows how given to regicide Zemblans are: two Queens, three Kings, and fourteen Pretenders died violent deaths, strangled, stabbed poisoned, and drowned, in the course of only one century (17001800). *(PF* 95; my italics)

I have emphasized the phrase "displaced soul" because it captures the situation of most characters in *Pale Fire* as novel and poem. The assassin, for example, who murders Shade is called Gradus,and

> creation ceases to animate a subjectively perceived texture. (p. 1 18)

Indeed both Kinbote and Humbert do not believe in the real as guaranteed by strong values and referents; they only believe in their own desires: the first one is a pervert and the second a megalomaniac. For the one who has "long gone insane," the "lone voyager," the "nympholept," the love object is not real; Humbert insists that the nymphet is not only a certain type of girl but a fantasy in the mind of "an artist and a madman, a creature of infinite melancholy" (Lolita 19; further references will be abbreviated as L- followed by page number). Both of them thus seem in an exile from their present reality, their past history, and from their own selves. Kinbote is imprisoned in his own mad memories and totally alien to the comfortable American academic community in which he and the great poet John Shade coexist. While the one enjoying the writing about his American social matter. the other (Kinbote) recasts and reconstructs this American domestic fiction as a mysterious and mythological reference to his lost Zembla / Russia, a lost land of dreams and irrepressible bliss. Thus, John Shade's statement seems very appropriate to describe Kinbote as the "person who deliberately peels off a drab and unhappy past and replaces it with a brilliant invention"(PF 238). Kinbote himself, on the other hand, deploys the same image of "drab feelings" to describe Shade as the dreaming Prince Charles of Zembla who is in love with his Duchess Disa: "these heart-rending dreams transformed the drab prose of his feelings for her into strong and strange poetry, subsiding undulations of which would flash and disturb him throughout the day, bringing back the pang and the richness ... but not affecting at all his attitude towards the real Disa" (F 209).

When Shade is dead and Kinbote first reads the poem "Pale Fire" he is shocked to discover that it is not the work he imagined about the King of Zembla which he thought Shade was writing.

his sordid and petty homosexual experiences and desires. When Shade demonstrates his love to his wife throughout their forty-year love, Kinbote releases his psychotic mind from heavy burdens of his unusual and sleazy attraction to young boys. Here one can conclude that Kinbote's own pursuer is his own mad self as it also pursues the reconstruction of a new and better self.

Like Humbert Humbert in *Lohia,* Kinbote's psychotic pursuits and perversions seem to be confined to the sexual sphere. But in reality both men violate, pervert and undermine the artistic narrative in a manner in which they project their fantasies on the world as "realities". This notion of "reality" is problematized by Kinbote when he insists that the text is itself the reality we face in the novel:

> Let me state that without my notes Shade's text simply has no human reality at all since the human reality of such a poem as his ... with the omission of many pithy lines carelessly rejected by him, has to depend entirely on the reality of its author and his surroundings, attachments and so forth, a reality that only my notes can provide. To this statement my dear poet would probably not have subscribed,but, for better or worse, it is the commentator who has the last word. (PF 29)

Kinbote seems here to be echoing his creator whom, in one of his indictments of the word "reality", strongly argues in his historical narrative Strong opinions that

> paradoxically, the only real, authentic worlds are, of course, those that seem unusual. When my fancies will have been sufficiently imitated, they, too, will enter the common domain of average reality, which will be false, too, but within a new context which we cannot yet guess. Average reality begins to rot and stink as soon as the act of individual

not only some sophisticated knowledge but also a good deal of patience. Indeed much of the novel is devoted to this paralanguage of the narrator which can be seen as Kinbote's madly solipsistic critical commentary and as the comic *tour de force* of the novel. In the Preface to the novel, he actually advises the reader of how the novel/poem should be read: "the reader is advised to consult them [his notes] first and then study the poem with their help, rereading then of course as he goes through its text, and perhaps, after having done with the poem, onsulting them a third time so as to complete the picture"(PF 28). He even suggests that it is

> wise in such cases as this to eliminate the bother of back-and-forth leafings by either cutting out and clipping together the pages with the text of the thing, or, even more simply. purchasing two copies of the same work which can then be placed in adjacent positions on a comfortable table - not like the shaky little affair on which my typewriter is precariously enthroned now."(PF 28)

These two passages exemplify the self-conscious narrative technique being used in this novel, the technique that is often deployed by many postmodernist novelists.

Dr. Kinbote, moreover, presents a secondary imaginary text in a way that - as one critic says - "heralds the current deconstructive tendency to see the critic's commentary as equally strong textually as the work of art itself from which it derives its primary energy" (Dipple 84). Indeed the poem is rearranged and rewritten in a way that shows the visions and memories of its doddering editor. If Shade writes of his love for his wife and daughter and exposes his love in an excellent and stylized narrative,Kinbote then adds his own story as a subtext that overshadows and in fact submerges the poet's original text. Kinbote revisits the linguistic domain of the poet with a contaminated mind he of his own in which he foregrounds

Nabokov himself but also of an hallucinated psychotic? Indeed the hazy or the pale nature of the poem is introduced in its first few lines, and countered by the fantasies woven by Kinbote, who sees in every word of the narrative he is writing, and in fact rewriting, a reference to his own past experience in Zembla. Nabokovs twisting interactions of the narrative lead Professor Kinbote to believe that he is the subject of the poem "Pale fire" and it is about his own homeland of Zembla; further, he is madly convinced that he is the last king of Zembla and that Shade had actually died as a result of a dirty conspiracy by the "extremist" party of Zembla. The question that comes to mind here and which Nabokov never answers outrightly seems to be: is that "extremist party" the Communist Party in Russia itself? And the answer simply perhaps it is.

Thus, the poem as a whole and as a central and poetical inter text serves a twofold function. First, it provides the straightforward biographical account of Shade's life which is to be comically confused with the psychotic mind of Kinbote. Second, the poem itself is a statement of considerable feeling about events in the life of Shade and which endow it with a deep sense of tragedy. This is so because the entire poem is about the suicide of Shade's daughter and the complications of all possible interpretations surrounding this event are being played off by Nabokov and deviated by his narrator. For example, when Shade demonstrates his bitter sense of loss and nostalgia, his editor Kinbote chooses to interpret the lines as referring to personages in Zembla who are not only quite fictitious but also whose reconstructed and imaginative character cannot possibly relate to the lines in question. When the poet Shade refers to something factual and which must be treated factually, Kinbote, in his idiosyncratic academic madness, takes up each reference as a personal challenge to his own power of reconstruction and definitive rewriting. In this sense, the reader of *Pale Fire* requires

memories, but on the interrelationships, correspondences and coincidences that people can create among these thoughts, actions and memories. This theme can be clarified through the strange relationship between the central characters of *Pale Fire*. From the outset, John Shade, a distinguished American poet, has just been murdered. Dr. Charles Kinbote, a Zemblan scholar, and narrator of the novel as well, is evidently engaged in reconstructing and rewriting the last poem of Shade and attempting to interpret his life story. John Shade's poem "Pale Fire" appears to be a transparent text because Kinbote has imposed on it, through his editorial commentary, a completely insane superstructure of meanings. He constantly finds in this poem incredibly minute and esoteric references to historical matters. Kinbote is not a native American,but an immigrant from the fictitious kingdom of Zembla,a nation under the influence of Russia. The narrator actually believes that "Pale Fire", Shade's last poem, is not only a poetical but also a historical and realistic narrative about the Kingdom of Zembla during the late nineteenth and early twentieth centuries.

The narrator-Kinbote seems to be parodying the very popular anti-hero of the 1950s as embodied in the poet himself. Both of them (Kinbote and Shade) teach at a small college in "New Wye" which is clearly a subtle representation of all the failings of second-rate and private American institutions of learning. As an orthodox campus novel, it succeeds in presenting an effective criticism and sarcasm of the students as well as the college itself. Indeed, what makes this novel different is the Nabokovian grotesque mingling of story lines as being mediated to us in different frames by a lunatic narrator. I say "lunatic" because he traces the life of Shade along biographical and factual lines, connected to his own life itself. The poem appears to be a biography of Kinbote himself, who is really Charles the Beloved, the King of Zembla. Or is he? Or is the poem about him at all? Or is everything an invention not only of

reference to the East, and how his narrators perceive the intrusion and influence of history, of the past experience, via memory, on their understanding of the world.

This leads us to Nabokov's well-known novel *Pale Fire* (1962) in which the central character, John Shade, the "great American poet," is trying to see through the hazy past, the pale lights of his life and to discover his own title and lost self. John Shades evokes the same image of transparency in trying to define his last poem: "But this transparent thingum does require / Some moondrop title. Help me, Will! *Pale, Fire.* "(p.68; further references will be abbreviated as PF followed by page number).

This poem which is full of past memories and homeland experience places itself against the fire of the sun - the sun of Shakespeare as the greatest of poets according to Nabokov - and at the same time emphasizes its distance from that sun as well as its stolen flame. Indeed, the origin of this text comes from Shakespeare's play *timon of Athens,* Act IV, Scene iii: "the moon's an arrant thief, / And her pale fire she snatches from the sun." This idea of a pale fire, the "moondrop title," and the poem as a "transparent thingum" all contribute to the understanding of the relationship between Nabokov's novel and its origin; it actually teaches us how to read this poem and the novel as a whole, how to use its pale, moondrop transparency to see through it the literature of the past and how to trace the relationship between the individual and his own history.

Nabokov has employed in *Pale Fire* the thriller form experimentally to explore precisely the dizziness of a total loss of self. Indeed, as one critic argues, this exploration seems comic in many ways because it is "conveyed through the idiosyncratically expressed solipsism of the mad Kinbote, the first-person narrator who may or may not be the King of Zembla" (Waugh 85). Indeed,the broad theme of this novel is the increasingly familiar idea that the significance of art and life rests not upon "text" but upon "texture", not upon the validity of thoughts, actions and

> darkness on both sides of' my life. That this darkness is caused merely by the walls of time separating me and my bruised fists from the free world of timelessness is a belief 1 gladly share with the most gaudily painted savage. (p. 20; further references will be abbreviated as SM followed by page number)

This question of the free world that is lost, dominated, and enslaved by the Communist Revolution, and which Nabokov always wishes to restore, seems to underline most of his writings. Indeed Nabokov's widow, Vera, suggests in a preface to the posthumous collected poems *Stikhi* (1979) that his "chief theme throughout his writings was *potustornnost,* which means the other world, the beyond, the after life, the lost domain of idyllic Russia,and the timelessness of free existence.

This element of timelessness locates Nabokov well within the free horizontality of existence that most postmodernist call for in their factions in a manner that reinforces my original contention that the past may still be re-living in the present, the other factor that problematizes the notion of reality and fiction to which 1 shall refer later in this essay. The free existence of the past constantly peeps through to the present, and it does so through its "transparent things" to affect the present. Nabokov invokes this image of transparency in his penultimate novel *Transparent Things* (1972) which begins with an eloquent passage:

> When we 'concentrate on a material object, whatever its situation', the very act of attention may lead to our involuntary sinking into the history of that object. Novices must learn to skim over matters if they want matter to stay at the exact level of the moment. Transparent things, through which the past shines!

This passage illustrates one main point here which supports my original premise of Nabokov being torn between the present and the past, and how his Russian roots spring up from time to time in the field of his writings. This also presents us with the ways in which Nabokov's narratives should always be read with some

words, he is exceptionally cross-cultural as a writer who derives from all sources as, for example, he draws in *Speak, Menory,* which - as one critic argues - "becomes a cultural autobiography' when it describes his encounters with English home comforts (SM 79), Or French seaside life (SM 147-48), or Russian radical intellectuals (SM 28-29)" (Foster 10). His fiction, moreover, is "untirealistic, disconcertingly self-conscious, and passionately devoted to style"(Foster3).

Although Nabokov rejects classification and refuses to be geographically confined, he enjoys the fact that he was considered an American writer; and at the same time his memory is deeply rooted in his beloved pre-revolutionary Russia, the lost domain where he spent his childhood and which he often describes as foreign, alien and exilic. His nostalgic feelings towards his lost Russian community is vividly seen in his early writings, some of which were written in Russian, and in his unique translations of some Russian masters pieces. Indeed, in his later writings Nabokov is the least personal if compared with his first novel *Mary* (written in Russian in 1926) and in his personal, autobiographical and historical narrative *Speak, Memory,* which shows his admirable art of memory and where he vividly reconstructs his lost memories and his lost domain of childhood and youth in Russia and later in Berlin and France. Indeed, one thing is certain and that is most of his characters and narrators in all of his novels are fuelled by memory of all types: memories of place, person, experience, and in fact of literary past. Nabokov feels that he was cut off from his past; and also his childhood in Russia seems overshadowed by the pale fire of revolution, by the darkness of totalitarianism, and by "the faintest of personal glimmers" that keeps him segregated from his roots. He writes in *Speak, Memory:*

> I feel the urge to take my rebellion outside and picket nature. Over and over again, my mind has made colossal efforts to distinguish the faintest of personal glimmers in the impersonal

Leads to the two novelists, among many others, as being seen as the founders of a great literary tradition that lays the foundation for the reader-response criticism, for the rejection of conventional realistic narration, -and for the poetics of postmodernism. They also become the preeminent practitioners of literary gamesmanship and foreground the innovative techniques in writing fiction as a whole. Before his death in 1977, Nabokoi, enjoyed throughout his twenty-year stay in the United States being referred to as an American novelist.. But his real homeland seems to be the world as a whole since he moved out of his lost Russia to pre-war Berlin, to France, to cosy Switzerland, to Britain, and then to America. flis outstanding originality steins from his spontaneous internationalism or his involvement in international literature; his free-floating originality spans from his earlier Russian writings through European influence into English prominence - Nabokov's well-known writings are in English. Indeed Nabokov's oreat artistic reputation stems from his deconstru'ctive turns against novelistic traditions and from his artistic novels that defy most attempts of classification. His coherent and often self-conscious plots are constructed to renovate the images of a past mythological experience and to parody most forms of the rich literary past of the Western world. His characters defy most of the conventional methods of literary analysis since they seem to exist in a "reality" that differs from the familiar meaning of reality. Thus, the readers of Nabokov's novels are asked to arm themselves with different tools of ordinary reading; that is, they always unavoidably read beyond what they are given in the text. In this allusive and metaphorical quality, Nabokov seems to be echoing his great Russian masters, particularly Gogol and pushkin, and the European Modernist writers, such is Proust, Mann, Joyce and Eliot, he lectured on first at Wellesley College and then at Corr.ell University. Indeed Nabokov constructs his own literary identity from several interacting and competing traditions (Russian,European, French, English, and American). In other

Vladimir Nabokov between the Pale Fire Of the East and the Light of the West

Dr. Mahmoud Salameh
Department of English – Faculty of Letters
Al-Ba'ath University

Abstract

This paper undertakes a historical and autobiographical study of two Nabokov's main novels an attempt to argue that he is still a Russian writer despite constant claim that he is not. Indeed the task of placing vladimir Nabokov in a proper context in the postmodernist fiction is a subtle one, and the examination of the relationships between the writer or his characters and the social, ideological, and intellectual world in which they exist proves to be equivocally difficult. Vladimir Nabokov is an interesting and itriguing example of a novelist who is torn from within between his past Russia and the present West, whether in Europe or in America. He is so because he demonstrates throughout his fiction a subtle and coherent critical attitude towards the Western and contemporary literary and social terrain, while at the same time he maintains a kind of nostalgia towards his dreamlike Russia. This leads to the primary contention of this essay that Nabokov, and his characters, seem to live throughout their lives traversing between the "pale fire" of the East (and ironically the west as he discovers) and the "light" (or better darkness) of the West as represented by Humbert Humbert and the great American poet John Shade. In this paper, I examine how this ambivalent and contradictory relationship operates in two of Nabokov's most known novels: pale fire and Lolita.

2. *How to store the important information on the information card.*
3. *An introduction about "Indexing" which is a new term in documentation ((It is the analysis of the documents and their contents)).*
4. *The recent modern documentation methods are:*
   1. *The microform: Definition, forms stages of photography the equipments of microform.*
   2. *The computer: Definition, fields of application, storing of documentations information in the computer, the computer role in:*
      - *a- Offices and library services i.e supplying, refernces, and indexing.*
      - *b- Reviewing, which can be achieved by two ways "Leading" and refereces.*

An example of the modern electronic index is the "Thesauri", which has multiple applications "Arabic thesauri" "UNESCO" thesauri" "Population thesauri" "Terminology thesauri" installed in Shoman institution in Amman and Dubai and which could be communicated in the future.

From all this, one can see the important role of technology in documents and documentation; economy in time, secrecy, easy transportation of the microforms from one place to the other and that these modern equipments do not occupy large places.

For the paper in Arabic language see the pages (٢٤١ _ ٢١٥).

Method's of contemporary documentation and their importance

Dr. Khayal Al-Jawahiri
Department of Librarianship
Faculty of Letters
Damascus University

ABSTRACT

The importance of using modern technology is one of the radical changes of our time, especially in the field of documentation.
These changes were inevitable due to the fast rise of the flow of information, theses articles and studies in which this modern technology is used instead of the old, traditional methods. The above mentioned development have had a positive effect on the recent advances of libraries services and in its turn on the social and economic developments. By supplying all the information needed and statistics and making them easy available to researchers specialists, scientists and public institutions, and making all the data easy to be studied and reviewed is realy an important step forward. With all these technological advancement, the documentation becomes a special separate science which has its own approches and methods. In addition, this new documentation science is firmly linked to the advances of electronics, computers and telecommunications and this accordingly have pushed the role of documentation in society to a new highlevel.

Elements of the lecture:

1. Introduction about documents and documentation.

Water Discharge of the Zarqa River

Dr. Hassan Abou Samour
Department of Geography
Faculty of letters
Jordan University

Abstract

Zrqa River is recharged from its basin, which covers an area of 3115kM² or 3.2% of the total area of Jordan. It is located between middle and north Jordan. The length of the permanent part of the Zarqa is 125 KM.

It is recharged by rainfall during the wet season and by ground water in the dry summer. The daily discharge is charactarized by high fluctuation specialy during winter. The main daily discharge of the Zarqa is 1.91 M³/xec. Ranging between 0.4bm³/sec-5.06m³/sec. The daily discharge equals the baseflow during the dryness period, while it exceeds the base flow during wenter.

The daily discharge varies from one season to another ; it reachs its peak in winter (reaching 3.55m³/sec.) and declines to 2.35, 1.4, and 0.69m³/sec in Spring, Autamn an Summer, respectively.

Like base flow, flood flow is also characterized by fluctuation, The greatest flood flow was recorded on 29th Nov. 1979 (reaching 288, 01m³/xec.) while the normal flood flow ranged between 2- 50 m³/xec. The duration of the flood flow seldom exceed 3days. It is determined by the period of rainfall storm over the recharge basin.

For the paper in Arabic language see the pages (٢١٤ — ١٨٥).

declaring the ultimate triumph on it without taking into consideration its revenge.

To say the least, because these environmental problems have global characteristics every country on earth must work to creat such awareness and develop it through environmental education that aims to teach the generation the needed knowledge and to modify the values and establish positive attitudes which world lead can lead to a social and individual reliable.

For the paper in Arabic language see the pages (١٨٤ ـ ١٦٥).

Man, Science and Environment: A sociological Point of View.

Dr.Yousef Break
Department of Sociology
Faculty of Letters
Damascus University

Absrtact

In response to the increasing needs of society,man invented science that contributed to the emergence of the first and second industrial revolution, and which contributes nowadays to burning out the fire of the third industrial revolution which is based on technology of information and genetic engenering.

This techno- scientific development that man achieved is a contradictory phenomenon. Great technological processes could penetrate secrets of life and solve a lot of problems, but, at the same time and because of social mis usage, this phenomenon has become a nightmare threatening nature, earth, air, water, and every thing arround man of organic and inorganic existence in which he lives and acts. The environmental problems like wearing out The Ozon, increasing the heat of Earth and the pollution of air and water will continue and threaten which is the source of man's existence which show decadence, unless the exploitation of natural resources by the power of exploitation in the world and scientific research centers stop such acts and direct their efferts towards creating an echological revolution which can contribute in regaining the lost ballance of world environmental system, and this in turn needs a sufficient environmental awareness that reserves nature and stops

Sad Allah Wannus.
L'Heritage et le tempes present

Dr. Faisal Summaq
Départment de Langue et Arabic
Faculté des Lettres
Université de Damas

Résumé

Cet essai est fondé, essentiellement, sur le fait que La préoccupation créatrice de SAD ALLAH WANNOUS a connu, ces dernières années, un saut remarquable. Elle est devenue de nature esthétique de haut degré, alors qu' elle avançait le facteur Idéologique. ce qui signifie que l'acte théâtral est le point culminant où s'enchenêtrent la culture, l'histoire, la politique et l'idéologie.

C'est ce que nous allons détecter dans notre étude des deux pièces de théâtre de Wannous "Touqous Al Icharat Wat. Tahawoulat" et "Mounamnamat Tarikhieh" Mais afin de jeter tant de lumière sur nos idées discutées, il nous sera nécessaire d'analyser la première pièce surtout en tant que texte a' lire, et non Seulement comme pièce faite pour être mise en scène (a'savoir que cette pièce a été mise en scène par la Libanaise Nidal Al Achkhar)

For the paper in Arabic language see the pages (١٦٤ ـ ١٢٩)

when five competencies out of thirteen have the means of above four.

Competencies of supervising and counsling as well as administration are also important as seen by teachers. The vocational role competencies, however, are the most important for teachers.

Principals and teachers agreed that the competences, of planing excution and evaluation are important for the teachers work. In term of supervising and counsling competencies, principals consider them as imortant for teachers. Both groups agreed on the basic role of the administration. A complete agreement were obtained by teachers and principals for public relations competencies. Table (4) shows the mean of competencies of each area.

According to teachers and principals the first rank includes the vocational area while planning has the second rank. The third rank of principals' responds was the excution area the fourth rank is the public relation area. For both, supervising and counsling and administration were ranked sixth and seventh respectively. While teachers classified evaluation as fifth rank while the principals ranked excution as fifth.

The implications of these results were discussed and some recommendations were drawn based on the findings of the study for improving and developing inservice teacher vocational education.

For the paper in Arabic language see the pages (١٢٧ ـ ٨٥).

Essential Competencies Needed For Teachers of Vocational Education In the Secondary Stage in Jordan as Seen by Teachers and Principles

Dr. Mohammed Olimat
Yarmouk University
Faculity of Education and fine Arts.
Department of Education

Absrtact

The aim of this paper is to determine the competencies which are sought by teachers of vocational schools in the secondary stage Jordan. In collecting to probe these competencies. He also referred to lists of competencies prepared by. And studied lists of competencies prepared by other researchers and those noted in the relevant literature.

The questionnaire consists of (85) competencies, each one describes one activity of the vocational education teacher. These competencies span seven areas: Planing, execution, evaluation, supervising and counseling, administration, public relation and vocational role. The questionnaire has been distributed to teachers and principals of vocational education in Irbid and Mafraq governorates. The sample consists of (180) male and female teachers and (38) male and female principal, and the chairmen of department who work as principals.

The data was analyzed on the basis of statistics which included means, frequencies percentages and ranks.

The results of the study show that all competencies of planning are important as considered by teachers,

state, and to emphasise, on the other, that the end of ideology is no more than an ideological one.

For the paper in Arabic language see the pages (٨٢ ــ ٢٩).

Fukuyama and the Liberal Oration of Fall of ideology

Dr. Abdul Hameed Saleh
Depart ment of Philosophy
Faculity Of Letters
Damascus University

Abstract

The work represents a reading in the contemporary liberal oration of full of ideology, as it is fully presented in Fukuyama's book: "The End of History and the Last Man",
Fukuyama asserts that science and technology, as well as investigation for avowal and position, have led first of all: to a dissolution of all ideologies, and secondly, to an establishment of the liberal capital state, in its American aspect, as it stand for the end of history. However, in order to justify the legitimacy of his exposition Fukuyama supports his reading of the contemporary civilization, by relying upon a philosophical background, that is to say, on the ideas of some philosophers such as, Hegel, Kant,Hobbes, Locke, and others.
The study benefits from the philosophical thought of those mentioned above, It immediately renews the exposition of the problem "the end of history", in order to emphasise, on the one hand, that the problem is not as it is declared by Fukuyama, either about mode of the end of history or about the logic of history of the construction of liberal

L'effet de la densite du contenu sur le choix de l'enseignant de ses objectifs comportementaux en geo. physique en 1 ere annee du lycee a Damas

Dr. Ali El - Hosry
Département de curricula
Et Fondements de L'enseignement
Facultè de pedagogie
Universitè de Damas.

Resumé

Le but de la present recherche est de reveler l'effet de la densité du contenu et le niveau de la matière sur le choix des objectifs. Elle couvre 72 enseignants et 4800 objectifs formulés pour 32 lessons.

Les resultas montrent une difference significative entre la frequence des niveaux de la matière dans le contenu et celle dans les objectifs les enseignants prefèrent, pour leurs objectifs, les niveaux de la matière de haute densité. D'autre part, quoi que l'on soit le niveau de la matière, l'enseignant formule ses objectifs au niveau le plus bas du domaine cognitif (le savoir). Or les niveaux superieurs (synthese et evaluation) sont écartés.

For the paper in Arabic language see the pages (٢٨ – ٩).

CONTENTS

Damascus – University Journal
For Arts and Human and Educational Sciences V13 – Number (3) 1997

Damascus – University Journal
For Arts and Human and Educational Sciences V13 – Number (3) 1997

DAMASCUS UNIVERSITY

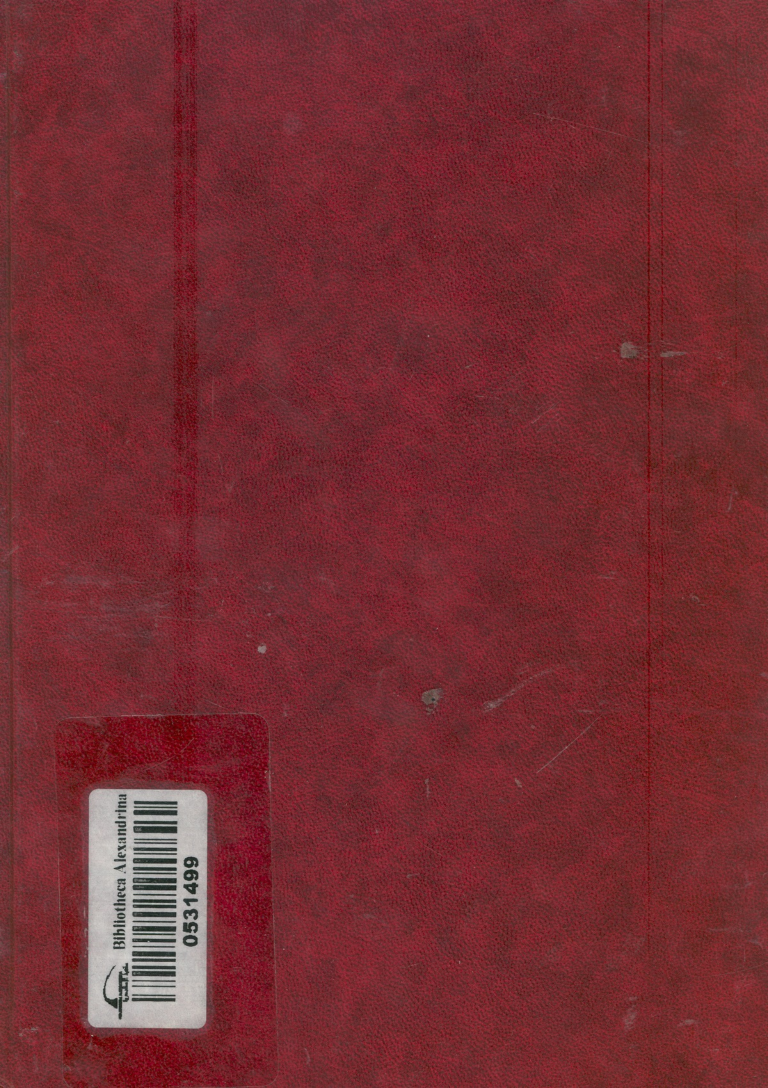
JOURNAL

FOR THE ARTS AND HUMAN AND EDUCATIONAL SCIENCES



A Refereed Research Journal

VOL. 13 – NO. 3 - 1997


Bibliotheca Alexandrina
0531499